

أمين يوسف غراب

امرأة العزيز



أمين يوسف غراب

امرأة العزيز

الكتاب الذهبى


الاهداء
الى الزقاق الذى ولدت فيه
والحارة التى نشأت فيهـــا
والشـــارع الذى أقطنه ..
« امين يوسف غراب »



ماذهبت يوما الى قريتنا يوما الا وتذكرت أسعد أيام حياتي التي قضيتها فيها ، وأنفقتها في مغانيها ، ألعب الاستغماية في الجرن وأركب النورج ، وأسقي البقرة ، وأرعى الشاة على القناة ، وأسعد بالنيل العظيم الذي نشرب منه ونستحم فيه ونجدف بأرجلنا الصغيرة وسواعدنا الطرية على صفحته الرقراقة التي تحتضننا في رفق ، وتحنو علينا في عطف وتغمرنا أمواجها الصافية كما تغمر الأم وجه طفلها بقبلاتها ، أو نلعب عند المحطة وننتظر قطار الدلتا وعربات البضاعة الطويلة التي يجرها خلفه فنفرح لطلعته ونطرب لدويه ونركض خلفه ونتسلق عرباته ونركب عليها حتى يغادر المحطة ويتسلل بنا كالثعبان الطويل وسط المزارع حتى يكاد يبتعد بنا عن القرية ، فنقفز من عليه ونلقى بأجسامنا الصغيرة بين الحقول ونعود الى المحطة ونجلس خلف خمارة كرياكو تحت الجميزة الكبيرة العجوز التي تنساب من تحتها مياه قوية متدفقة ، نلعب الطرة أو الطلع ، أو السيجة بحبات الفول التي نكون قد ملأنا بها جيوبنا من عربات القطار مهللين في أصوات عالية كلما أكل كلب أسود كلبا أحمر ونظل كذلك الى أن تخرج علينا مدام كرياكو بثوبها القصير وشعرها الطويل وصدرها العاري تزوم وتنونو كالقطط أو يخرج علينا كرياكو ببطنه الكبير المنتفخ الشبيه بقربة عم زقدان سقاء قريتنا فيرغي ويزبد ويلفظ من بين شفتيه المترهلتين ألفاظا لا نعرفها ويروح يقذفنا بمائه الملوث الذي يحتفظ به لنا في جردل كبير يخرج علينا به دائما ٠٠ فنخاف ونركض هربا الى الأزقة والحارات ٠٠ ومن في قريتنا لايخاف من كرياكو حتى لانخاف نحن منه ؟!٠

فقد كان كرياكو في قريتنا رجلا مرهوب الجانب الى حد كبير كما كانت خمارته ذات الحديقة الجميلة التي تجاور المحطة قبلة أهل القرية جميعا ٠٠ يجلس فيها العمدة ٠٠ ويجلس فيها كذلك أهل الجاه واليسار من أهل قريتنا وبعض القرى المجاورة يحتسون النبيذ الأحمر ، الذي توزعه عليهم مدام كرياكو ذات الحسن والدلال ٠٠ التي خلبت لب نساء قريتنا ٠٠ فكن

وهن في طريقهن الى النهر يملأن الجرار يقفن عند حديقتها ويختلسن النظر اليها يتفرجن عليها ٠٠ ويعجبن بجمالها الذى يشبه جمال السفيرة عزيزة التى كن يتفرجن عليها فى صندوق الدنيا الذى كان كرياكو يحمله على ظهره أول ما وفد على قريتنا ٠٠ ويسير به أشبه بالبلياتشو فى سرواله الأحمر ٠٠ وقميصه الملون ، وطرطوره الطويل المصنوع من الورق ٠٠ ويطوف به الحارات والأزقة ، ينادى عليه بمزماره الطويل الذى ينفخ فيه فنهرع اليه ونتسابق على عيون الصندوق الزجاجية فنرى صورا كثيرة تمر أمامنا يفسرها لنا كرياكو بصوته ذى الجرس المنغم ولهجته التى تغلب عليها اللكنة الرومية ٠٠

فهذه هى السفيرة عزيزة ذات الحسن والجمال ٠٠ وهذا هو عشيقها يونس العاشق الولهان وهذا هو الزناتى خليفة ٠٠

اتفرج يا سلام ٠٠ وهذا دياب بن غانم بشواربه التى يقف عليها الصقر ٠٠ وهذه هى ناعسة الأجفان ذات الجمال والدلال ٠٠ أما هذا فسيد العربان ٠٠ وفارس الفرسان أبو زيد الهلالى سلامة وخادمه أبو القمصان ٠٠ وكنا نرى ذلك كله بشق من رغيف ٠٠ وما أكثر الأرغفة التى أخذها منا كرياكو ، وما أكثر أيضا العصى التى انهالت على أجسامنا الصغيرة كلما اكتشفت أمهاتنا سرقة العيش من الخزانة ٠٠

والى اليوم لم أر صندوق الدنيا ، أو يجرى اسم كرياكو على لسانى الا تذكرت تلك الأرغفة التى سرقتها ، وتلك العصى التى ضربت بها ٠٠

وكان هذا التاريخ البعيد هو أول عهد قريتنا بكرياكو ، وصندوق دنياه الذى يحمله على ظهره٠٠ ٠٠ غير أنه بعد ذلك ضاق بهذه المهنة فاستبدل بها مهنة أخرى وهى بيع الصابون الممسك ، والأمشاط ، والمناديل الحريرية الملونة وبعض العطور لنساء القرية وفتياتها الأبكار ٠٠ ولم يكلفه هذا شيئا ، فقد قلب صندوق الدنيا الى صندوق صابون ومناديل وزجاجات عطر القسيس ، يحمله على ظهره ويطوف به القرى والعزب مستعملا نفس النفير ٠٠ وما كان عليه الا أن يقف على رأس الحارة أو الزقاق وينفخ فى النفير الذى كان ينفخ فيه أيام السفيرة عزيزة والزناتى خليفة ، حتى تهرع اليه نسوة القرية

جميعا وبناتها ويلتففن حوله يشترين منه ويبيع لهن ويجادلونه ويجادلهن فى لهجته ذات اللكنة الرومية الجميلة المحببة الى نفوسهن ..
وربح كرياكو من وراء هذه التجارة الجديدة ربحا مكنه من أن يشترى حمارا وخرجا وضع فيه بضاعته وحمله على حماره وراح يطوف به قرى المركز جميعا راكبا حماره العزيز الذى استطاع أن يدربه على ما يريد وعلى ما فيه راحته ، وأهم مادربه عليه وأتقنه الحمار اتقانا غريبا .. هو أن الحمار عندما يقبل على أول القرية يرسل نهيقه الطويل الذى تعرفت عليه النساء فى القرية فيهرعن الى كرياكو ويستقبلنه على رأس الطريق ..
وظل كرياكو هكذا زمنا طويلا ، غير أنه فجأة زهد فى هـذه المهنة وتركها الى مهنة أخرى ..
فقد استأجر من شركة الدلتا بوفيه المحطة ، وهو عبارة عن كشك خشبى صغير بجوار كشك الناظر ، وجاء بعم غندور نجار السواقى فى قريتنا ، فأقام له به عدة أرفف وصنع له عدة كراسى خشبية صغيرة وثلاث ترابيزات صنعها له عم غندور من خشب السنط .. وملأ هذه الأرفف بزجاجات النبيذ الأحمر والعرقى والكونياك الرخيص .. كما راح يصنع القهوة والشاى للمسافرين بقرش واحد للفنجان ..
أما النبيذ والعرقى فبقرشين ، والكونياك بثلاثة قروش بما فى ذلك المزة التى كان يجيد صنعها كما يجيد تقديمهـا مكونة من الترمس والفول النابت والجزر المخلل الذى يتحدث لكل زائر عن فائدته وتأثيره وقيمة الفيتامينات التى يحتوى عليها ..
وبعد أن استقر به الحال فى هذا العمل الجديد واطمأن اليه .. غاب عن القرية أياما ذهب فيها الى الاسكندرية ثم عاد ومعه زوجة جميلة تشبه فى شعرها الذهبى وعيونها الزرق وقوامها الأهيف المشوق ، السفيرة عزيزة التى كان كرياكو فيما مضى من الأيام يعرض علينا صورتها فى صندوق الدنيا ، وأخذت مدام كرياكو تعاونه فى عمله ، هو يصنع القهوة والشاى ويعد كاسات النبيذ والعرقى .. ومدام كرياكو توزعها على الزبائن الذين يتركون عملهم ويهربون من الحقل ويجلسون طوال النهار

في خمارة كرياكو يحتسون النبيذ ويلعبون البصرة ، ويختلسون نظرات الهيام والعشق لمدام كرياكو التى كانت تعرف كيف ترد على هذه النظرات ردودا فيها من الدلال والأنوثة وغنج الفرنجيات ما يشبه السياط التى تلهب الجسد وتحرق نارها قلوبنا نحن أهل الريف السذج الأطهار ..

وشيئا فشيئا راج حال كرياكو رواجا كبيرا ، كما أصبحت خمارته قبلة أنظار أهل القرية جميعا رجالا وشبابا وشيوخا .

وما كان على الواحد منا الا أن يجمع القروش بأى وضع وعلى أى وضع ويذهب بها الى خمارة كرياكو ويجلس فيها يشرب النبيذ ويلعب البصرة وينتظر نصيبه من تلك النظرات التى توزعها مدام كرياكو ذات الحسن والدلال .. وتوزعها على الرواد بمقدار .. حتى ضاقت الحانة بالرواد فاستأجر كرياكو قطعة أرض صغيرة خلف الحانة وأقام عليها حديقة غناء ذات تكاعيب العنب الوارفة وأقام تحتها عدة موائد جميلة انتثرت فى الحديقة ويجلس اليها الرواد فى الليل وفى النهار يشربون القهوة والشاى الأسود أمام الناس ، وأمام الحقيقة ، النبيذ والعرقى والكونياك .. تقدمه لهم فى الحديقة تحت ضوء القمر مدام كرياكو كما كانت تقدمه لهم نهارا فى الحانة ..

وزادت على ذلك بأن قدمت لهم شيئا آخر هو صداقتها التى بدأت توطدها ببعض ذوى اليسار من الرواد ، فصادقت العمدة .. وصادقت شيخ الخفراء .. كما صادقت حضرة مأمور المركز الذى كان يجىء الى قريتنا بين الحين والحين ويقضى سهرته مع مدام كرياكو التى اختصت هى بالحانة والحديقة تدير شئونهما وتسهر على رفاهة روادهما كما تفرغ كرياكو لتجارة أخرى جديدة وهى اقراض الناس بالربا .. اذ راح يقرضهم المال الى أجل يقصر ويمتد بعمر الزرع فهذا على القطن وذاك على القمح وثالث على الذرة .. وكان لا يقرضهم المال أبدا .. حتى لا يظن أنه أصبح ميسورا يملك المال الذى يقرضه للناس ، وانما هو يقرضهم مايحتاجون اليه من سلع يستجلبها لهم من السوق .. كالدخان والأقمشة والشاى والسكر والصابون .. وهو أيضا يقرضهم شيئا آخر غير هذا كله .. يقرضهم النبيذ والعرقى والكونياك الذى يحتسونه فى الحانة ..

وقد أعد لكل زبون دائم كراسة صغيرة يوقع الزبون على احدى صفحاتها وعلى مدام كرياكو أن تملأها بعد ذلك ببيان الطلبات وكان يرضيه الزبون الذي يدفع الحساب أولا بأول بقدر ما يرضيه ويسره الزبون الذى له فى صندوقه تلك الكراسة .. التى كانت لاتخرج من هذا الصندوق الا اذا جاء الحصاد أو جاء أكتوبر العظيم وكان من هؤلاء الذين أعدت لهم كراسة دائمة عند كرياكو ، الشيخ عصفور . والشيخ عصفور هذا علم من أعلام قريتنا يعرفه الجميع ويحبه الجميع ..

وكان رجلا ميسور الحال يملك في قريتنا خمسة أفدنة تدر عليه المال الوفير ، ويملك أيضا قطعة الأرض التى أقام عليها كرياكو حديقته الغناء .. وهو رجل فرح دائما ، مرح دائما ، لايعرف ثغره غير الضحك والتندر وارسال الفكاهة الجميلة المستملحة التى تطربك وترضيك ..

وكان يميل الى القصر بحيث يلفت نظرك قصره الفارط ورأسه الضخم الكبير وجسمه العريض ، كما تلفت نظرك أناقته الدائمة التى تتبدى لعينيك فى ثوبه الأبيض النظيف وعمامته ذات الشال المزهر التى اشتهر فى القرية باحكام لف شالها وقلوظته حتى أن العمدة كان فى اليوم الذى يذهب فيه الى المركز لحضور الجمعية يبحث عن الشيخ عصفور ليلف له عمامته نظير خمسة قروش .. فقد كانت هذه تسعيرة لعمامة العمدة ، ثم تقل بعد ذلك هذه التسعيرة تدريجيا فتصبح ثلاثة قروش لشيخ البلد وقرشين لمن هم دون ذلك ..

. والشيخ عصفور كان لا يأخذ هذه القروش لأنه فى حاجة اليها ولكن لأن مهارته فى لف شال العمامة لا يصح أن تبتذل أو تهان فتصبح للناس بالمجان ..

وكان الشيخ عصفور له عدة أشياء هى من مستلزماته منها حمارته البيضاء التى يركبها ومظلته التى لا تفارق يده والتى كانت من مستلزمات أناقته فهو يجدد قماشها كل عام ويحرص على أن يجعله من السوكبيس الأبيض الذى يصنع منه جلبابه .

وكان الشيخ عصفور يجهل القراءة والكتابة ، ومع ذلك يحمل جريدة قديمة فى يده دائما وكثيرا ما تكون جريدة المقطم التى يشترك فيها العمدة وتصله بصفة دائمة .. وكان لا يحلو

له أن يتحدث الا باللغة العربية الفصحى التى تطربك وتجعلك تستلقى ضاحكا ٠٠ كأن تقول له مثلا :

ـ ألك فى أن تذهب معنا الى السوق يا شيخ عصفور ؟ ٠٠

فلا يقول لك لا أو نعم ٠٠ وانما يروح يعطيك درسا طويلا فى تصاريف القدر ٠٠ وكيف أنه كان يبغى ذلك لولا أن خاب الرجاء وضل رائد الأمل وأبى القدر الغاشم الا أن يضن عليه بالذهاب معنا الى السوق ٠٠

ومن طرائفه الجميلة التى نتناقلها فى القرية الى اليوم ٠٠ ما حدث له ذات ليلة ٠٠ فقد اشتهر الشيخ عصفور فى القرية بأنه يكتنز المال الكثير مما أغرى به اللصوص فسطوا على داره ليلا وكان مستغرقا فى النوم ٠٠ فأحس بهم شقيقه وكان يدعى مصطفى ٠٠ فتصدى لهم وطردهم بأن أطلق عليهم عيارا ناريا من بندقيتـــه أصاب ـ القصابيـــة ـ الملقاة بجوار الدار ٠٠ والقصابيةهذه هى وعاءخشبى كبير يستعمل فى اصلاح الأرض وأبلغ الأمر الى المركز فحضر على الفور رجال الضبط وعلى رأسهم وكيل النيابة المحقق الذى استدعى الشيخ عصــفور ليأخذ أقواله ٠٠ فأقبل الشيخ عصفور يتيه عجبا بجلبابه الأبيض وعمامته ذات الشال المزهر ومظلته السكوبيس وأدلى بشهادته فقال :

ـ بينما كنت ليلة الأمس فى الحجرة تعلقى ، ومجرد من ثيابى ، فدخل على اللصوص بالأردة ٠٠ والأ لا نارى ٠٠ فقام مصطفى أخى من نظره الشقى ضرب فى رجل القصابية ٠٠

هكذا كان الشيخ عصفور فى قريتنا مما حببنا فيـــه وجعله علما من أعلامها كما جعله أيضا زبونا دائما عند كرياكو ٠٠ فقد كان يحب الخمر وكان يجلس طوال النهار وأغلب الليل فى حديقة كرياكو تحت تـكعيبة العنب الوارفة ٠٠ يحتسى الخمر الكأس تلو الكأس تقدمها لهمدام كرياكوالتى أحبته واستظرفت أحاديثه فخصته بجل نظراتها ٠٠

وكان الشيخ عصفور يشعر بسعادة لا حد لها تكتنفه وتفيض عليه وهو فى الحديقة تحت العنباية يجلس الى مدام كرياكو يبادلها كأسا بكأس ويمز معها من الترمس والفول النابت والجزر المخلل الذى يجيد صنعه كرياكو ٠٠

وامتدت السهرة الجميلة ذات ليلة بالشيخ عصفور ومدام كرياكو وتضاعف الحساب ولم يكن مع الشيخ عصفور ـ فكة ـ فطلب منه كرياكو أن يقيده وما أن قبل الشيخ عصفور حتى مزح كرياكو وابتهج وهرول الى الصندوق الخشبى ثم عاد ومعه كراسة ذات لون أزرق جميل قدمها للشيخ فوقع على ذيل احدى صفحاتها ..

واستسهل الشيخ هذه الكراسة وراح يوقع على احـدى صفحاتها من حين الى آخر ومدام كرياكو تسجل عليها الحساب مفصلا ..

الى أن مر العام فاستولىَ كرياكو على بعض محصـول الشيخ وأحيانا كان لا يستولى على شيء مفضلا ترحيل الحساب الى عام آخر حتى تراكم الدين .. ولكن لما فكر الشيخ عصفور فى الأمر أو أراد أن يضع له حدا خرجت له مدام كرياكو فى ثوبها القصير وشعرها الأصفر وعيونها الزرق فنسى الشيخ كل شيء الا ذلك الدوار اللذيذ الذى يغمره وهو يشرب الخمر ويلعب البصرة مع مدام كرياكو وينتهز كرياكو هذه اللحظات التى ينتشى فيها الشيخ فيقدم له الكراسة الجميلة الزرقاء فيوقع الشيخ بخاتمه على ذيل احدى صفحاتها ، ثم زاد على ذلك هذه الجنيهـــات التى تبلغ العشرات التى يأخذها الشيخ ، لأن مدام كرياكو ستذهب الى القاهرة تقضى أياما وهو يريد أن يصحبها أو أنها ستذهب الى الاسكندرية فى الصيف وهو يريد أن يرافقها ..

الى أن جاء يوم أمسى فيه الشيخ عصفور وأصبح على أحـد المحضرين يدق بابه ويسلمه عريضة دعوى بنزع ملكية داره والخمسة أفدنة التى يملكها فى القرية وقطعة الأرض التى يقيم عليها كرياكو حديقته الغناء .. وذلك وفاء لمبلغ ثمانمائة واثنين وثلاثين جنيها وخمسة وستين قرشا وثلاثة مليمات يستحقها جناب الخواجا كرياكو ميخاليدس يردميان بموجب كمبيالات مسجلة ومستحقة الدفع وأسقط فى يد الشيخ عصفور وراح يصرخ فى الناس طالبا النجدة ولكن دون مجيب ..

وأصر كرياكو على طلباته ولم يستجب لشفاعة العمدة ولاحتى مأمور المركز ..

وانتزع ملكية الخمسة أفدنة والدار الجميلة وقطعة الأرض المقام عليها الحديقة وآلت ملكية هذا كله اليه ..

وأسرع وابتنى دارا جميلة وسط الحديقة قطنها هو ومدام كرياكو ..

وآلم هذا الشيخ عصفور ، وآلمه كثيرا .. وآلمه أكثر أن تنكرت له فجأة مدام كرياكو فلم تحفل به أو تلتفت اليه اذا ما أقبل على الحانة أو خرج منها أو جلس في الحديقة التي كانت في يوم ملكا له .. وكذلك كرياكو أصبح لا يلتفت اليه أو يعيره اهتماما بل زاد على ذلك بأنه اذا ما طلب الشيخ عصفور كأسا من النبيذ أو حتى فنجانا من القهوة أبى أن يقدمه له الا اذا نقده القرش مقدما ..

كما تنكر له أكثر الناس في القرية وجعلوا غرامه بمدام كرياكو ، وضياع ثروته موضع أحاديثهم وتندرهم ..

وعز هذا كله على نفس الشيخ عصفور التي كانت لا تعرف غير الفكاهة والضحك ، وأصبح يفكر في الانتقام من كرياكو وزوجته ، هذه الغانية اللعوب ..

ولكن كيف ينتقم منهما وكل من في القرية طوع بنانهما ؟. ويأتمر بأمرهما .. حتى العمدة .. حتى مأمور المركز نفسه

ولما أعياه التفكير ولم يهتد الى حل يريحه وآذاه في نفسه حال البؤس الذي وصل اليه ، ترك القرية وهاجر الى مكان مجهول لايعرفه فيه أحد . حتى انقطعت أخباره فجأة .. فمن قائل يقول أنه ألقى بنفسه في النيل ، ومن قائل يقول أنه ألقى بجسمه تحت عجلات القطار .. وآخر يؤكد بأنه رآه بعيني رأسه يمد يده ليتلقى الصدقات من الناس عند مسجد الحسين . ولكن هذه الأقاويل جميعا انقطعت مرة واحدة . وذلك عندماعاد الشيخ عصفور فجأة الى القرية . وعلى حال أحسن مما كان عليها من قبل أن يذهب ماله وتضيع ثروته .. فقد راح ينفق المال ذات اليمين وذات الشمال ، وينفقه بكثرة غريبة مما لفت الأنظار اليه . ولاسيما كرياكو وزوجته . مما جعل الأقاويل تتناقل عنه .. هذا يقول أنه وقع على كنز كبير ، وهذا يقول أن له شقيقا كان في الحجاز واستوطن فيها وأثرى ثراء فاحشا ومات من أيام فورث الشيخ عصفور ثروته هذه التي ينفق منها عن سعة .

وعاد الشيخ عصفور من جديد الى حانة كرياكو يشرب النبيذ ويلعب البصرة مع مدام كرياكو التى راحت تبثه غرامها الملتهب وكيف أن النوم كان محرما على عينيها الجميلتين طوال غيبته ٠ الى أن تنتهي السهرة ويدفع الحساب ولكن لاعلى الكراسة الزرقاء بل من حافظة نقوده التى كان يخرجها مكتظة بالمال الوفير الذى يسيل له لعاب كرياكو ويسأله عن مصدر هذا الثراء، فيستلقى الشيخ ضاحكا ويقول :

ـ من عند الله ياخواجا ٠

الى أن جاء يوم أقبل فيه الشيخ عصفور على الحانة على غير عادته يكتنفه الحزن العميق والتفكير الممض والحيرة التى لاحد لها ٠ فسأله كرياكو عن سره فأفضى اليه به ٠ وهو أن للشيخ عصفور صديقا عزيزا عليه جدا يقطن احدى القرى النائية أوقعه القدر فى مأزق حرج للغاية ، وهو فى حاجة الى ألفين من الجنيهات ينقذ بها بيته من الدمار ٠

ولقد لجأ للشيخ عصفور ليقرضه هذا المبلغ من ماله بحق الصداقة التى بينهما ، وبذلك أوقع الشيخ عصفور فى مأزق حرج جدا ٠٠ فهو ان أقرضه هذا المبلغ فسيعرف عنه أنه على ثراء كبير حتى أنه يقرض الناس الألوف ٠ وهو لايريد أن يعرف الناس عنه هذا حتى لايغرى الأصدقاء بالاقتراض منه ٠ أو يغرى به اللصوص فتسطو عليه ٠ وهو ان لم يقرضه هذا المبلغ فسوف تتعذب نفسه طوال الحياة لأنه لم يقدم معونة لصديق هو فى حاجة اليها ٠٠

وراح كرياكو يتشاور معه فى الأمر ٠ ويقلبه على عدة وجوه ويتدبر معه ، ولكنه لم يهتد الى حل موفق يرضى ضمير الشيخ عصفور ويريحه من كلام الناس ويجنبه حسدهم ٠

وبينما هما كذلك يتدبران الأمر ويفكران فيه ٠٠ اذا بالشيخ عصفور ينطلق وجهه فجأة ابتهاجا بالحل المفاجىء الذى اهتدى اليه ومد يده فرحا وأفرغ الكأس التى أمامه فى جوفه ، وقال مبتهجا ، وهو يدق بيده على المائدة دقة قوية فى غبطة ، كمن يكون قد ظفر بشىء ثمين :

ـ وجدت الحل ٠٠

فقال كرياكو :

ـ ماهو ؟

ـ سيحضر الرجل غدا ليأخذ المبلغ · فأفهمه انني عجزت عن الحصول عليه ولكنى توسطت له لديك لتقرضه أنت المبلغ نظير فائدة بسيطة جدا ، وانك قبلت هذا اكراما لوساطتي ··

فلمعت عينا كرياكو لمعانا خاطفا ورقص شاربه الطويل المتدلى على شفتيه الكبيرتين وقطب مابين حاجبيه وهم أن يقول شيئا ، ولكن الشيخ عصفور قاطعه ضاحكا وهو يربت على كتفه العريضة :

ـ انتظر · وغدا سأحضر لك المبلغ وأضعه في ظرف وأرسله اليك خلسة فتقدمه أنت اليه باعتباره منك بعد أن تحرر عليه الكمبيالة اللازمة لمدة ثلاثة أشهر هى الباقية على أكتوبر ·· وبذلك أكون قد أنقذت صديقا من الدمار ·· دون أن يطمع فى غيره من الأصدقاء · ثم بعد أن ينصرف هو تحول أنت لى الكمبيالة ··

وقدر كرياكو للشيخ عصفور هذه الأريحية الكبيرة · وهذا القلب المفعم بالخير للناس ، واسداء الحسنة دون مقابل · وان كان تفكيره فى هذه الثروة الطائلة التى هبطت على الشيخ فجأة كان شغله الشاغل طول الليل ··

وفى اليوم الثانى أقبل الشيخ عصفور على كرياكو ومعه الصديق الذى حدثه عنه بالأمس · وبعد أن شربا القهوة · وشكر الشيخ عصفور لكرياكو كرمه وفضله وأريحيته هذه التى جعلته يقرض هذا الصديق الذى لايعرفه هذا المبلغ الكبير من المال · وبهذه الفائدة البسيطة جدا ··

ودس الشيخ خلسة فى يد كرياكو الظرف الكبير المكتظ بالمال · فهز كرياكو رأسه الكبير وأخرج من صندوقه الخشبى حافظته الجلد وحرر الكمبيالة بالمبلغ فوقع عليها الرجل وتسلم المبلغ نقدا وعدا · ثم انصرف شاكرا لكرياكو والشيخ عصفور هذا الفضل الذى لن ينساه طوال عمره · وبعد أن انصرف حول كرياكو الكمبيالة للشيخ عصفور الذى انتقل بعد ذلك الى مدام كرياكو الكمبيالة يحتسى معها النبيذ ويلاعبها البصرة ·

ومرت الشهور الثلاثة المحددة للكمبيالة . وأمسى كرياكو ذات ليلة وأصبح على المحضر يدق بابه في عنف ، ويسلمه عريضة دعوى طويلة تلزمه بأن يدفع فورا للشيخ عصفور مبلغا من المال يزيد على الألفين من الجنيهات بموجب كمبيالة محولة اليه ومحررة على رجل مجهول اتضح أنه لاوجود له .

وفي هذا تقول جدتي التي عاصرت هذه القصة :

ـ والى اليوم يرى المار على قريتنا دارا جميلة ذات حديقة غناء ، تعرف بدار الشيخ عصفور .. وكانت فيما مضى تعرف بحانة كرياكو ..

***


أيام من العمر...

عرفت ـ رجوات ـ بعدأنمات أبى ، انقلبت بى أمى الى قرية بعيدة سعيا وراء الحياة ٠٠ كانت القريةالتىانتقلنا اليها كبيرة ، كبيرة جدا ٠٠ فيها طرق عدة ، وبيوت متعددة ٠٠ وكان فيها نخيل وأشجار ، وفيها أيضا جنينة وعنباية أمام منزل العمدة ٠ وكانت حارتنامعروفة (بحارةالفقي) ، ولست أدرى هلمازالت باقية الى الآن ؟ أم مضت هيالأخرىمعمنمضى ٠ كانت الحارة فى نهاية القرية عند الجسر ، وكانتحارة ضيقة ٠٠ ضيقة جدا ، وكانت قصيرة أيضا ٠ كان لها منفذ واحد فقط أما المنفذ الثانى فكان جدار طاحونة مهجورة ٠ كدس فيها أحد أثرياء القريةروث الماشية وسبلة الخيل والحمير ونفايات أخرى عفنة ، ليغذى بها أشجار الفاكهة التى تزين مساحة كبيرة من مزرعته ٠٠

أنا لم أر تلك المزرعة ولا تلك الأشجار التى تثمر لصاحبها الخيرات والنعم ٠ ولكن رجوات حدثتنى عنها كثيرا ـ قالت لىأن أشجارها تثمر البرتقالوالجوافةوالرمان ، وأكدت لى كذلكبأنها تثمر التفاح أيضا ٠٠ ولما سألتها عن التفاح عرفت أنها هى الأخرى لاتعرف عنه شيئا ٠ ولست أدرى لماذا آلمنى ذلك ٠

كانت الغرفة التى قطنتها أمى فى دار نهاية الحارة ٠ وكانت غرفة رحبة فسيحة ، ولكنها كانترطبةمظلمة ٠٠ كانتالشمس لاتعرف طريقها اليها الا عندما تقارب الغروب فترسل اليها شعاعا باهتا مصفرا كشعاع العين التى تحتضر ، وكان هذا الشعاع ينفذ اليها من طاقة صغيرةتطل علىالطاحونة ، قد اتخذت منها العناكب وبعض الحشرات التى تزحف من تلال الروث والنفايات العفنة بيتا لها ٠٠ وكثيرا ماكانت تتسلل الى الغرفة فى الليل ٠ ولذلك سدتها أمى ٠٠ وسدتها سدا محكما ، اذ حشرت فيها قلب قلة قديمة ، مفضلة الظلام الدائم على ذلك الشعاع المحتضر الذى كنا ندفع ثمنه غاليا كل ليلة ٠ والغرفة الثانية التى كانت تلى غرفتها مباشرة ، كانت تقطنها رجواتمع أمها التى كانت معروفة فى الحارة ـ بخالتى (شلباية) ـ وهى عجوز أربت على السبعين ٠ وأصيبت بالفالج من عشرين عاما ٠

فقعدت على رأس الحارة بجوار صندوقها الخشبى المتآكل الذى

قسمته الى عدة أقسام للكراملة والسودانى والترمس وحلاوة زمان وتنادى على بضاعتها هذه • تنادى عليها سواء مر بها أحد أو لم يمر ، وتذب عنها بمذبة متآكلة سواء تجمع عليها الذباب أو لم يتجمع ذلك لأنها كانت قد فقدت بصرها الا من شعاع ضئيل مازال يذكرها بالنور الذى كانت تراه فيما مضى • ومع ذلك كانت راضية عن هذه الحياةلاتشعر بالضيق أبدا • ولاحتى فى الساعات التى كانت لاتجد فيها من يحملها بصندوقها الى الدار اذا جاء الليل ، أو الى رأس الحارة ان أقبل النهار • وكثيرا ماكنت أنا ورجوات نقوم بهذه المهمة كأن نحمل لها الصندوق أو نأخذ بيدها ••

ولما اشتد ساعدى بعض الشىء كنت أنقل لها الصندوق بمفردى وكان ذلك يطربها كثيرا ويطرب رجوات أيضـــا •• أما الغرفة الثالثة التى بها البيت الذى نقطنه • فكان يسكنها الشيخ نوفل فقيه المسجد الضرير وهو كهل فى الستين من عمره • أتت الايام على كل شىء فيه ، ولم تبق منه الا مايشبه الصورة القديمة التى تآكل اطارها ، وتسلل البلى الى رسمها • وكان الشيخ نوفل مقوس الظهر يمشى دائما على عكاز من السنط الغليظ يدفعـــه أمامه حاملا عليه صدره المائل الى الامام دائما حتى لتحسبه من بعيد فى قصره المفرط وجسده النحيـــل هرة كورت ظهرها من شدة الهلع والفزع والخوف و بيد أنه كان بالرغم من هذا ومن السن التى تقدمت به والآفة التى ولد بها • كان أكثر أهل القرية همة ونشاطا وحركة دائمة • فهو يشغل فى القرية وظائف عدة • غير وظيفة فقيه المسجد التى لايتقاضى عليها أجرا • كان حانوتى القرية وقارىء القرآن فيها •• يقرؤه على رأس الميت عندما يخرج من الدنيا ويقرؤه على رأسه عندما يدخل الآخرة فى القبر ويقرؤه أيضا ويوزع آياته على القبور يوم زيارة الجبانة فى الأعيـــاد والمواسم وهو يقرؤه أيضا فى بعض بيوت القرية كل صـــباح ـ بالمسانية ـ والمسانية هذه كيلة من الحنطة كل عام ••

أما اذا جاء رمضان فهو ـ مسحراتى ـ القرية • وكنا جميعا أنا ورجوات ، وأمى وأمها نفرح وتغمرنا الفرحة اذا جاء رمضان • ونسر ويفيض علينا السرور حتى يملأ البيت كله • لأننا كنـــا فى رمضان وبفضل الصدقات التى كانت تنهال على الشــــيخ

نوفل والتى كان يقسمها علينا • نحس بلذة النعمة وسعادة الدنيا ومافيها من خيرات •

وكلما اقترب العيد نعمنا بهذا الخير وغرقنا فيه ومازلت أذكر رغم التاريخ الطويل ، تلك الليالى السعيدة التى يدخل علينافيها الشيخ نوفل بعد السحور • ويفرغ بيننا جواله المكتظ بالنعم وتنساب أيدينا المتلهفة الى تلك الكومة العالية التى أمامنا ، تستخلص الجبن من العجوة ، ومخلل الخيار واللارنج من البلح والجوافة ، والعيش المقددمنالكعكوالمنين ، وعظم الدجاج وبعض قطع اللحم الصغيرة ، وكنا أنا ورجوات نتناوب صحبة الشيخ فى تلك الليالى ، أنا ليلة ورجوات ليلة ، نجوب معه الحوارى ، والأزقة والطرقات ، يحمل هو الجوال على كتفه ، ويضع ذراعه اليسرى الهزيلة على كتفى ، ويمسك بالثانية عكازه السنط ، وأنا أحمل الفانوس ، ويروح الشيخ يردد فى الليل ، يردد أهازيجه المعروفة المتكررة ــ ياسي فلان يا أصيل الجدود ــ وكان كل من فى القرية عنده أصيل الجدود ..

ولما اشتد ساعدى كنت أنا أحمل الجوال على كتفى وأدق على الطبلة وهو يحمل الفانوس ويدقعلىالطبلةوهو ينادى • وكانت له قدرة عجيبة فى معرفة الدور وأسماء أصحابها فما كان على عندما نبلغ أول الزقاق أو الحارة الا أن أقول له اسمها فقط ، حارة الزناتى ، أو حارة أبو طاقية ، أو زقاق أبو جاموس ، فيعرف هو البيوت بيتا بيتا ويردد أسماء سكانها اسما اسما • وذات ليلة كنا نجوب القرية قبيل الفجر كالعادة • ومررنا على دار العمدة وكان يتناول سحوره تحت ضوء القمر فى الجنينة ، فهمست بذلك للشيخ ، فقد كان الاتفاق أن أهمس بكل شىء ، وما أن قلت له حتىتسمر فى مكانهوقد تهلل وجههفرحا واهتزت يده مرتعشة على العصا وكأنها ترقص طربا ، ومن ثم راحيرسل عقيرته فى الليل متشببا بالسيد العمدة وبرسمهوكسمهوجماله • معددا مناقبه وأخلاقه وكريم سجاياه وأفضاله المتعددة علىالقرية وسكانها • وأفضاله على الناس وعلى الدنيا الخلق ، حتى استنفد كل مافى جعبته ولم يبق شيئا يقال لأحد ولا حتى لله نفسه ، وكأن هذا أطرب العمدة وأثلج كبرياءه ، وأرضى مشاعره فلم يصرفنا كالعادة سريعا بشىء يجود علينا به ولكنه ظل يأكل فى

لذة وابتهاج وهو يستمع ويستمع بما يقال فيه من مديح ، حتى تعب الشيخ وبح صوته وخفت حتى غدا كالهواء كمواء القطط فى الظلام ..

وعند ذلك رفع العمدة يده الكريمة وأشار الى فتركت الشيخ سريعا ككلب الصيد عندما ينطلق خلف القنص .. ولما مثلت أمامه مد الرجل يده وأعطانى نصف دجاجة سمينة كانت أمامه على المائدة فتلقفتها غير مصدق ، ولماانصرفت الى الشيخ لم أضعها فى الجوال ككل شيء ، وانما أخفيتهـــا فى جيبى وفى الطريق سألنى الشيخ قائلا :

ـ ماذا أعطاك ؟

ـ كسرة من الخبز وبعض عظم الدجاج ..

فتمتم الشيخ وهو يسير بجانبى :

ـ لهم الدجاجة ولنا العظم . .

فقال عم رضوان السقاء لاهثا وكان يسير خلفنا فى الليـل يحمل على ظهره قربة ماء كبيرة وكأنه يحمل أعباء الدنياوأثقالها فوق كتفيه :

ـ لهم الدنيا ولنا الآخرة ياشيخ نوفل ..

فتبسم الشيخ نوفل بصوت خافت وكأنه يخاطب نفسه :

ـ ومن الذى اختار لنا ذلك ؟

وكأن الشيخ فطن الى مايقول . فبسمل وحوقل واستغفر الله مرات ثم تمتم ..

ـ الحمد لله .. والخيرة فيما اختار الله ، وفى الدار غافلتهـم جميعا وانتهزت فرصة تجمعهم حول الجوال وتهافتهم على مافيه ونبشهم فى قلبه كما تنبش الكلاب فى صناديق القمامة تماما .

وأشرت الى رجوات فتبعتنى الى السطح ، ومن ثم تسللنا الى قبو الطاحونة وسقطنا فوق كومة عالية من الروث والنفايات الجافة وجلسنا فى الظلام نأكل نصف الدجاجة السمينة الشهية ونلتهم لحمها فى لذة فائقـــة . ونلعق عظامها ونمسح عليهـا بشفاهنا ونقرضها بأسناننا كماتقرض الجرزان فى الليل الخشب ثم دفنا مابقى من عظم خشن لم تقدر عليه أسناننا فى قلب الروث وانصرفنا بتسلق جدار القبو ثانية ..

وبينما نحن نتحسس أقدامنا فى الليل انهارت كومة من التين

تحت قدم رجوات فسقطت على الأرض فوق التبن وسقطت أنا أيضا فوقها لأنها كانت قد تعلقت بي وجذبتني اليها • ولكنى نهضت سريعا ورحت أنهضها سريعا أيضا ••

وبينما أنا أمد يدى اليها فى الظلام لأنهضها أحسست بشيء تخفيه فى صدرها فتحسسته فاذا به كرة من المطاط أو الجورب لا أدرى •• فسرنى ذلك جدا لأننى أحب هـذه اللعبة وكانت تعرف ذلك ••

ولكن آلمنى أنها تخفيها عنى ولم تقل لى عليها ولذلك قلت لها غاضبا :

ـ من أين جئت بهذه الكرة ؟ ••

ـ أية كرة ؟ ••

ـ هـــذه ••

ومددت يدى الى مكان الكرة من صدرهاووضعت يديهاالاثنتين فوق مكانين معينين من الصدر وقالت وهى تضـحك هامســـة فى الظلام :

ـ انهما كرتان ياعبيط !••

فخجلت خجلا شديدا واكتنفتنى موجـة من الخزى لأننى لم أفطن الى مالمست يداى • ولكن من غير قصد رأيتنى أتطلع الى صدر رجوات وأحسست شيئا غريبا لا أعرف له كنها يغمرنى ويفيض على وأن عملاقا لاعهد لى بقوته يغوص فى أعماقى كمـــا يغوص السباح الماهر الى القاع ويطبق على كيانى ومشاعرى فى وحشية • وراح يهزنى هزا عنيفا وهو يلطم مشاعرىوأحاسيسى لطمات قاسية موجعة ، ومع ذلك كله ظلت مشدودة الى صدرى تتطلع الى الكرتين اللتين كنت أظنهما منذ اللحظات من الجورب أو المطاط • وتطلعت أيضا الى أشياء كثيرة •• كثيرة جـدا •• ووجدت لذة كبيرة وأنا أديمالنظر فى الظلام الى بعضهذه الاشياء الى عينيها المسبلتين وثغرها المطبق وكأن شـفاهه جلدتا كتاب أطبق على دنيا وعوالموحيوان لا علم لنا بها • ورأيت أيضا فيما رأيت عينيها وأنفها وأذنيها وثغرها وأحسست كأن هذه كلهـا نوافذ تنزاح مزالجها أمام عينى وتتفتح على أنسام عبقة يبعثبها فى الليل ربيع مزهر يتموج فى الظلام عطرا وشذا • ونسيت نفسى فوقفت صامتا لا أنبس ، ووقفت كذلك رجوات صامتـــة

لاتنبس ..
وبينما نحن كذلك نصغى الى هدير أنفاسنا المتلاحقة فى الليل نبح كلب خارج الطاحونة فى الظلام فاضطربت رجوات فجأة اضطرابا شديدا وارتمت فى أحضانى خائفة ترتعش وتصطك أسنانها وتتمتم فى ذعر شديد ..
ـ الكلب .. الكلب ..
ـ لاتخافى انه خارج الطاحونة ..
ولما اطمأنت الى ذلك قالت :
ـ ظننته فى الطاحونة ..
ـ افرضى ذلك ؟..
ـ انني أخاف من الكلاب !..
ـ الى هذا الحد ؟ ..
ـ كنت يوما ألعب في الجرن بجوار مندرة الشيخ فراج ، فألقوا من النافذة بورقة ظننت بها شيئا يؤكل ، فأسرعت الى مكانها ولكن الكلب كان قد سبقنى اليها وعضنى فى ساقى .
وفجأة قلت فى غيظ وغضب وصوت خشن يشبه صوت الرجل المكتمل الرجولة :
ـ أى كلب .. دلينى عليه ؟! ..
فضحكت رجوات وربتت على كتفى وهى تنصرف أمامى لنتسلق معا جدار الطاحونة فى طريقنا الى السطح . بيد أننا أحسسنا بحركة غير عادية على السطح ، بأقدام تروح وتجىء فى دارنا فظنناه الشيخ نوفل يصعد الى السطح لينام عليه بعد السحور كعادته .. فخشينا أن يحس بنا ففضلنا الخروج من الباب ومشينا فى الليل مسافة طويلة حتى أشرفنا على باب الحارة ، وما أن سرنا فيها خطوات حتى سمعنا صراخا وعويلا ينبعث من دارنا فى الليل وكأنه ألسنة اللهب تندلع فى الظلام . ورأينا الشيخ نوفل يقبل علينا من بعيد فى خطى سريعة وهو يردد ويدق الأرض بعكازه السنط الغليظ ، فتكاد تهتز الأرض تحت قدميه ..
ـ انا لله وانا اليه راجعون ..
وما أن اقترب منا وأحس بنا حتى وقف فجأة واقترب من رجوات وقال وهو يربت على وجهها وكأنه مبصر ينظر اليها .

ـ البقية فى حياتك ·· تعيشى انت يابنتى ··

وأدركت الفتاة كل شيء فانطلقت كالسهم ، ووقفت أناذاهلا أصغى فى الليل الى ذلك الصراخ الذى ينبعث فى أذنى كالنار ، وأتطلع الى الشيخ وأتعجب لعينين تعرفان جيدا كيف تبكيان ، ولكنهما لاتعرفان كيف تريان ··

وتغير الحال بعد ان ماتت أم رجوات وأظلمت الحارة ، ورانت عليها وحشة كئيبة ينقبض لها الصدر حتى لكأنها هى الأخرى استشعرت اليتم الذى استشعرته الفتاةتماما · فأقفرت منالمارة فلم يعد الصبية وأبناء الاثرياء في القرية الذين يملكون الملاليم والأرغفة وكيزان الذرة يتجمعون على رأسـها ويلتفون حول صندوق ـ خالتى شلباية ـ يشترون الكراملة والسوداني والترمس وحلاوة زمان · حتى رجوات أيضا حرمت منها الحارة فقد أشفق عليها بعض أهل الخير فى القرية فألحقوها كخادمةفي دار العمدة وانتقلت اليها وتقطعت الأسباب بينى وبينها ··

وبقيت أنا وحدى فى الحارة أقطعها عشرات المرات فى الليل والنهار ، أروح وأجيء فيها وحدى كالكلب الغريب ، والضال الذى يتسكع فى الطرقات وأمام الابواب ، وكلما رأى أحداخاف واستكان وبصبص بذنبه وتطلع بعينيه ، وظللت كذلك الى أن ألحقتنى أمى أنا الآخر بوظيفة ـ تملى ـ عند رجل من أثرياء القرية كان يملك فيها سبعة أفدنة وجاموسة وثورا وثلاثة حمير للسباخ ، ورهوانة كانت موضع اهتمامه لأنها كانت ركوبته الخاصة ، وكان على وحدى أن أعول كل هذه الأسرةالكبيرة غير المتجانسة من الحيوانات وأعنى بها وأقضى لها حاجاتها ·

ففى الصباح الباكر أعد الفطور للجاموسة قبل الحلب ، ثمبعد ذلك أسقيها وأنقلها مع الثور الى الحقل وأعد لهما طعام اليومكله ثم أعود الى الرهوانة وأذهب بها الى الترعة فأحميها وأطمرها وأنقيها بالفرشاةالحديد مما يكون قدعلق بها منحشرات الاسطبل كالقرضة أو غيرها · ثم أنظف السرج واللجام وأمسحهما جيدا وألمع مافيهما منقطعنحاسية حتى يصبحالركابالنحاسى كالذهب يتألق بهاء فى قدم سيدى ، ثم أقضى بقية النهار بعد ذلكفىنقل الروث والأتربة العفنة من الزريبة الىالحقل وأنقل الأتربةالجافة من الحقل الى الزريبة ، وكان هذا عملى فى النهار ·

أما اذا جاء الليل فعلي أن أنظف المندرة وأرتب مقاعدها وأرشها بالماء وأملأ المصباح بالبترول وأمسح زجاجته ، ومن ثم أجلس أمام بابها في انتظار أضياف سيدى الذين يتوافدون عليها معه بعد الصلاة فأعد لهم القهوة والشاى ، ونار النارجيلة وكان هذا يضايقني ويرهقني ارهاقا شديدا أيضا والضيوف لايتحرجون ولا يسكتون ، بل يندون بذلك لسيدى من حين الى آخر فيثور ويغضب ويضربني ضربا موجعا ..

وأذكر ذات ليلة أنه كان من بين رواد المندرة ـ سي خليل ـ وسي خليل هذا هو ابن العمدة وهو فتى مدلل للغاية لاعمل له الا أن يتزين ويتعطر ويسير في وسط القرية يتهادى كالطاووس في جلبابه السويسى الأبيض ، أو الحرير السكروتة وطاقيته الشبيكة المنشاة ذات التخاريم المطرزة التى تمثل القمر ومن حوله النجوم ترسل نورها على ـ قصته ـ التى تدلت خصلاتها على جبينه يداعبها الهواء ، كما يداعب جلبابه الحرير الهفهاف ، الذى يتعمد سى خليل دائما وهو يسير أن يرفع ذيله الى مافوق الساق ليظهر «أستك» جوربه الأحمر الفاقع .. وطلب سي خليل في تلك الليلة فنجانا من القهوة فصنعته له سريعا وأجهدت نفسى لكى أصنعه له جيدا ، ومع ذلك عندما قدمته له نظر فيه وقال على الفور لسيدى متهكما ..

ـ بقى دى قهوة تنشرب .. وفى بيت شيخ البلد .

فقد كان سيدى شيخ البلد ولذلك أخذته العزة وقال :

ـ مالها ؟

ـ دى مية ..

وما أن نظر سيدى الى الفنجان حتى صفعنى صفعة شديدة جعلت الدم يتجمد في أذنى ويصعد الى عينى ولست أدرى لماذا لم أتوجع لهذه اللطمة القاتلة بقدر ماتوجعت من ابتسامة سى خليل وهو يبتسم مسرورا عندما صفعنى سيدى .

لقد تأكدت في تلك اللحظة بالذات أننى حقيقة أكره هذا الفتى ولكن لماذا أنا أكرهه ؟ كنت لاأدرى وكثيرا ماكانت سهرات سيدى فى المندرة تمتد الى مابعد منتصف الليل وأحيانا الى الفجر . وكما يقعى الكلب أمام رجل يأكل ويروح يترقبه فى يقظة وانتباه . كنت أنا كذلك أقعد أمام المندرة فى الدهليز أرقب فى يقظة

وانتباه يد سيدى وعينه ووجهه خشية أن يشير الى أو ينادى على
وكنت أصغي أحيانا الى أحاديثهم فتضيق بها نفسى فهى أحاديث
سخيفة مملة لا أول لها ولا آخر فبينما هم يتحدثون عن دودة
القطن مثلا وخطرها هذ العام تراهم يتحدثون فجأة عن جاموسة
فلان وكيف تدر لبنا أكثر من جاموسة غيره • أو عن زوجةفلان
وكيف أنها ستطلق منه ، تراهم فجأة يتحدثون عنركوبةالعمدة
الجديدة أو يتحدثون عن مأمور المركز الجديد وسطوته وجاهه ،
تراهم يتحدثون عن بقرة الشيخ عليش وكيف أنها تكاد تلدكل
تسعة أشهر كالنساء ••

أما اذا تحدثوا فى السياسة فكانوا لاينصرفون الا عندالفجر
بعد صخب وضجيج يؤذى الأذن وتضيق به النفس وأذكرذات
ليلة ان كان من بين الرواد الشيخ ضرغام وهو من أعيانالقرية
ورجالاتها الكبار وكان مشهورا بتضلعه فى السياسة وتصادف
ان كانت جلسته على الكرويته الخشب بجوار النـــافذة فرأى
مصادفة احدى الصحف التى كانت ترد لسيدى بانتظامباعتباره
شيخ الناحية ، وكان سيدى لايقرؤها لأنهلايعرفالقراءةوكانت
الجريدة ملقاة على الأرض خلف الكرويته فتناولها وما أن قرأها
حتى أعلن بأن الوزارة قد سقطت وأن الوزارة الجديدة قد ألفت
فدهش الجميع ، ومن ثم راحوا يتشـــاورون فى الأمر اذ لابد
كالعادة المتبعة من أن ترسل برقية باسم القرية تأييدا للوزارة
الجديدة •• والعمدة غائب عن القرية فى هذه الليلة وهو الذى
يوقع البرقية باسمه وبعد أخذ ورد وتشاور فى الأمر اتفق على
أن ترسل البرقية باسم القرية وبتوقيع اسم العمدة •

ولما اتفقوا على ذلك راحوا يتشاورون فى صيغة البرقية وظلوا
كذلك الى وقت متأخر من الليل ، وأخيرا أملى صيغتها الشـــيخ
الجلجمونى مأذون الشرع وكانت كالآتى :

« أبناء قرية زنجوار البحر شيبا وشبانا ، رجالا ونســـاء ،
يسجدون لله شكرا اذ أعطى القوس باريها وأسكن الدار بانيها
وأقعدكم على كرسى الوزارة » •

واستدعانى سيدى وأمرنى بأن أكون قبل مطلع الشمس فى
المحطة ــ لأشد التلغراف لمصر ــ واحضر له الايصـال ولم أنم
بطبيعة الحال فى تلك الليلةلأن المسافةكانت بين القرية والمحطة

تزيد على السبعة كيلو مترات .
ولما ذهبت الى تادرس أفندى ناظر المحطة وسلمته البرقية نظر الى دهشا . وقام من فوره واتصل بسيدى من تليفون المركز .
ولما رجعت الى سيدى والبرقية معى لم ترسل ، عرفت بأن الجريدة التى قرأها الشيخ ضرغام كانت جريدة قديمة يرجع تاريخها الى عام مضى . .
وهكذا كانت حياتى فى عملى الجديد .. عمل شاق طول النهار ، وعمل شاق طول الليل ، حتى ضمر جسمى وشحب لونى وساء حالى الى حد كبير ورحت أشكو متاعبى وآلامى حينا الى أمى وحينا الى الشيخ نوفل ولكن دون فائدة حتى تعلمت بأن الشكوى حتى ولو كانت الى الأهل والأقرباء لاتزيد المتعب الا تعبا ولا الذليل الا ذلة ، ولذلك كتمت شكاتى ، ولما تقدمت بى الأيام وعرفت كيف أصنع القهوة والشاى وأجيد صنعهما وقعت فى شر آخر جديد زادنى آلاما على آلامى ، فقد أخذت زوجة سيدى تسىء معاملتى الى حد كبير وتتهمنى بين الحين والآخر بسرقة البن والشاى ، ولما كنت أدفع عنى هذه التهمة الظالمة كانت تضربنى ضربا موجعا ، ومع ذلك كنت لا أخاف من الضرب بقدر ماكنت أخاف من اختناق أنفاسى .
فقد كانت زوجة سيدى امرأة بدينة الى حد كبير جدا وكانت قصيرة أيضا كالدبة وكانت اذا سارت تنتزع قدميها من الأرض انتزاعا وهى تجر خلفهـا ردفين رجراجين كبيرين كأنهما فى ضخامتهما وقبحهما وثقلهما أشبه ببرميلين علقا على كفلها وكان العرق الكريه الرائحة يتصبب منهـا دائما . وكانت زوجة سيدى مصابة بداء النقرس فهى لاتسير ولاتقف الا قليـلا .
ولذلك كانت عندما تضربنى تجاهد نفسها جهـادا مرا حتى تنهض على قدميها وما أن تنشب أظافرها السوداء الملوثة فى عنقى وتهم برفع ذراعها الضخمة لتلطمنى ، أو لتدق رأسى فى الحائط كما كانت تفعل حتى تخونها قدمها وتسقط على الأرض متدهورة الشحم واللحم ، كما تسقط الجاموسة المذبوحة من الخطاف الذى تعلقت به فيتكوم تحتها جسمى النحيل . وفجأة أرانى غصت فى بحر من اللحم والشحم المترهل الرجراج والى أن تنهض من فوقى بعد أن تجمع ذراعا من هنا وفخذا كجوال

الرمل من هناك ، تكون أنفاسي اختنقت وجحظت عيناي واحتقن الدم في وجهي وأروح أسعل سعالا كريها حتى أكاد أشرف على الموت • في حين تروح هي مغتاظة تموء كالقطط وتعوى كالديبة وهي تسبني وتلعنني وتسخط على اليوم الذي استجابت فيه الى رجاء أمي وألحقتني بخدمتها •

وكما يحس الأعمى أحيانا بأنه في حاجة الى أن يرى السماء أحسست بأنني في حاجة الى أمي أشكو لها حالي وأبثها متاعبي وأطلعها على ما أنا فيه من سوء وعلى ما أصـــابني من مرض •• ولما ذهبت اليها وأقبلت على دارنا في الليل طالعتني من بعيـد رائحة جميلة حلوة كنت أعرفها ، ولما فتحت الباب لم يخبطني فقد وجدت رجوات في زيارة أمي بعد شهور طويلة لم ترها فيها ورأيت رجوات لأول مرة ورأيت شيئا جديدا لم أره رأيت شبابا وجمالا وفتنة وصحة سابغة تتبدى في كل شيء في وجههـــا المنور الذي ينشق نورا كأنه القمر وفي عينيها الجميلتين وفي منديلهـــا المطرز بالترتر وخرز النجف ، الذي زانت به الجبين كما يزين الغمام القمر وفي ثوبها البطاطسا الذي تجمله عدة رسوم تمثل بعض الأشـــجار والورود وباقات الزهور التي راحت تهتز فوق ردفين نزقين كأنهما جناحا طائر عربيد وتتماوج كالنسيم على صدر ناهد تزينه كرتان جميلتان ظننتهما يوما من الجورب أو المطاط ورأيت أيضا أشياء أخرى فرحت لها • فرحت أكثر عندما رأيت رجوات تستقبلني تماما كما كانت تستقبلني أيام ان كنا نلعب في الحارة هاشة باشة مهللة • وراحت تسألني عن حالي فقلت لها كل شيء الا الحقيقة ولست أدرى لماذا فعلت ذلك ولا من أين جاءني ذلك الثوب الزائف الذي ارتديته وأنا أقص عليها هنائي وما أنا فيه من سعادة في البيت الذي أعمل فيه وكيف أن زوجة سيدي تحبني وتعطف علي وترعاني ولا تأكل الا اذا أكلت ، ولا تنام الا اذا أعدت لي منامتي ، وكيف أن سيدي قد اتخذ مني ابنا له يطمئن اليه ويثق فيه ويودعه أسراره والمؤلم أن رجوات فرحت لذلك وفرحت له كثيرا جدا حتى أشرق وجهها وتألقت عيناها فأحزنني ذلك لأنها كانت فرحة زائفة ، كانت كفرحة الطفل الذي يمتلك قطعة من النقود والوحيد الذي يعرف أنها زائفة هو أنا ، ولذلك كانت أحزاني بقدر سعادتها تماما

ولما انصرفنا الى الحارة كل منا فى طريقه الى بيت سيده مدت رجوات يدها الى جيبها وأخرجت شيئا متكورا كالكرة وقدمته لى قائلة وهى تكسر على عينيها الجميلتين وتضحك :

ـ مخبياها من جمعة علشانك ٠

فتولتنى فجأة ثورة عارمة وغضبت غضبة الرجل الذى مست كرامته ظننت ان الذى فى يدها كرة من المطاط وظننت ان رجوات مازالت تعاملنى كطفل ، ولذلك قلت لها غاضبا ٠

ـ ايه دى ؟٠ ٠

وكأنها أدركت كل شىء فقالت ضاحكة وهى تلقى بذراعها الجميلة على كتفى ٠

ـ دى تفاحة ياعبيط ٠٠

ولست أدرى لماذا سرني هذا فجأة وسرنى كثيرا جدا حتى انني أحسست برغبة فى أن أقبلها ، ولما لم أجرؤ أحسست برغبة أخرى وهى أن اقتسم هذه التفاحة معها لاشركها فى سعادتى ، ولذلك رحت أضغط بكل قوتى على التفاحة بين يدى ولكن فجأة انتابتني تلك الكحة الكريهة وأمسك بتلابيبى ذلك السعال الاجوف البغيض فاختنقت أنفاسى وجحظت عيناى وأزرق وجهى واحتقن احتقانا شديدا فأمسكت بذراعيها ورحت أتلوى ككلب مضروب على أم رأسه فاضطربت الفتاة اضطرابا شديدا وانقلبت سحنتها فجأة وقالت بصوت مضطرب وهى تمد يدها عند قدمى وتأخذ التفاحة التى كانت قد سقطت من يدى على الأرض ٠٠

ـ الله ٠٠ انت بتف دم ليه يامحمد ؟

ـ لأ مافيش حاجة أصل بس زورى مجروح ٠٠

وسألتنى أسئلة أخرى أجبت عليها جميعا ، ولما اقتنعت بكل الأكاذيب التى اختلقتها لها مدت يدها الى وناولتنى خمسة قروش لاشترى بها جنزبيلا وبذر كتان أغليه وأشربه عند النوم ٠٠

وكانت هذه أول قطعة نقود امتلكتها فى حياتى لذلك كانت فرحتى بها لاتوصف ، ولكى أبقى على هذه الفرحة لم أنفق منها شيئا ولكى أحتفظ بها ولا أفجع فيها يوما نقبت ثنية سروالى وخبئتها فى مجرى تكته ، وكذلك احتفظت بها طويلا وطويلا جدا احتفظت بها قرابة ستة شهور كاملة ومع أننى لم أر رجوات

خلالها أبدا لأنهم في بيت العمدة كانوا قد حذروا عليها الخروج، الا أنني كنت أحس بأنها معي وأنها تحبني وتعطف علي وذلك كلما مددت يدي وتحسست قطعة النقود التي عقدتها على بطني.

ومرت بعد ذلك أيام أخرى من العمر ومرت تماما كالتي سبقتها لا ابطاء فيها ولا اسراع فقد ظل كل شيء كما هو الجاموسة والثور والرهوانة والحمير الثلاثة والمندرة وصنع القهوة والشاي وزوجة سيدي ورأسي الذي تدقه في الحائط كلما ضربتني وأنفاسي التي تختنق كلما سقطت فوق جسمي النحيل وتخبطت في لحمها وشحمها كما يتخبط الغريق في الماء أو كلما داهمتني وأنا نائم في العراء تلك الكحة الكريهة وأمسكت بتلابيبي ، وظللت كذلك الى أن حدث لي ذات ليلة حادث مروع ، اذ كنت أصنع القهوة لسيدي ومن معه كالعادة فنسيت علبة البن بجوار الكانون ولم أضعها في الصندوق الخشبي وأقفله عليها ، ولما قدمت لهم القهوة ورجعت وجدت العلبة فارغة ، والى اليوم لا أدري من الذي فعل هذه الفعلة الشنعاء فأسقط في يدي وانتابني كرب شديد وخوف هائل ولم يكن مبعثه هذه المرة ثورة سيدي أو اختناق أنفاسي اذا ضربتني سيدتي ولكن الصاق هذه التهمة الظالمة بي وزاد الطين بلة أن حضر في تلك الليلة سي خليل ومعه بعض الاتباع الذين يسيرون في ركابه دائما ، ولابد من أنهم سيشربون القهوة وقلبت الأمر على عدة وجوه وتجسم لي الخطر الذي سيلحق بي وبكيت وأنا أمد أصابعي الى ثنية السروال وأخرج القروش الخمسة التي أعطتها لي رجوات واحتفظت بها كالتميمة ، كل ذلك الزمن لاشترى بها بنا بدل الذي سرقوه مني وكان دكان الشيخ عطا الذي اشتريت منه البن بجوار حارتنا وكان هو الوحيد في القرية ووجدتني على بعد خطوات من دارنا ، فأحسست برغبة شديدة في أن أذهب اليها وأن أرى أمي وأرتمي في أحضانها وأذرف على صدرها بعض الدموع وأقول لها الحقيقة التي تجهلها أقول لها أنني سأموت ، ولكنني لا أريد أن أموت تحت أرجل الماشية في الحظيرة ولا في العراء أمام المندرة ، وانما أريد أن أموت على صدرها وأن تقفل عيني عندما تقفل على وجهها هي لا على وجه زوجة سيدي، وذهبت الى دارنا في تلك الليلة ولكني لم أجد أمي وانما وجدت رجوات وهذا مالم أكن أنتظره رأيتها جالسة القرفصاء في غرفتنا

بجوار الفرن تتلوى من ألم حاد يكاد يمزق أحشائها والعرق يتصبب من وجهها الذى تعلوه صفرة تشبه صفرة الاموات ، وكانت وهى جالسة فى مكانها تصرخ وتتلوى كما تتلوى الشاة المذبوحة حتى تغدو كالقنفد لاتعرف له أعلى من أسفل ، وتارة أخرى تنفرد فجأة كالسهم تغرس أسنانها فى خشب البـــاب مستندة الى ظهره وان لم تسعفها ضلفة الباب لتغرس أسنانها فيها غرستها فى شفاهها أو أصابعهـــا ، ووقفت ذاهلا مأخوذا أتطلع الى هذه الذبيحة التى تنتفض أمام عينى ، ولما سألتها عن وجيعتهـــا تمتمت وهى تنشـــب أظافرها فى الأرض وتصرخ ، مغص ..

وكانت زوجة سيدى أصيبت ذات ليلة بمغص مماثل فبعثوا بى فى الليل اشترى لها شربة سلفات ، ولما شربتها شـــفيت واستردت عافيتها ، لذلك أسرعت كالمجنون الى دكان الشـــيخ عطا ولما رجعت بالشربة فى يدى وجدت باب غرفتنا مغلقا ، ولما طرقته أجابتنى أمى من الداخل ولكنى لم أسمع ماذا قالت ، لأن صوتها تلاشى مابين صرخات رجوات التى كانت تصرخ وتتوجع وتستغيث ، ووقفت أنتظر وأنتظر فى قلق لأننى أريد أن تشرب رجوات الشربة لتشفى سريعا .

ولكن الباب لم يفتح فطرقته ثانية وظللت أنتظر الى أن فتح الباب وخرجت أمى مضطربة مصفرة الوجه يتصبب العرق البارد من كل جارحة فيها وهى تتمتم بصوت مرتعش وتزيل عن ذراعيها العاريتين شيئا لزجا لم أتنبه فى الظلام ولم أعرف حتى الآن هل هو نخالة دقيق لوثتها الدماء أم هو رماد الفرن الذى زادته الدماء سوادا ..

ـ ماتت .. ماتت ..

قالت ذلك ثم أغلقت الباب مضطربة وانصرفت تركض الى الخارج ، أما أنا فلم أفعل شيئا ولم أقل شيئا أيضاً ، والى اليوم لا أذكر على وجه التحديد الذى حدث وكل الذى أذكره هو أننى لما انصرفت الى الطريق فى الليل ورحت أقطع أزقة القرية وأجوب طرقاتها فى الظلام صامتا لا أنيس ، تحسست شيئا كان لايزال فى يدى ، ولما تبينت أنه شربة السلفات مددت يدى وألقيت بها فى الطريق فألقيت معها دون أن أدرى بالبن الذى كنت قد اشتريته بقروش رجوات لأصنع منه القهوة لسى خليل ..



"زوجة رجل آخر"

كان الشيخ مروان فى قريتنا أشبه بالمنارة التى تهتدى بها السفن فى الليل اذا أظلم الكون ، وعتم الوجود وغضب البحر وثارت الطبيعة على الناس وحملتهم من أمرهم عسرا ٠ وكانت داره فى قريتنا كعبة السلام ، مادخلها مكروب الا فرج الله كربته ، وما لجأ اليها مظلوم الا أنصفه الله ، وما حج اليها مريض ومسحت يد الشيخ على جبهته الا شفى باذن ربه ، ولم يكن الشيخ رجل دجل وشعوذة فى شىء ، وانما كان رجل علم ودين وتواضع جم ٠ تراه فتحسبه أحد العشرات الذين تقع عليهم عينك فى القرى كل يوم ٠ متواضعا فى لباسه الأبيض الأنيــــق ، ووقورا فى عباءته السوداء ، مهيبا فى لحيته البيضاء التى تشع صفاء وطهرا حتى لكأنها شعاع النور الذى يبهر عينيك ، وكان رجل مرح وفرح وبهجة دائمة ، لايعرف العبوس طريقه الى وجهه السمح الضاحك يلاعب هذا ويضاحك تلك ويتحدث الى الناس أحاديث البهجة والسرور البرىء ٠ أما اذا خلا الى نفسه فهو الهائم على وجهه فى حب الله تهمهم شفتاه بألفاظ غير مفهومة أو معروفة يتلوها ويرددها على حبات مسبحته الطويلة ٠ وكان يظل كذلك الساعات الطوال دون أن يجرؤ أحد على أن يقترب منـــــه ، أو يخرجه من عزلته هذه الهائمة ، وكانت هذه اللحظات التى تنتاب الشيخ كما كانوا يسمونها فى قريتنا ، هى لحظات الاتصال ٠ فقد كان الشيخ ــ واصلا ــ كما كانوا يقولون ٠ ومعنى هــذا فى قريتنا أن الشيخ قد كشف عنه الحجاب ، ومن يكن كــذلك فهو عندنا فى الريف ظل الله فى أرضه ٠ ونوره الذى ينتظم اشعاعا وبهجة على الأرض ٠ ولذلك كان الشيخ باعث البهجة فى كل شىء : فى نفسه وفى نفوس الناس جميعا ٠ ومن منا كان لايريد أن تغمره هذه البهجة ؟ ولذلك كنا كل يوم نكاد نستبطىء مرور الزمن ، ونستعجل زوال النهار لتحل صلاة العشاء فنلتف حول الشيخ فى المسجد بعد الصلاة نستمع الى أحاديثه الدينية

التى تترقرق صفاء فى قلوبنا وتسرى نورا فى نفوسنا ، وما أذكر يوما من الأيام التى عشتها فى القرية وانقضى النهار فيهـــا الا غادرنا الحقول نســـعى الى القرية فى سرعة كبيرة حتى اذا ما بلغناها ذهبنا الى الشاطىء حيث الصفصافة الكبيرة العجوز التى أرخت شعورها على الشاطىء والموردة وأحجارها المصفوفة الموصلة الى الماء • فنغتسل ونتوضأ ، ثم نذهب الى المسـجد حيث يكون الشيخ فى انتظارنا فيؤم بنا الصلاة • ثم يجلس بعد ذلك الى مقصورته الخشبية ونلتف نحن من حوله كما يلتف العقد النظيم حول جيد الحسناء • نصغى فى صمت الى درسه الدينى وتعريفه لنا هذه الحياة الدنيا ، وكيف أنها لم تكن غير متاع وغرور • وكيف أن الرجل الذى يرضى عنه الله هو الذى لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكره • ولا تشغله دنياه عن آخرته • ولا ينير قلبه الا اسم واحد هو اسم الله الذى هو نور السموات والأرض ، (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية • يكاد زيتهـا يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشـاء) ونظل كـذلك الى أن ينتصف الليل أو يكاد ، فننصرف الى بيوتنا راضين مصـفاة نفوسنا من شوائب هذه الدنيا الزائلة وأدران الحياة وما جبلت عليه من غل وحقد وموجدة •

أما الشيخ فيظل فى المسجد تهمهم شفتاه بتلك العبارات غير المفهــومة أو المعروفة ، ولا ندرى الى متى كان يظل كذلك ، ولكن الذى كنا نعرفه هو أنه كان فى كل ليلة قبيل الفجر يرى الشيخ بجلبابه الأبيض الأنيق وعباءته السوداء ، وهو يسير بين شجيرات الليمون ونخيلات البلح التى كانت تسبق مدخل قريتنا فى الطريق الى الشاطىء حيث الموردة والمصلى فيغتســل ويتوضأ ويصلى الفجر •

وكان هذا الطريق الموصل الى النهر طريقا جميلا تحف به باسقات النخيل وتلتف به شجيرات الليمـــون ذات النفحات العطرة ، كما تقوم على جانبيه سامقات السرو الشاهقة محتضنة بين فروعها وخلجاتها الأطيار المغردة التى كانت تســـتقبل الصباح كل يوم طروبة ترسل ألحانها العذبة بذات الأنغـــام

المشجية ، حتى أنه ليروع ناظريك ويأخذ قلبك هذا الجمال ، ولا سيما عندما ينجلي الليل وتطلع عبشة الفجر ندية ريانة ترسل اشعاعها الفضي على أوراق الشجر فتتساقط نقطها نورا على الأرض حتى لتخالها عروشا من فضة متناثرة حواليك ·

وكان هذا الطريق الموصل من القرية الى النهر ، والذى كان يقطعه الشيخ كل يوم عند مطلع الفجر ، يسير في خطاه الوئيدة يبسمل ويحوقل ويتلو أوراده وأدعيته هو نفس الطريق الذى تخترقه نسوة القرية كل صباح يغتسلن ويتطهرن ويملأن جرارهن · وكن يسرن بين شجيرات الليمون أسرابا يحملن الجرار فرحات مستبشرات بمطلع الفجر ، يتحدثن أحاديث الود والصفاء والسذاجة الحلوة البريئة المحببة الى كل نفس ، يخببن فى ثيابهن الطويلة الفضفاضة ذات الألوان المتعددة ، ويتهن بجمال طاهر برىء تسر طلعته العين ، وكثيرا ماكن يلتقين فى الغدو والرواح بالشيخ فيفرحن فرحا كثيرا برؤيته ويلتففن من حوله يلقين عليه تحية الصباح الجميلة · والسعيدة منهن من كانت تلقى عليه أكثر من تحية وتتحدث اليه أكثر من غيرها ·

أما التى تلثم يده فهذه هى المحظوظة دون أترابها ·

أما التى يتحدث اليها الشيخ أو يمسح بيده الكريمة على رأسها فهذه هي التي ضمنت هناء الدنيا وسعادة الآخرة · ·

وكان أكثر فيات القرية حبا فى الشيخ وطمعا فى عطفه ورضاه ، سكينة ، ابنة عم حسن الذى كان فى يوم ما علافا لماشية العمدة · وهى فتاة يتيمة فقدت أبويها وهى فى سن الطفولة فتكفل بها العمدة حينا وتكفل بها الشيخ فتح الله امام المسجد حينا آخر · ثم تكفل بها الزمن بعد ذلك فاتخذت من عريشة الماشية منامة لها كما كان يفعل أبوها · كما اتخذت من جمع الروث من الطرقات سلعة تتعيش منها · فهى تجمعه من الطرقات وتجففه فى الجرن حتى اذا جاء يوم الثلاثاء ذهبت الى السوق وباعته بدراهم معدودة هى التى تعيش عليها طوال الأسبوع · ·

وكانت سكينة فى الرابعة عشرة من عمرها حافية القدمين رثة الثوب ممزقته · · ولكنها كانت ناضجة الأنوثة فرع عودها سريعا وأورق سريعا أيضا · · وغدت ثماره من خلف الثوب

الأسود تلوح لعينيك من بعيد كاللآلئ تلتمع فى الليل ٠٠٠ وكان أجمل ما فيها ثغرها الضاحك دائما حتى لكأنه المصباح الذى لاينطفئ أبدا ٠٠ وقد زانها فيما زانها بغمازتين جميلتين يتضوع عبيرهما كلما ضحكت ٠٠ كما تزين وجهها بعينين كبيرتين كعيون البقر يميلان الى الزرقة ويشيعان على الوجه نورا فيزيده بهاء وفتنة ٠٠

وهذه الفتاة اليتيمة الجميلة هى التى كان يهش الشيخ لطلعتها ويطرب لحديثها ٠٠ وهى التى كانت تحظى دونأترابها بلثم يده كل يوم ٠٠وتسير فى ظله كل صباح الى أن يبلغالمصلى على الشاطئ ثم تنتظره حتى يخلص من صلاته فتعود معه حاملة جرتها ٠٠

حتى استبشر الناس الخير العميم من وراء هذه الفتاة التى خصها الشيخ برعايته وأنزلها من نفسه هذه المنزلة السامية ٠٠ حتى أن بعض الناس فى القرية ولا سيما أهل الصلاح منهم بدأوا يفكرون فى الزواج منها تبركا واستبشارا وقد فاتح البعض فعلا الشيخ فى هذا ولكن الشيخ لم يقطع برأى ٠٠ الى أن جاء يوم ذهب الشيخ فيه الى الشاطئ فلم يجد سكينة كالعادة تنتظره فأتم صلاته وعاد الى القرية يسأل عنها فلم يهتد الى جواب لأنه أحس فى هذا اليوم أن شيئا ما ينقصه ٠٠ ولكن ما هو هذا الشئ انه لم يعرفه ٠٠ وقد أحس به أيضا فى اليوم الثانى عندما ذهب الى الشاطئ فلم يجد سكينة وانقضت ثلاثة أيام لم تظهر فيها سكينة وقضاها الشيخ قلقا مؤرقا وقد أكربه هذا القلق كثيرا فهو كان يظن كل شئ وينتظر من هذه الدنيا كل شئ الا هذه الوحشة التى اكتنفت قلبه هذه الأيام الثلاثة ٠٠ ولولا فضل من الله على الشيخ لظن بنفسه الظنون ٠٠ فقد أرجع وحشته وقلقه الى خوفه على ذلك الحمل الوديع الذى لاحارس له اذا ما ضل يوما فى طريق الذئاب ٠٠ وما أكثر الذئاب فى هذه الدنيا وما أندر الحمل الذى يعرف كيف ينجو من أنيابها ٠٠

غير أن هذا التأويل الذى أطرب قلب الشيخ حينا وارتاحت له نفسه تبدد سريعا عندما حرم الشيخ من طلعة سكينة على الشاطئ مرة أخرى وراح الشيخ يسأل كما كان يسأل فى

المرة السابقة ·· وراحت الوحشة تلم به مرة أخرى ولكنها هذه المرة أكثر عنفا وقسوة وأشد مرارة على قلب الشيخ ··

وما أن فرغ الشيخ من صلاته فى ذلك اليوم وعاد الى بيته ودخل غرفته التى اعتاد أن يغلقها عليه ـ يتهجدفيها ويتعبد ـ حتى انهالت الدموع من عينيه وراحت تتقاطر كنقاط الماء النقى على وجهه المضطرب ولحيته البيضاء المرسلة على صدره الخافق وقلبه المعذب ··فقد أحس الشيخ فى ذلك اليوم بالحقيقة المرة تتلمس الطريق الى قلبه الطاهر وتمسه فى رفق مرة وفى غير رفق مرة أخرى ·· فعرف أنهأحبسكينة حبا دنيويا لاغناء له عنه ·· ولا حيلة له فيه ·· وعرف مع ذلك أيضا أشياءأخرى كثيرة أزعجته ··

عرف أن مجرد لقاء سكينة بعد اليوم أصبح حراما ·· لأن النظرة أصبحت غير خالصة ·· انها لم تكن لله واليتامى وأبناء السبيل كما كانت من قبل ·· انها اليوم لغرض فى نفس الشيخ وياله من غرض ·· وأزعج الشيخ أكثر ما أزعجه ·· أن نظراته السابقة للفتاة كانت ولا شك غير خالصة ··

انها كانت لرغبات تعتمل فى القلب ولم يستطع العقل أن يعرف كنهها فى أول الأمر ، انه كان مع هذه الفتاة كالطفل،ان الطفل عندما يرضع ثدى أمه يستشعر لذة كبيرة تفيض عليه وعلى كيانه الصغير وعلى لذة الاشباع نفسها فهل يعرف مبعث هذه اللذة ؟ أنه واأسفاه لميعرفها ولا حتى بعدأن يكبر ويتفتح جسمه لأشياء جديدة عليه ··

وهكذا كان الشيخ لم يكن يظن أبدا أن الفرحة والبهجة والهناءة التى كانت تغمر نفسهوكيانه كله ، كلما التقى بسكينة عند الفجر ، مبعثها هذه الحقيقة الداميـــة ·· وهذه الرغبـــة الزائلة وهذا الجنون الذى لا حد له ··

عرف الشيخ هذا كله وعرف معه أيضا أن قلبه المعنى أصبح لا غناء له عن لقاء الفتاة كل يوم ··بل لا غناء له أيضا من الاستئثار بالفتاة والاستحواذ عليها مهما كلفه الأمر ·· وفكر الشيخ وفكر طويلا وأجهده هذا التفكير المرير عدة ليال قضاها فى محرابه يبكى ويتوجع ويبتهل الى الله أن يكون له عونا ··

وهكذا مكث الشيخ عدة أيام لا يرى أحدا ولا يراه أحـد الى أن خرج على الناس ذات يوم بنبأ كبير وهو أن الشيخ ولى

الله مروان قد تزوج اليتيمة سكينة ٠٠

ولم تستقبل القرية هذا النبأ بشيء من الدهشة كما كان ينتظر ٠٠ ولم تستقبله أيضا بشيء من الاستنكار كما كان يتوقع وانما استقبلته راضية عنه فرحة به مطمئنة اليه ، فبه قد تحققت مظنة أهل القرية وما كانت تهمس به سرا وهو أن هذه الفتاة اليتيمة كانت على صلة بالله محببة اليه مقربة منه ولذلك عطف عليهاالشيخ واصطفاها دون النساء بالود والقربى ومن تكن كذلك فلا بد أن يحظى بها الشيخ ولا بد أن يتزوجها فما كان لمسلم أن يتزوج غير مسلمة ، وما كان لصالحة أن ينكحها غير صالح ٠٠

وهذا فضل من الله على الفتاة كبير ٠٠ وفضل منه أيضا على الشيخ الذى فقد زوجته من عشرات السنين بعد أن أنجب منها غلاما أسماه خليلا هو الآن ابن القرية البكر وفتاها المعلى ، وزينة الشباب فيها ٠٠

وطرب الشيخ لهذا التفسير الذى فسرت به القرية هذا الزواج طربا شديدا وعده نعمة من الله عليه ٠٠ وشعر بهذه النعمة السابغة بعد الزواج بأيام ٠٠ وبعد أن أصبحت سكينة شيئا جديدا لم يكن ينتظر أنه سيكون ٠٠ فقد وجدت فى كنف الشيخ من الأمن والطمأنينة ورفاهة الحياة ما أنساها أيام الشقاء الطويلة التى قضتها فى التشرد بين العرى والجوع والتسكع فى الطرقات والأزقة تجمع الروث من تحت أرجل الماشية ٠٠

وكان الشيخ ميسور الحال يملك فى القرية ثلاثة أفدنة تدر عليه الخير الكثير وذهب هذا الخير كله للفتاة حتى أمنت من خوف وأطعمت من جوع وتفتحت عن زهرة جميلة ذات فتنة ورواء غدت رائحتها تعبق وتملأ البيت عطرا ٠٠

وراح الشيخ يتطلع الى هذا الجمال وينعم به ، وينظر الى تلك الشجرة الوارفة ذات الظل الظليل وجناها المستطاب وقطوفها الدانية وثمارها التى نضجت وآتت آكلها ، فينحلب لسانه فى النهار ، وينحلب لسانه فى الليل وظل كذلك ينعم بهذه السعادة أياما لا يعرف على وجه التحديد أطالت هى أم قصرت وانما الذى نعرفه نحن فى القرية ٠٠ انها كانت كأيام الربيع

لا تلبث أنفاسه الندية أن تهب على الخمائل فتتفتح الأزهار وتتضوع شذا وعطرا حتى تلحق بها لفحات الصيف فتحرقها ..

فقد أحس الشيخ أن هناك شيئا كشآبيب الهم يكتنف قلبه ويحزن فؤاده .. وفكر جيدا فى هذا الشيء وتدبره بعقله وحكمته فوجده أكثر من أن يغض عنه أو يسكت عليه .. فهو قد تورط من غير شك فى هذا الزواج الذى حمل شيخوخته المتعبة مالا تحتمله أو تقدر عليه .. وهو قد تورط أيضا فى أنه قد تزوج فتاة صغيرة يذكى الشباب جذوتها دائما ويجعلها لا تفكر فى غير الماء الذى تتبرد به .. وهو قد تورط أكثر من ذلك بأن تزوج فتاة جميلة جمالا يسر العين ويجعلها تتطلع اليه وتتهافت عليه تهافت الفراشات فى الليل على مصباح من النور وهو قد تورط بعد ذلك فيما يشبه الاثم اذ جمع بين النـار التى تلتهب دائما والماء الذى يطفئها فى صعيد واحد ..

فابنه خليل شاب والفتاة شابة .. والشاب للشابة كمـا يقولون .. أو كما يجب أن يقولوا .. وليس الفتى معصوما وليست الفتـاة من غير البشر .. وهو ان طلقهـا وسرحها فسوف يتورط فى الاثم الأكبر اذ سيسرح زوجة لم ترتكب اثما أو تقترف ظلما .. ولم يرض الله لها بغير الاكبار والاعزاز والمحبة والقول الجميل .. وهو ان هاجر بها الى دار أخرى فسيظلم ابنا من غير ذنب ويجعل الناس فى القرية يتقولون عليه ويظنون به الظنون .. وليس أثقل على الزوج من أن تظن به الظنون .. وليس أثقل على قلب الابن من أن لا يطمئن اليه أبوه .. وان جعل ابنه يقطن فى دار غير هذه الدار فلن يغير هذا من الحال شيئا .. لأنه لن يقطع ألسنة الناس ..

وكان الشيخ يفكر فى هذا قلقا محزونا كاسف البال مغمض العينين وهو يجلس فى المسجد ذات يوم مع صديقه وصفيه الشيخ بسيونى مأذون الشرع فى القرية ، ولاحظ الشـيخ بسيونى على الشيخ هذا الهم الذى يعانيه فسأله فلم يجب .. ولكن بعد لحظات فتح عينيه المقفلتين . وقال فى صوت حزين وهو يعبث بأصابعه المضطربة فى لحيته ووجهه الحزين :

ــ انى أفكر فى زليخا يا بسيونى ..

فلم يفهم الشيخ بسيونى شيئا وقال فى دهشة وهو يحدق

فى عينيه :

ـ من زليخا ياشيخ مروان ؟ ..

ـ ابنتك ..

ـ ما بها ؟ ! ..

ـ انى أفكر فى أن أعقد لها على خليل ..

فقال الشيخ بسيونى ضاحكا وهو يتحسس مصحفا صغيرا كان فى يد الشيخ : ..

ـ ظننتك تفكر فى شىء ذى بال ! ..

وأغمض الشيخ عينيه وقال :

ـ هذا ما يشغلنى .. انى أريد هذا وأريد أيضا أن أعجل به ..

فقال الشيخ بسيونى وهو يلقى بنظره بعيدا وكأنه يتذكر شيئا مؤسفا :

ـ وهل يرضى ابنك ؟ ! ..

ـ وما الذى فى الأمر لا يرضيه ؟ ..

ـ انه فتى قد وهبه الله مسحة من الجمال وصحة وشباب ..

ـ وزليخا ؟ ! ..

فلم يجعله الشيخ يتم وقال :

ـ ليست العبرة بالجمال والشباب يابسيونى ، انهما عرضان زائلان من أعراض هذه الحياة الدنيا .. ان زليخا وان كان الله لم يهبها من هذا الجمال الذى تتحدث عنه .. فقد وهبها الكثير من رجاحة العقل وطهارة القلب والخلق الرضى .. وهذا لعمرى غاية ما يطمح اليه مؤمن ..

ـ ثم أغمض الشيخ عينيه حينا ثم تمتم :

ـ ولعلك معى فى أن خليل من الذين قد مس الايمان قلوبهم ..

فقال الشيخ بسيونى :

ـ ولكن ...

فقاطعه الشيخ وهو ينهض معه ويغادر المسجد وفى يده مصحفه الكريم :

ـ ولكن الخيرة فيما اختاره الله ..

ولم تمض أيام حتى زفت زليخا ابنة الشيخ بسيونى مأذون

الشرع فى القرية الى خليل ابن القرية البكر وفتاها الملحوظ وزينة شبابها ..

وكما استقبلت القرية منقبل زواجالشيخ منسكينةفرحة ، استقبلت زواج ابن الشيخ من زليخا فرحة أيضا ..

وكان أكثر الناس فرحا بهذا الزواج هو الشيخ نفسه الذى جاء بهذه العين اليقظة الساهرة كعين كل زوجة وأقامها حارسا على بضاعته فى الدار .. تدفع عنها كل سوء وتحول بينها وبين ما قد يغرى الفراشات بها .. وهى بذلك لم تكن يقظة حذرة من أجل الشيخ لأنها حريصة عليه وعلى بضاعته وانما ستكون يقظة حذرة من أجل نفسها حذرة على بضاعتها هى تخاف عليها حتى من النظرة العجلى أو البسمة العابرة .. وما جعل الله من قلبين فى جسد وما جعل أيضا من زوجة ترضى عن غير نفسها بديلا ..

وعلى هذا مست الطمأنينة قلب الشيخ وعادت اليه بهجته كما راحت تلك الابتسامة النورانية التى كانت تتألق صفاء تعود من جديد ترتسم على وجهه ، كذلك أيضا فرح بهذا الزواج وطرب له طربا شديدا واستقبله راضيا عنه كل الرضى فرحا به الفرح كله .. خليل وسكينة .. أما الوحيدة التى لم ترض عنه ولم تطرب له ولم تستقبله فرحة ولا حتى شبه فرحة فهى العروس نفسهاالتى بدأت تلحظ منذ ليلة الزفاف أن هناك خيوطا سوداء قاتمة بدأت تتجمع فى سماء حياتها الزوجية .. وكانت كلما رأت خيطا من تلك الخيوط الحالكة المظلمة وأمعنت فيه ، أحس قلبها شيئا مخيفا وظلت كذلك ترىخيطا وتجمع خيطا الى خيط حتى وضحت لها فى النهاية الحقيقة المخيفة فى السر من زواجها هذا المفاجىء من ابن الشيخ .. ورغبة الشيخ فى هذا الزواج وتلهفه عليه .. وأنه لم يجىء بها الى هذا البيت الا لتكون حارسة أمينة على بضاعة ثمينة يعتز بها الشيخ أكثر من أن تكون زوجة سعيدة لابنه ..

وما أن تحققت الفتاة من هذا كله حتى أخذها روع شديد وانتابها مايشبه الغيظ والحقد الذى يحرق النفوس ويغرى قلوب الناس ..

وكان هذا الحقد على كل شىء ، على الناس ، وعلى الشيخ ، وعلى زوجه ، وعلى ابنه ، وعلى نفسها التى قبلت هذا من أول

الأمر .. ثم عاد هذا الروع فأخذها مرة أخرى أخذا شديدا وذلك عندما تجمعت لعينيها تلك الخيوط مرة أخرى فرأت هولا كبيرا كاد ينهلع له كيانها :. فقد وجدت هذا الحارس الذى جاء به الشيخ ليحرس له بضاعته انما جاء بعد فوات الأوان وبعد أن فاض النهر وتدفق ماؤه نحو تلك النار التى كلما اشتعلت أطفأ جذوتها وما أن عرفت زليخا ذلك ذات يوم عن طريق المصادفة حتى دهمتها الفاجعة وغلبتها على أمرها .. فانزوت فى غرفتها المظلمة تذرف الدموع من عينيها على ثوب العرس الذى لم يبل بعد والخضاب الذى ما زالت آثاره عالقة بالكفين والأصابع العشر حتى هزل جسمها وشحب لونهـــا وراحت نهبا لأمراض كثيرة ..

كل ذلك دون أن يعرف أحد فى البيت سبب هذه الأحزان ولا مبعث هذه الآلام .. لا زوجها العاشق المفتون ولا زوجة الشيخ المحبة الوالهة .. ولا الشيخ الذى اطمأن كل الاطمئنان الى فعله ..

وزارها أبوها الشيخ بسيونى ذات يوم فهاله ما رأى .. وما أن سأل ابنته عن العلة التى تعانيها حتى ارتمت فى أحضانه باكية وألقت برأسها المحموم على صدره معولة .. وراح الأب فى ألم شديد يجفف لها دموعها ويسكن من روعها ويسألها ولكنها لاتجيب ويريد أن يعرف ولكنه لايعرف ..

ـ أيسىء اليك زوجك يا ابنتى ؟ ! ..

ـ أكذب ان قلت أجل ..

ـ أتسىء اليك سكينة يا ابنتى ؟ ! ..

ـ انها تترضانى كما تترضى الأم طفلها ..

ـ أيسىء اليك الشيخ ؟ ! ..

ـ لا ..

ـ الزوج يحبك والشيخ يرعاك .. وزوجه تترضاك .. اذن فمن ذا الذى يسىء اليك ؟ ! ..

ـ تسىء الى دنياى يا أبى ..

قالت ذلك وانهالت الدموع من عينيها وراحت تنسكب غزيرة دافئة على صدر الوالد الحزين الذى راح يجففها لها وهو يربت على كتفها متلطفا ويسأل :

ـ قولى ٠٠ قولى يا ابنتى ٠٠

فالتمعت عينـــا الفتـاة واتسعت حدقتاهمـــا ، وجحظت جحوظا مخيفا حتى غدت كعيني لبؤة تحترق كبدها ٠٠ وقالت بصوت خافت لم تسمعه أذنا الرجل :

ـ أقول !. ٠٠ أقول ماذا ياأبى ؟ ٠٠

ثم ابتسمت ابتسامة عريضة مفاجئة وراحت تطمئن الأب كذبا حتى اطمأن وانصرف ٠٠

وما أن ودعته عند الباب ورجعت الى غرفتها ، حتى رجعت المرأة الى نفسها والى الغيرة التى تأكلها أكلا ٠٠ رجعت الى زوجها الذى يهيم بامرأة أبيه ٠٠ والى سكينة التى تفوقها جمالا واغراء لا حد له ٠٠ والى الشيخ المنكود الذى تحترق الدنيا من حوله دون أن يدرى ٠٠ رجعت الى هذا كله وتأملته طويلا بيد أنهـا هذه المرة لم تتأمله بعين زوجة جميلة مغلوبة عـــلى أمرها ٠٠ ولا بعنى امرأة قدر لها أن يكون هذا نصيبها من دنياها ٠٠ ولكن بعين أنثى تريد أن تثأر لكرامتها كزوجة ولنفسها كأمرأة ولشيخ ساذج طيب القلب يريدون لعرضه النقى أن يتمرغ فى الوحل ٠٠ ومن ثم اتخذت من تلك العيون الساهمة الواجمة الحزينة عين هرة حذرة يقظة لا تغفل فى الليل ، ولا تغفـل فى النهار ومن ثم راحت تضيق الخناق على العاشقين المفتونين ولم تترك لهما فرصة ولا حتى لالتقاء النظرات ٠٠ فان أقبل خليل فهى التى تفتح له الباب وهى تلازمه وتقضى له حاجاته جميعا حتى يتناول غداءه ويخرج ، أو يتناول عشاءه ويستغرق فى النوم ٠٠ فتسهر هى على رأسه حتى الصباح ٠٠ وان خرجت سكينة من غرفتها فى الليل أو فى النهار فترى زليخا أمامهـا فجأة فلا تعرف هل هبطت عليها من السماء أم خرجت اليها من الأرض ، حتى اللحظات التى تكون سكينة فيها فى غرفتها مستغرقة فى النوم ويكون الشيخ فى المسجد وخليل فى الحقل فهى الحارسة لباب الغرفة بعينيها اليقظتين حتى لكأن تلك العيون هى المزلاج الذى أغلقت به الغرفة وأحكم اغلاقها ٠٠

وهكذا كانت كلما امتلأ النهر وانهارت جسوره وتدفق ماؤه فى حزم وعزم غير عابىء بما يعترضه من صخور ٠٠ أقامت هى من نفسها سدا منيعا لا تنفذ اليه نقطة ماء واحدة لا من

أمامه ولا من خلفه حتى الزوج ضاق بها ضيقا شديدا وراح يسومها من المهانة مالا قبل لزوجة باحتماله فلا تعبأ بما تلاقى بل تستقبله راضية به ..

وكذلك كانت سكينة أيضا كلما ضاق بها الحال وحز بها الأمر .. وقتلها الظمأ وأحست بألسنة النار تحرقها وتكاد تحيلها الى رماد ... كادت لزليخا كيدا عظيما ..

تكيد لها عند الشيخ ، وتكيد لها عند الزوج ، وتكيد لها عند الناس جميعا .. وتكيد لها أيضا عند نفسها .. بأن تقف سكينة فى المرآة طوال اليوم .. وتتبهرج وتكشف جمالها وتفصح عن فتنتها وتعبر عن ذلك كله بأغنيات رخيصة مبتذلة تترنم بها أمام المرآة .. تدل على تدله العاشق فيها وحبه لها وغرامه بها ذلك الغرام الذى تعبرعنه وتدل عليه لحظات الوصل وساعات اللقاء ..

وكانت زليخا ترى هذا وتستمع الى هذا كله فتصبر علية كما يصبر الميكروب على الأذى الذى يعتمل فى قلبه .. لاتملك من أمرها شيئا ولا تملك من أمر هذا الأذى شيئا .. وكل الذى كانت تملكه هوأنها اذا نظرت الى نفسها مصادفة فى المرآة ورأت وجهها الذى شحب وبرزت عظامه وغدا مصفرا كوجوه الأموات ذرفت الدموع سرا بينها وبين نفسها حتى لاتفرح فيها سكينة اذا رأتها باكية أو حزينة ..

وظل الأمر على هذا الحال ، عاشق برح به العشق وعاشقة يقتلها الوجد ..

أما الشيخ وزليخا فكلاهما غارق فى الظلام ، تكتنفه الظلمة وتطبق عليه وكل ما هنالك أن الشيخ لا يرى شيئا وأما زليخا فترى كل شىء .. الى أن حدث ذات ليلة أن أقبل خليل من الخارج وكان فى تلك الليلة فرحا مرحا على غير العادة .. وتصادف عند دخوله أن كانت سكينة مقبلة من الداخل على غرفتها فمدت يدها اليه وصافحته فى شوق زائد أفصح عنه وجهها الذى تورد وقلبها الذى يخفق ونظراتها التى ترنو اليه فى اضطراب وكأنها تسر اليه شيئا سريعا .. أو كأنها تريد أن تلوذ به وترتمى فى أحضانه ..

وتسمرت قدم الشاب وهو ينظر اليها ويغترف من جمالها

بعينيه ‥ هذا الجمال الذى طالعه فى هذه الليلة كأفتن ما يكون جمال الأنثى فى عين الذكر ‥ وهم أن يسر اليها شيئا ولكنه اكتفى بأن ضغط على يدها فى رفق وتركها وانصرف سريعـــا الى غرفته ‥

وفيها راح يداعب زليخا ويلاطفها ويلاعبها على غير العادة ‥ ثم قضيا معا لحظات ‥ ولما عرف أنها اطمأنت اليه ‥ طلب منها أن تعد له ماء ساخنا ليستحم فانصاعت لأمره ‥ وكان عليها أن تصعد الى السطح لتشعل ـ الفرن ـ وتعد له ما أراد والصعود الى السطح أمر شاق ولاسيما فى الليل ، لأن الصعود اليه لا يكون الا على ذلك السلم الخشبى المتآكل الذى تنقله معها اذا ما صـعدت الدور الثانى حيث الغرفة التى أعـدها الشيخ لخلوته ، وتنقله معها أيضا حيث السطح نفسه ‥ الذى عليه الفرن مسورا بسور خشبى كما هى العادة عندنا فى الريف

وقامت زليخا المريضة المتعبة بكل هذا فى الليل بيد أنها وهى أمام الفرن تشعل النار فى قلبه أحست فجأة أن شيئا مخيفا يساورها ويطبق على أنفاسها ‥

وما أن أحست بذلك الشيء حتى ارتعدت فرائصها واربدت سحنتها وجحظت عيناها جحوظا مرعبا مخيفا ومن ثم تركت النار تشتعل فى قلب التنور وانقلبت سريعا تنشب أظفارها فى ذلك السلم الخشبى المتآكل وتتسلل من فوقه هابطة كما يتسلل اللص الحذر فى عتمة الليل ، وما أن أقبلت على غرفة زوجها ودفعت بابها فى عنف حتى ارتدت هلعة جزعة مجنونة تدور على عقبيهـــا حاجبـة عينيها بيديها وهى تصرخ صرخات مدوية تهتك حجب الصمت فى الليل ‥

وخرج الشاب خلفها سريعا خائفا مضطربا وخرجت معـه الشابة أيضا سريعة خائفة تضطرب وأسرعت زليخا الى باب الدار لتفتحه وتخرج منه الى الطريق لتصرخ وتجمع الناس فألقته مغلقا فارتدت كالهرة المجنونة الى السلم الذى هبطت منه منذ لحظات ‥ وهى تصرخ نفس الصرخات المدوية وصعد الشاب خلفها سريعا ومعه الفتاة ليحولا بينها وبين هذا الصراخ الذى سيجمع الناس ويكشف عن الحقيقة ويظهر الجرم الذى ما بعده جرم ‥ ولحقا بها على السطح وحاولا أن يكتما أنفاسها

حتى تقلع عن هذا الصراخ الذى من خلفه الفضيحة الكبرى والخزى العظيم ..

وأخذت زليخا موجة من الجنون أطبقت عليها من كل جانب كما أخذتها نفحة من القوة لا تعرف من أين أتت اليها فراحت كاللبؤة المسعورة تدفع عنها غريمتها فى عنف .. وغريمتها تدفعها فى عنف أيضا .. وتنشب أظفارها فى عنق رجلها الخائن وهو ينشب أظفاره فى عنقها ثم يلطمها فى عنف فتسقط عند قدميه ولكنها سرعان ما تنهض ناشبة أظفارها مرة ثانية فى الاثنين ..

وفجأة زلت قدم ، وهوى جسم من الأجسام الثلاثة الى الأرض فأحدث سقوطه دويا هائلا هز تلك البيوت التى تجاور دار الشيخ فى الليل وكان الشيخ لحظتها مقبلا من المسجد بعد صلاة العشاء مع نفر من المصلين ورأى الشيخ بعينيه ذلك الجسم الثقيل وهو يهوى من فوق سطح داره فى الليل فأسرع اليه وارتمى عليه فاذا به زليخا غارقة فى لجة من الدماء التى تطفح من فمها ومنخاريها وتتدفق بغزارة كما تتدفق أيضا من جرح كبير غائر فى قلب الجمجمة .. فارتاع الشيخ وارتعد مرتعشا وهو يلقى بصره عليها ويسألها عمن فعل بها هذا ..

وتمتمت الفتاة مغمضة العينين ..

ـ هى ..

وقال الشيخ لاهثا :

ـ هى من ؟ ..

فغمغمت الفتاة وهى تشق شفتيها المرتعشتين وتتمتم :

ـ هى ..

وصرخ الشيخ صرخة مفزعة وهو يهزها فى عنف قائلا :

ـ زوجتى ؟ ..

ففتحت الفتاة عينيها المحمرتين وهى تحتضر وراحت تتفرس فى وجوه الذين حولها وفى وجه الشيخ الذى اربدت سحنته وانقلبت الى سواد كريه مغبر وتمتمت :

ـ لا .. انها زوجة رجل آخر ..

وأغمضت عينيها !! ..

●●●



كان الوحيد الذى تعرفت عليه فى الحى الجديد الذى قطنت فيه ، هو قناوى بائع الفاكهة المتجول ، الذى يقف بعربته الصغيرة ذات العجلتين عند السبيل على رأس زقاق المرعشلى المتفرع من حارة الركيبة خلف مسجد السيدة زينب ..

وقد تعرفت عليه أول ماتعرفت فى المسجد اذ كنت ذات ليلة بعد صلاة العشاء أجلس بجوار حائط الضريح أستمع الى الشيخ السنتريسى رحمه الله ، وهويلقى علينادرسه الدينى بعد الصلاة ، فاذا برجل بجانبى يمـد لى يده ويصـافحنى فى حرارة زائدة وهو يقول :

ــ أهلا وسـهلا ــ حضرتك شرفت الزقاق ونورت الحارة .

وكأنه لاحظ على ارتباكى ونظراتى الحائرة التى تتفرس فى رجل يعرفنى ولا أعرفه ، فغير لهجته سريعا وقال :

ــ أنا قناوى الفكهانى ، وقد رأيتك مرارا تدخل الحارةفسألت فقيل لى أنك الساكن الجديد الذى قطن حـديثا فى منزل الست أم شوقى ، وهذه فرصة سعيدة لأتعرف عليـك وأضـع نفسى فى خدمتك ..

فشكرت له هذه التحية ، وان كان اسم أم شوقى هذا الذى أسمعه لأول مرة قد شغلنى .

فقلت :

ــ من أم شوقى ؟ اننى أقطن فى دار الشيخ بسيونى .

فقال :

ــ ولكنها فى الحى مشهورة بدار الست أم شوقى ، كانت من أولياء الله الصالحين وتوفيت من سنتين رحمة الله عليها ..الفاتحة لروحها الفاتحة ..

ورأيتنى أقرأ معه الفاتحة ، كما رأيتنى بعد الصلاة أسـير بجانبه فى الحارة نخترق الطريق الى الزقاق وهو يتحدث الى فى سذاجة حلوة محببة ، عن تاريخ حياته الطويل وكيف نزح من البدرشين من عشرين عاما واشتغل عاملا فى ميناء الاسكندرية ، ثم عجانا فى مخبز كبير فى القاهرة . ثم حطت به الرحال بعـد ذلك فى حى السيدة يبيع الفاكهة على عربته الصغيرة وكيف أنه

●●●

تزوج وله الآن ثلاثة أولاد مازالوا أطفالا يلعبون فى الحارة .. ثم حدثنى بعد ذلك عن أشياء أخرى كثيرة لاأذكرها ، حدثنى عنها جميعا فى اخلاص وصدق كما لو كنا أصدقاء قدماء فأعجبتنى هذه الصراحة ، وهذا الصفاء الذى يبلور نفوس هؤلاء السابلة من الناس ويطمئنهم الى الغير هذا الاطمئنان الساذج البرىء ، وكنا قد بلغنا الزقاق فوجدت عربته الصغيرة بجانب الجدار عليها عدة أسفاط من الجريد بعضها ملقى فارغا والبعض الآخر على العربة به بقايا من فاكهة عطبة ، وقد اختلط بعضها ببعض ، فأنت لاتفرق بين الجوافة والبلح ، كما رأيت طفلتين صغيرتين قد استلقتا على الطوار بجانب العربة واستغرقتا فى نوم عميق بعد أن تداخل جسماهما كما يتداخل جسم القنفد فى بعضه ويتكور ويلوح لعينيك فى الظلام كالكرة ، ورأيت طفلة ثالثة فى ثوب خلق ممزق تقف بجوار العربة تذب بيدها الصغيرة على الفاكهة بمذبة متآكلة ، فتبينت وجهها على ضوء المصباح الزيتى المعلق فى مقدمة العربة ينبعث منه عامود من الدخان الأسود ..
وما أن رأتنا الفتاة حتى تقدمت من أبيها ومدت له يدها ببعض القروش الملوثة والملاليم الصدئة وهى تقول :
ـ نصف أقة جوافة .. ورطل بلح .. ثم مسحت الفتاة بيديها شيئا لزجا كان على جفنيها وقالت :
ـ ونظاكة بنت الشيخ عطا أخذت نصف أقة جوافة على الحساب ..
فتناول قناوى النقود من يدها ووضعها فى جيبه وهو يقول لى :
ـ اتفضل أعمل لك شاى ..
فشكرته وأردت أن أرد له هذه التحية بأن أشترى شيئا من فاكهته هذه العطبة فقط لأنقده شيئا ، ولكى لا أجعله يفطن الى قصدى تقدمت من العربة ونظرت الى الجوافة وامتدحتها وقلت وأنا أضع يدى فى جيبى :
ـ أقة جوافة وثلاثة أرطال بلح ..
وما أن قلت ذلك حتى تهلل وجه الفتاة ولمعت عيناها لمعانا خاطفا وهى تركز فى فرحة كبيرة نظراتها على يدى التى سأخرج بها النقود ، ولكن سرعان ماتلاشت هذه الفرحة عن وجه الفتاة

عندما سمعت والدها يقول لى وهو يتفرس بعينيه فى الجوافة العطبة والبلح الحامض :

ـ الجوافة ماتنفعكش الليلة ، وكمان البلح ٠٠

وكنت سأوافقه على مايقول ولكن الحسرة التى ارتسمت على وجه الفتاة خوفا من ضياع هذه الصفقة جعلتنى أصر على طلبى ، ونقدته الثمن وانصرفت الى الطريق أتلفت حوالى ، ولما لم أجد أحدا وكانت رائحة البلح قد ضايقتنى ألقيت بما فى يدى الى جانب الحائط ٠ ومن ثم ذهبت الى بيتى أفكر فى أرزاق الناس وكيف وزعت عليهم ، وهذه الفاكهة العطبة والذين يأكلونها ، وهذا الرجل العملاق قناوى الممتلىء قوة وفتوة وصحة جيدة وكيف ضاقت به الحال حتى أنه لم يجد اللقمة الا بين هذه القاذورات كما تجد الدجاجة حبة الحنطة مطموسة فى الوحل ، وكنت كلما مررت به ورأيت عربته وصغاره الثلاث يقضين نهارهن وليلهن بجانبها كما تقضى القطط الضريرة حياتها فى العراء ٠٠ ويلتقطن مايتساقط منها على الأرض كما يلتقط الكلب المقعد أمامك ماتقذف به من نفايات الطعام ٠ أحسست بحبى الزائد لهذا الرجل حتى أصبح لاغناء لى عنه ، فأنا أمر عليه فى الغدو وأمر عليه فى الرواح ، وأجلس اليه فى المسجد أتحدث اليه ، ويتحدث الى ٠ الى أن مررت عليه ذات يوم ووقفت أتحدث اليه كالعادة وأصغى الى ضحكاته الندية ونكاته الطريفة ، فقد كان دائما يضحك ويداعب ، فاذا به فجأة يقول لى ضاحكا :

ـ ألك فى أن تقرضنى عشرة قروش ؟

وظننته يمزح فقلت :

ـ ماذا تعمل بها ؟

فأرسل ضحكة أخرى استطاع أن يخفى بها شيئا كان قد ارتسم على شفتيه وقال :

ـ هذا سؤال محرج !

ـ أيحرجك أن أسألك لماذا تقترض ؟

فنظر الى مبتسما وقال :

ـ ولماذا يقترض الناس ؟

فشعرت بشىء من الخجل وأنا أضحك وأقول له :

ـ لأنهم فى حاجة الى الاقتراض !

وما أن مددت له يدى بالقروش العشرة حتى ناولها الى ابنته وهو يربت على كتفها ويثبت لها بين يديها قرطاسا من البلح ويقول :

ــ خمسة قروش عيش ، قرشان طعمية ٠٠ قرشان سكر وشاى ٠٠

أما القرش الباقى فتشترى به أمك سبيرتو وتدهن به أختك ٠٠

فقلت له :

ــ أعندك ابنة مريضة ؟

ــ دافية شوية ، أصل هدومها خفيفة والدنيا برد ٠

ثم ربت على كتف الفتاة مرة أخرى وهى تنصرف والتفت الى قائلا وهو يضحك :

ــ نعمة ٠٠

ــ أى نعمة ؟

فقال وهو لايزال يضحك :

ــ أن نجد من يقرضنا ٠٠

فجاريته فى ضحكه ثم تركته وانصرفت وفى اليوم الثانى ذهبت الى المسجد كالمعتاد ، وكنت أعرف أنه يحرص على صلاة العشاء جماعة ، ولكنى لم أجده بين المصلين ، وفى الطريق مررت على الزقاق فأدهشنى أن رأيت عربته بجانب الحائط ملقاة فى الظلام بين بعض الاسفاط الفارغة القديمة ، وسألت عنه فلم أعرف أين هو وكنت لا أعرف بيته حتى أذهب اليه ٠ غير انى فى اليوم الثانى وجدت العربة قد انتظمت عليها الأسفاط من جديد عامرة ببعض أنواع الفاكهة كما وجدت ابنته الصغيرة بجوارها تذب عليها وهى تنادى على الرطب الحيانى بصوتها الصغير الذى يشبه صوت الملائكة ٠٠

وبينما أنا أذهب اليها لأسألها عن أبيها رأيته يقبل علينا لاهثا يحمل على كتفيه جوالا صغيرا من الرمان ٠ وسفطا صغيرا به جوافة ٠ وما أن وضعهما بجانب العربة وجفف العرق المتصبب منه حتى مد يده الى مصافحا مبتسم الوجه يقول :

ــ معذرة فقد حرمت من رؤيتك أمس فى المسجد ٠

ــ أين كنت وقد بحثت عنك كثيرا ؟

فبرقت عيناه بريقا خاطفا وقال وهو يعيـد تجفيف العرق المتصبب من وجهه :

ــ أصل فتحية تعيش انت ، وذهبت لأدفنها فأمسى عـلى الوقت ..

ــ من فتحية ؟

ــ ابنتى ..

فجمد الدم فى عروقى ووقفت ذاهلا أتطلع الى الرجل وكأنه لاحظ ما أنا فيه من جزع فقال :

ــ الحمد لله ارتاحت ..

ثم اقترب منى وهو مايزال يجفف عرقه وقال هامسا كمن يفضى بسر :

ــ أصلها كانت بتكح ..

فنظرت اليه جاحظ العين ، ثم بعد صمت ثقيل قلت له :

ــ وماذا فعلت ؟

ــ الحمد لله .. أهل الخير كتير .. الشيخ بسيونى تبرع لها بالكفن ، والشيخ عطا قرأ عليها سورة لله .

ثم فجأة غير مجرى الحديث وقال ضاحكا :

ــ الجوافة الليلة قشطة ألك فى أقة منها ؟

وقبل أن أجيبه بشىء سمعنا فجأة رنينا موسيقيا جميـــلا ينبعث الى أذنينا رقيقا فى الليل . فالتفتنافاذابامرأة تقبل علينا فى الظلام فى ملاءة لف ، ذات قوامفارعممشوق وجسم غض لدن عرفت كيف تحفظ كنوزه الغالية خلف نسج الملاءةالرقيق الناعم الذى أحكمته على جسمها فزاده اثارة وفتنة مغرية . يزين وجهها الجميل المتألق برقع أسود وقصبة من الذهب اســتقامت على الأنف الدقيق ترسل اشـــعاعا ذهبيا على الوجه والعينين الكبيرتين اللتين تشبهان عيون البقر . كما تزين ساقيها الجميلتين بخلخال ذهبى كبير تعلقت به عدة بلابل صغيرة من الذهب هى التى تحدث ذلك الصوت الموسيقى المنغم . ووقفت أمام العربة وقالت وهى تنظر الى الجوافة بعينيها الكبيرتين وتخلص لسانها من لبانة كانت بين الشدقين .

ــ الجوافة غالية والا رخيصة ؟

ــ الغالى يرخص لك ..

فقالت المرأة ضاحكة فى أنوثة :
ـ الغالى عمره مايرخص أبدا ٠
فقال قناوى وقد تلاشت الضحكة التى كانت على وجهه :
ـ والله ياستى مابيرخص غير الغالى ٠
فقالت وهى تخرج ذراعها البيضاء من قلب الملاءة وتمد يدها الى السفط فالتمعت فى الليل اشعاعات الثعابين الذهبية التى التفت حول المعصم وراح بريق عيونها الماسى يأخذ بأبصارنا ٠
ـ أبدا ٠٠ ايه اللى يرخصه ؟
فقال قناوى مبهورا ينظر الى بريق الذهب وجمال المعصم :
ـ أهوه مثلا الجواهر دى لو كانت فى يد واحدة ثانية كانت رخصت ٠٠
فأسبلت هدبيها غانجة وقالت ضاحكة :
ـ احنا ح نبصبص ٠٠
ثم أخذت ماأرادت ونقدته الثمن وانصرفت ، فراح قنـــاوى يشيعها بنظرة طويلة تعلقت بأذيالها وماتت على ساقيها الجميلتين وخلخالها الذهبى الذى تنبعث من بلابله السنت : تلك الموسيقى ذات النـــغم ، وما أن توارت فى الظلام حتى التفت الى وقال ضاحكا :
ـ حلوة ! ٠٠
ومرت أيام لا أذكر عددها والتقيت بقناوى كالعادة فى المسجد ورحت أتحدث اليه ولكنه فجأة غير مجرى الحـــديث وقال فى ابتسامة عريضة أنارت وجهه :
ـ فاكر صاحبتك اياها ؟ ٠٠
وكنت قد نسيت كل شىء فقلت :
ـ من صاحبتى ؟
فقال هامسا وهو يدنى شفتيه من أذنى :
ـ أم كامل ٠
فلم أفهم أيضا ورحت أفكر مقطبا بين حاجبى وكأن هـــذا ضايقه فلكزنى فى كتفى لكزة خفيفة وهو يهمس :
ـ ذات الخلخال الذهب ٠٠
فتذكرت وقلت على الفور متلهفا :
ـ مابها ؟

ـ أتعرف من هى ؟
ـ لا ..
ـ انها زوجة المرحوم الشيخ الدرديرى مدرس العربى .
ـ ومن أين عرفت ؟
فخنق ذراعي بأصابعه وهو يجـــذب رأسى اليه ويهمس :
ـ وتقطن الآن فى حارة الجباخنجى ..
ـ ومن أين عرفت كل هذا ؟
ـ زوجتى تعرفها ..
وكان الاهتمام على وجهه زائدا فقلت :
ـ ولماذا تشغل نفسك بها ؟
فارتبك قليلا ولكنه قال سريعا محاولا مداراة هذا الارتباك :
ـ أصل دا الزبون اللى الواحد يسترزق منه .
وكنا قد خرجنا من المسجد فحمافحنى ضاحكاوانصرف ومأان بلغ عربته حتى دفعها أمامه مرسلا عقيرته فى الفضاء مناديا على بضاعته بصوته الجميل الذى اشتهر به قناوى فى الحى . وظل كذلك الى أن انتصف الليل فذهب الى داره .
وفى الصباح أحس رغبةشديدة فى أن يسأل زوجه عن شىء يهمه ويشغل باله طوال الليل ، ولكنه لم يجرؤ وانصرف بعربته يدفعها أمامه متجولا فى الحى . يخترق هذا الزقاق ويقطع تلك الحارة ويجوب ذلك الشارع حتى بح صوته وخارت قواه .
وأقبل الليل فعاد بعربته مخترقا فى الظلام حارة الجباخنجى وبينما هو كذلك اذا به يسمع صوتا موسيقيا عذبا ينبعث من خلفه فالتفت فاذا بأم كامل من خلفه تناديه ، وكانت واقفة على باب دارها فى ثوب خفيف أبيض لاح لعينه فى الليل كأنه قدمن نور . فلم يتمالك نفسه وهو يرجع اليها سريعا ويقف أمامهـا مبهورا .
وتطلعت المرأة اليه والى نظراته التى تشبه فى حدتها نفس النظرات التى كان ينظر بها اليها عند العربة .
وكأن هذا أطربها فقالت بصوت ذاب رقة فى أذنيه :
ـ تعرف ان جوافتك حلوة ؟
فنظر اليها وتمتم :
ـ قشطة ..

ـ ياشيخ ؟
ـ دوقى ..
ومد يده الى السفط وانتقى لها واحدة قدمها لها وهو يقـول وينظر الى صدرها العارى :
ـ قشطة لفايف ..
فراحت تقضم منها وهى تنظر الى سمرته النحاسية . وعنقه الغليظ وصدره العريض الخافق الذى يعلو ويهبط أمام عينيها :
ـ يعنى ايه قشطة لفايف ؟
ـ دا موال ..
فقالت وهي ترنو اليه :
ـ غنيه ..
فقال مترنما فى صوت يشبه الهمس :

بلدى أبو صير والتل الـكبير وبنا
والورد عشش على خد الجميل وبنا
والبطن قشطة لفايف والعسل له قنا

أنا قلت ...
فقاطعته جادة فى غضب أزعجه :
ـ احنا ح نبصبص تانى والا ايه ؟ . . اوزن ثلاث وقات فارتبك وراح يزن لها ماتريد مرتعشا لاينبس .
ولما تناولت منه القرطاس قذفت له بورقة من فئة الخمســـة والعشرين قرشا ، ثم قالت وهى تدخل وتدفع الباب فى وجهه فى عنف :
ـ وخلى الباقى علشانك .
ووقف ذاهلا يتصبب العرق البارد من وجهه .. ترى ماالذى أثارها كل هذه الثورة .. وأغضبها كل هذا الغضب حتى انها لم تطق رؤيته فتنتظر حتى يرد لها بقية نقودها .
وظل حينا فى مكانه جامدا ينظر الى الباب الذى أغلق فى وجهه والنور الذى تلاشى من أمامه . وصوت البلابل الست الذى شنف أذنيه ، ثم دفع عربته أمامه وسار محزونا كأن فاجعة ألمت به .
وفى الصباح عاد الى الحارة وراح يقطعها عشرات المرات يروح ويجىء وينادى على بضاعته ، وينظر الى البيت فلا يرى غير باب موصد ونافذة أحكم اغلاقها ، وكما حدث هذا فى النهار حدث

أيضا في الليل . وكما حدث في اليوم الأول حـدث كذلك في اليوم الثاني .
وهكذا ظل ثلاثة أيام كاملة يجوب الحارة في النهار ويجوبها في الليل فلا يرى غير الباب الموصد والنافذة المغلقة . فلا يسعه الا أن يتطلع اليهما كما يتطلع العطشان الى الماء من خلف حاجز سميك . الى أن انقطع فجأة عن الحارة فلا هو يقطعها في النهار ولا هو يقطعها في الليل ولا صوته الجميل ينساب سـحرا في شعابها ..
ثم فجأة أيضا ظهر في الحارة يدفع عربته أمامه في الليل ، ولكن في اعياء شديد كاسف البال مرهق النفس منهك الأعصاب مغبر السحنة يكتنف وجهه شحوب شديد . يسير حينا مرتعش الخطوات ويقف حينا ينادى على بضاعته بصوت لا يكاد يبلغ أذنيه . الى أن اقترب من بيت بالذات فسمع صوتا يناديه فالتفت فاذا بنافذة فيها امرأة تلوح له بذراعها العاجية البيضـــاء .. التى التفت عليها الثعابين الذهبية ذات العيون الماسية البراقة فوقف مطرقا يصغى الى رنين البلابل الذى انساب في أذنيه مختلطا بصوت الباب يفتح وتقف أمامه امرأة في قميص كشف عن صدرها وكتفيها العاريتين تقول له :
ـ أين كنت ؟ ..
ـ في الدنيا ..
ـ من يومين لم تجىء الى الحارة . ولم أذق فاكهتك الجميلة . فأين كنت ؟
ـ أصل صفية ماتت ورحت أدفنها ..
ـ من صفية ؟
ـ ابنتي ..
فأخذتها رجفة وهى تقول ممتقعة الوجه تنظر الى الشـحوب المرتسم على وجهه :
ـ ألك ابنة ماتت ؟
فقال وهو يذب على بضاعته بيد مرتعشة :
ـ رحمها الله ..
وسادت لحظة صمت قطعتها المرأة بقولها :
ـ عندك كم من الأولاد ؟

ـ فتحية . وصفية . وزاهية .

ثم ألقى برأسه الى الأرض واستطرد :

ـ فتحية ماتت من شهر . وصفية ماتت من يومين . والبركة فى زاهية ..

ثم رفع بصره اليها وقال مبتسما :

ـ الجوافة الليلة تعجبك .

وسرها أنه غير مجرى الحديث فقالت ضاحكة :

ـ طازة ؟

فمد يده بواحدة اليها وهو يقول ضاحكا :

ـ عسل ..

ـ وليه مش قشطة ؟ ..

فتلاشت الابتسامة عن وجهه وهو يقول :

ـ يوم عسل .. ويوم قشطة .. ويوم ..

ولم يتمم فقالت له وهى ترنو اليه مسبلة الهدب ضاحكة :

ـ ويوم ايه ؟

فنظر اليها فطالعه فى الليل صدرها العارى الذى تلتمع عليه اللبة ـ الذهب ذات الهلال والنجوم الثلاث ، كما يلتمع قرص الشمس فى الأفق . فضحك وقال :

ـ شربات ..

فقالت طروبة تجاريه فى الضحك ..

ـ والآن ماذا عندك ؟

ـ عسل . وقشطة . وشربات ..

ـ اذن اعطنى من الثلاثة ..

فأعطاها من الجوافة والبلح والرمان . فأعطته ورقة من فئة الجنيه دستها فى يده وهى تقول :

ـ خد الباقى لك ..

ـ لى أنا ؟

ـ أجل ..

فعقدت الدهشة لسـانه وهو ينظر الى الورقة فى يده . ثم نظر اليها وهم أن يقول شيئا . ولكنها كانت قد همست فى أذنه وهى تدخل :

ـ عندما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا .

فجحظت عيناه والتفت اليها سريعا ولـكنها كانت قد غابت خلف الباب ، كما يغيب العصفور فى الليل ٠ فوقف جامدا ينظر الى الجنيه الذى يرتعش بين أصابعه والباب الذى أغلق فى وجهه ٠ والصـــوت الذى مازال سحره ينساب فى أذنيـــه عذبا رقيقا يقول له :

ــ عندما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا ٠٠

ومرت بسمة عابرة غمرت وجهه وأيقظته مماهو فيه ، فدفع عربته أمامه فى قوة ونشاط كبير ٠ ودون أن يدرى أرسل عقيرته فى الليل مجلجلة تردد غناء جميلا يعطر ظلمة الليل :

أهواك وأقول للعواذل كل يوم أهـــواك
وأكتب على باب حارتنا بالدموع أهـواك
وأقول لقاضى الغرام فى المحكمة أهـــواك

ولم يدر الذى حدث له بعد ذلك ٠ وكل الذى يدريه أنه لم يذهب الى داره فى تلك الليلة ، وأنه بعد أن وضع عربتــه فى مكانها المعتاد راح يهيم على وجهه فى الطرقات يتحسس أذنيــه اللتين مازالتا تسمعان تلك الهمسات : « عندما ينتصف الليل ستجد الباب مفتوحا » ٠

ومر فى طريقه على المسجد فتذكر أنه لم يدخله من ثلاثة أيام وآلمه هذا وأراد أن يدخل ليصلى العشاء ولكنه تذكر صديقــه محمود أفندى الذى يقطن فى بيت أم شوقى أنه لابد أن يكون فى المسجد وسيسأله أين كان وما سبب انقطاعه عن المسجد ٠ فهل سيقول له « عندما ينتصف الليل سيكون الباب مفتوحا » ٠

ورجع من على باب المسجد وراح يواصل سيره فى الظلام ٠ وظل يسير ٠ وفجأة تذكر شيئا جعله يتوقف ٠ ان زوجته لم يكن معها نقود وهو لم يرسل اليها بالعشاء وان ابنته الصغيرة لابد أن تكون جائعة وتلفت حوله ليرى أين هو فاذا به فى باب الخلق ، انه قطع مسافة طويلة فى الليل وعليه أن يقطعها ثانية ٠ ومر به رجل فسأله عن الساعة فأخبره أنها الحادية عشرة والنصف فقفل راجعا الى داره سريعا ، يفكر فى العشاء الذى يحمله الى بيته ، انه يملك جنيها فى جيبه ٠ جنيها كاملا له حرية التصرف فيه ، فماذا يشترى من طعام شهى لبيته هذه الليلة ؟ ٠ طعمية وفول؟ علبة سالمون بالصلصة ؟ ٠٠ رطلان من السمك المقلو ؟ زيتون

وجبن وحلاوة طحينية ؟ ‥ نصف رطل من الكباب المشـوى ؟
وكان قد قطع شوطا كبيرا فى السير فوقف وتلفت حوله ليرى
أين هو فوجد نفسه فى ميدان السيدة يقف على رأس شـارع
السد الموصل للحارة ومر به رجل فسأله عن الساعةفأخبرهأنها
بلغت الثانية عشرة فشكره وانصرف يواصل سيره فى الظلام ·
وفجأة وجد نفسه يقطع حارة الجباخنجي ويمد يده الى باب
معين وجده مفتوحا فدلف منه ، وما أن أغلقه خلفه حتى سمع من
خلفه صوتا على السلم يناديه ‥ فارتعدت فرائصه وجحظت
عيناه ، ووقف خائفا يتصبب عرقا ‥ لكن يدا ناعمة مست كتفه
فى رفق وتحسست ذراعـه فى حنان ومن ثم جرته من يده الى
غرفة فى البيت وأجلسته على كنبة عريضة أمامها سرير عريض
قام على أربعة أعمدة تغطيه ملاءةذات لون جميل ، فجلس مضطربا
خائفا مغمض العينين فى صمت · فقـالت له وهى أمام البريه
تشعل مصباحا زجاجيا صغيرا راح نوره الأصفرالشاحب يضفى
على الغرفة لونا مقبضا حزينا اضطرب له قلبه ·

ـ انت خايف ولا ايه ؟

ففتح عينيه ونظر اليها وتمتم لاهثا :

ـ لا أبدا ·

ثم عاد الى اطراقته وأغمض عينيه · وكأن هذا ضايقها الى حدما
فنزعت الشال الذى كان على كتفيها فبدا صدرها عاريا الامن
ـ اللبة ـ الذهبية ذات الهلال الكبير والنجوم الثلاث التى تلتمع
على صدرها كما يلتمع قرص الشـــمس فى الأفق · وجلست
بجواره على الكنبة وقالت مبتسمة وهى تعبث بطرف ثوبهاالممزق
وتتأمل من خلال تلك الثقوب جسده النحاسى الذى لاح لعينيها
غليظا قويا :

ـ فى ايه بتفكر ؟

فنظر اليها وجاراها فى الابتسام وقال :

ـ فى الله ‥

فنهضت ضاحكة وتركته وانصرفت الى الخارج · ولم تغب
حتى عادت تحمل على يديها الجميلتين صينية كبيرة وضعتها أمامه
وهى تقول :

ـ على ماقسم ‥

فنظر الى الطعام الذى أمامه · والزجاجة الصفراءالتىوضعت عليها وقال :

ـ أهذا كله لى ؟··

ـ كله لك ··

وعندما رأته يلتهم الطعام فى نهم سرها مارأت وقالت :

ـ أجائع أنت ؟

فقال ضاحكا منطلق الوجه :

ـ ومن يرى هذا ولايجوع ؟ ··

فقالت مبتهجة وهى تمد يدها الى زجاجة بجواره :

ـ أتشرب ؟

ـ أنا لا أشرب على الطعام أبدا ··

ـ انها ليست ماء

ـ ماهى اذن ؟

ـ خـــذ ··

ـ مية نصارى ؟

ـ جـــدع ··

ـ ولكننى لا أشرب الخمر ··

ـ ليست خمرا ··

ـ ماهى اذن ؟

فاستلقت ضاحكة تطوق عنقه بذراعيها ·· وتقدم له الكأس الثانية قائلة :

ـ شربات ··

وأفرغ الكأس فى جوفه مرة واحدة ·· ثم عاد وأفرغ الكأس الثانية فى جوفه مرة وأخرى ·· وما أن فعل ذلك حتى ثقلت رأسه وشعر بشىء يشبه الدوار فقال :

ـ ما اسم هذا الماء ؟

ـ كونياك ··

ـ ولماذا يشربه الناس ؟

ـ ليمنع عنهم الخوف ··

وفجأة أحس بأن الأرض تدور به وأن الغرفة التى يجلس فيها كأنها أرجوحة هوائية تروح به وتجىء وتعلو صاعدة الى السماء وتهبط نازلة الى الأرض · تميل به ناحية اليمين حتى

ليكاد ينكفيء على السرير الكبير الذى على يساره · وتميل بهمرة أخرى ناحية الشمال حتى ليكاد يرتمى على صدر المرأة المستلقية بجواره دافنة وجهها الأبيض فى موجة من سواد الشعر الفاحم الذى تهدلت خصلاته حول رأسها المخمور وتلتف الثعابين على ذراعيها ، ويستلقى الهلال على صـدرها العارى وتلتف حـول الثديين أسلاك الأنجم الثلاث ، كما يلتف الخلخال ببلابله حول الساق العارية المستلقية ..

ونظر الى الغرفة التى تتأرجح به والمقعد الذى يهتز من تحته والمرأة السكرى التى تسبح فى اغفاءة غامرة ، والمصباح الزجاج الذى تهتز ذبالته الشاحبة فتتأرجح فى الليل · فأغمض عينيه وزم شفتيه ، ومن ثم ألقى برأسه الثقيل على صدرها يرسل من منخاره الكبير شيئا يشبه هزيم النار ·

وتحركت المرأة فى رقدتها وفتحت عينيها ونظرت اليـه .. فأخذتها اطراقته الثقيلة وأخافتها سحنته المربدة فاقتربت منـه مضطربة وقالت متلعثمة من فعل الخمر :

ــ مابك ؟

ــ لاشيء ..

ــ فيم تفكر ؟

ــ فى زاهية ..

فألقت بذراعيها على كتفه ضاحكة تنظر الى سحنته النحاسية وقالت :

ــ أتحب امرأة غيرى ؟

ــ انها تكح هى الأخرى ·

فلم تسمع وأرادت أن تسـمع فخلصت وجهها من بعض خصلات الشعر المسدلة عليه وقربته من وجهـه مضيئا باهرا وقالت :

ــ قلت أتحب امرأة غيرى ؟

فأخذته اشعاعة من نور انبعثت من وجهها فى عينيه فنظر اليها متأملا وقال بعد أن همهمت شفتاه :

ــ بل أحبك أنت ..

ــ اذن خذني اليك ..

وارتمت فى أحضانه والتصق صدرها العارى بصدره النحاسى

الخشن • فخفق قلبه وثارت ثورته • فنهض هائجا كالثور وحملها على ذراعيه القويتين وألقى بها على الفراش فى عنف • وهم أن يقول لها شيئا • ولكن قدمه اصطدمت بشيء ثقيل على الأرض تبينه ، فاذا به زجاجة فيها خمر فتناولها • ونظر اليها وأحس برغبة شديدة فى أن يشرب • وأن يشرب • فرفعها الى فمه فجأة وأفرغ مافيها فى جوفه مرة واحدة ومن ثم راح يمسح على شفتيه وينظر الى تلك المرأة التى أخذتها سريعا اغفاءة أخرى فاستلقت نائمة •• فراح يتطلع اليها ثانية ويتأمل بعينيه جمـــال تلك الذراع النائمة بجوارها تلتف عليها ثعابين الذهب وفتنة ذلك الصدر العارى الذى تلتمع عليه تلك اللبة بهلالها الكبير وأنجمها الثلاثة فتزيد نوره بهاء •

وينظر الى تلك الساق التى يزينها الخلخال وبلابله الست وواتته فكرة فنفاها سريعا عن خاطره ولكنها عادت اليه ثانية ومرت بخاطره ، وما أن فعلت حتى انتفض فى مكانه مذعورا وجلا يتصبب العرق من كل جارحة فيه • وأحس بالخوف يكتنفـــه والاضطراب يلم به •

وأراد أن يهرب فنظر الى الباب وهم أن ينقل قدمه ولـكنها اصطدمت مرة أخرى بشيء ثقيل على الأرض فتبينه فاذا به زجاجة ولكنها فارغة فأمسك بها فى يده • وأحست المرأة وهى نائمة بشيء ثقيل يشبه الخوف يطبق على صدرها ففتحت عينيها ونظرت فأرعبته نظراتها رعبا شديدا وجحظت عيناه جحوظا مخيفا فى الليل وأربدت سحنته اربدادا مروعا وهو يرفع ذراعه القوية ويده الغليظة التى تصلبت أصابعها على الزجاجة وهوى بها فى غلظة هائلة على الجبهة فهشمتها ، وانفلتت صرخة مختنقة من المرأة فأسرع الى شفتيها بكفه الغليظة الثانية وأطبق على فمها كالهول الكبير يتطلع الى تلك الدماء الغزيرة التى تتدفق على يده المتكالبة على فمها •

وكلما انقطعت تلك الدماء أو كادت هوى على الرأس بضربة أخرى حتى تهشم وتناثرت عظامه ولم يبق منه غير فجوة غائرة بين الكتفين تتدفق منها الدماء ، فوقف لاهثا يسترد أنفاسه •• ومن ثم غادر الغرفة وراح يهبط الدرج فى الليـــل ، فى نفس

الخطوات التى كان يصعدها بها منذ ساعات . وتسلل الى داره يحمل شيئا بين يديه . وما أن التقى بزوجته حتى ألقى اليهـا مبتهجا بصرة كبيرة وهو يقول :
ـ خذى ..
ونظرت زوجته الى وجهه المغبر وشعره المشعث ، وثيابه الملطخة بالدماء ، ورائحة الخمر الرخيصة التى تنبعث من جوفه . ولطمت خديها قائلة :
ـ قناوى مابك ؟
ـ قلت لك خذى ..
ـ ماهذا ؟
ـ ذهب .. ذهب .. ذهب .
ـ ذهب ؟!
وارتاعت عيون زوجته وهى تفتح الصرة وتطالع تلك الحفنة الكبيرة من الذهب .
وارتاعت أكثر ووقفت نظراتها جامدة على بلابل ست تعلقت بخلخال كبير من الذهب ، راحت أنغامها تحدث بين يديهـا المرتعشتين رنينا عذبا .
وتطلع قناوى الى وجهها المتجمد كالحجر وعينيها المتسمرتين على الخلخال وقال :
ـ احفرى حفرة فى الأرض وادفنى هـذا الذهب ان كنت خائفة ..
ـ انه ذهب أم كامل ..
ـ أجل .
ـ انه ذهب فالصو .



خلخال وهيبة

ـ مبروك ..
ـ خيرا ..
ـ صدر أمر نقلك الى القاهرة ..
فأسقط في يدي وقلت :
ـ وما الذي تراه في هذا من الخير ؟
ـ انك ستعيش في الدنيا .
ـ وهل أعيش الآن في الآخرة ؟
فابتسم وقال وهو يحك بابهامه شيئا لزجا كان على صدر قميصه البالي ؟
ـ أو تظن أن كاتب تنظيم في مجلس محلي صفط الملوك يعيش في الدنيا .
فلم ألتفت الى هذا السخف الذي قال وسألته :
ـ ومن الذي جاء اليك بهذا النبأ المشئوم ؟
ـ خطاب سري ومستعجل وبعثت به لحضرة الباشمهندس في المرور ..
وانصرف مطر أفندي كاتب المستخدمين وبقيت وحدي في مكتبي أفكر في هذه المصيبة التي حلت بي ومن الذي تسبب فيها وكيف سأعيش في القاهرة بهذا المرتب الضئيل الذي أتقاضاه . أنني أعيش هنا في صفط الملوك عيشة الكفاف في نطاق السبعة جنيهات التي اتقاضاها والتي لم تزد ولم تنقص منذ سنوات طويلة ، وكأنها منحة القدر التي لاحيلة لانسان فيها . فهل هذه الجنيهات السبعة ستوفر لي نفس هذه الحياة هناك على مافيها من شقاء لايحتمل ، وهبها كانت كذلك واحتملتها أنا . هل ستتحملها وهيبة زوجتي ؟ وهذه الفتاة الريفية الساذجة التي لم تغادر صفط الملوك يوما . والتي لاتجيد وضع القبقاب في قدمها ان هي أرادت يوما أن تتمدن وتتزين وتضع شيئا في قدمها بدل أن تظل حافية القدمين . كيف ستعيش هذه في القاهرة وتجاري تيارها الجارف ، وحياتها الصاخبة التي نقرأ عنها في الصحف ، أو نسمع عنها في الخيال . فكرت في هذا كله سريعا ثم استنكرته سريعا أيضا ، واستنكرته استنكارا شديدا حتى

تمنيت لو أن مطر أفندى يكون غير جاد فيما قال ·
وقلت أنتظر عودة حضرة الباشمهندس رئيس المجلس من المرور · واستوضحه الخبر · وان كان حقيقة أرجوه فى أن يتوسط لى فى الغاء هذا النقل ، ولكن كيف السبيل الى مقابلة حضرة الريس · انه من العسير علينا جدا نحن الموظفين ان نقابل حضرة الريس ؟ أو ندخل عليه مكتبه الا اذا طلبناهو ، فهورجل فظ غليظ القلب لايطلبنا لخير أبدا ، وانما لشر دائما ، وكانت آخر مرة طلبنى فيها من شهرين ، هى التى خصم لى فيها ثلاثة أيام لا لجرم ارتكبته ، وانما لخطأ غير مقصود ، وهو تقرير عاجل عن قطعة أرض خارجة فى التنظيم ، فكتبته بخطى ولم أكتبه على الآلة الكاتبة · فكرت فى هذا كله وفى غير هذا · ولما لم أجد وسيلة ذهبت الى فهمى فراش مكتبه · ونحن جميعا نعرف دالته على الريس وقدمت له سيجارة · ورجوته فى الحاح أن يمكننى من مقابلة الريس عند عودته من المرور · ومن ثم رحت أنتظر فى مكتبى بيد أنى لم أنتظر طويلا لأن السيد فهمى كان قد عمل بالرجاء ، اذ أقبل على سريعا بمجرد عودة الريس وطلبنى اليه ففرحت فرحا لايقدر · ورحت سريعا أصلح من وضع طربوشى ، وزررت الجاكتة ، ولما استوثقت من نفسي مددت يدى ونقرت على الباب ثلاث مرات كما هى العادة · وما أن دخلت عليه مكتبه حتى فوجئت مفاجأة غريبة جدا · فقد رأيت بعينى رأسى حضرة الباشمهندس ينهض من على مكتبه سريعا ويستقبلنى عند الباب ويحيينى فى حرارة واحترام زائد ، بل زاد على هذا كله أن مد لى يده وصافحنى · ثم أشار الى مقعد بجوار مكتبه وطلب منى أن أجلس فى حضرته ·
فدهشت دهشة كبيرة ورفضت بطبيعة الحال أن أجلس ولكنه ألح بل أقسم فجلست خجلان · وما أن جلس هو أيضا حتى قدم لى سيجارة من علبته الذهبية الفاخرة · وقال وكأنه يداعبنى :
ـ يا أخى لما أنت لك واسطة كبيرة كده ، ومركزك خطير للدرجة دى مش تقول لى ··
فتلفت حولى لأننى ظننت انه انما يخاطب شخصا آخر ·· ولما لم أجد أحدا قلت :

ـ مركزى أنا ياأفندم ؟
فقال ضاحكا وهو يضغط على جرس الساعى الذى على مكتبه -
ـ أمال مركزى أنا ياسى عبد الدايم ؟ فبلعت ريقى وهممت أن أقول شيئا لولا أن فهمى الفراش كان قددخل عليناوحيا أن حضرة الريس تلك التحية العسكرية التى هزت الأرض تحت قدمى . وما أن خلص من تحيته حتى قال له الريس على الفور :
ـ حاجة صاقعة بالعجل لسى عبد الدايم . فلم يصدق فهمى ماسمع وراح هو الآخر يتلفت حوله لعل هناك عبد الدايم غيرى، ولكن الريس نهره فى غضب فانصرف سريعا وقلت أنا :
ـ لى أنا يافندم ..!؟
قلتها دون أن أشعره فقد اختلط على الأمر اختلاطا كبيرا . كما اختلط أيضا على فهمى الذى عاد سريعا ودق الأرض بقدميه وهو يحيينى أنا هذه المرة ويقول :
ـ تشرب ايه ياسى عبد الدايم ؟
فكدت من شدة الحرج أسقط من فوق المقعد وقال الريس شاخطا فى عنف ارتعدت له فرائص فهمى :
ـ قلت لك حاجة صاقعة .
فانصرف سريعا كما أقبل سريعا . ولما خرج التفت الى حضرة الريس وقال :
ـ هيه .. مين بقى ياسيدى واسطتك ؟
ـ فى ايه ياأفندم ؟
ـ فى هذا المنصب الخطير الذى ظفرت به .
ـ أى منصب يا أفندم ؟
ـ اسمع ياسيدى ..
قال ذلك ومد يده الى جيبه وأخرج خطابا حكوميا ، استطعت أن ألمح على طرفه كلمة مكتب الوزير وقرأ (نظرا لكفاءة حضرة الأستاذ عبد الدايم أفندى فرج الموظف بالمجلس ، فقد وقع الاختيار عليه ليعمل بمكتب معالى الوزير ، على أن يخلى طرفه فورا ويتسلم عمله كسكرتير خاص لمعالى الوزير ابتداء من صباح السبت ١٤/١٠/١٩٤٨ ، امضاء ، وكيل الوزارة)
وما أن سمعت ذلك حتى دارت بى الأرض ، وأصبت فجأة بشبه الذهول ولولا أن الفراش دخل علينا فجأة وحيانى مرة

أخرى تلك التحية العسكرية التى هزت الأرض تحت قدمي وهو يقدم لى كوبا من عصير الليمون المثلج وينصرف ، لظننت أن المعنى بهذا كله هو غيرى من غير شك ·· وظللت كذلك الى أن مضت فترة صمت طويلة قطعها حضرة الريس بسيجارة أخرى قدمها لى وهو يصر هذه المرة على أن يشعلها لى بيده ، ثم قال :

ـ هيه ·· مين بقى ياسيدى واسطتك ؟

وكنت قد رجعت الى نفسى ووجدت الأمر أصبح حقيقة ·· أنا هو أنا ·· والريس هو الريس ·· وكوب الليمون المثلج فى يدى ·· واللفافة الامريكانى الفاخرة بين أصابعى ، لما وجدت ذلك كله ، وضعت ساقا على ساق وقلت فى شىء من الكبرياء :

ـ والله دى مسألة ترجع الى صلة عائلية ، تربط أسرتى بأسرة معالى الوزير من زمن بعيد ··

فقال الريس على الفور وكأن شيئا يهزه على مقعده :

ـ انت قريب معالى الوزير ؟

ـ أجل قريب معالى الوزير ··

فنظر الى وقال وهو يدقق فى وجهى وكأنه يرانى لأول مرة ·

ـ تعرف ياعبد الدايم أفنـــدى أنا دلوقت بس آمنت بأنى صحيح صادق النظرة · لقد قلت عنك هذا من أول يوم رأيتك فيه · قلت لابد وأن تكون من أسرة كريمة لأن خلقك الـكريم وقلبك الكبير وطهارة نفسك وحرصــك على عملك ، كل ذلك جعلنى أتحدث عنك وأشيد بك فى كل مكان ·

فشكرت له هذا الثناء · ولما انصرفت من حضرته أبى الاأن يودعنى عند الباب بعد أن اتفق معى على أن نلتقى فى المســاء وتركته وانصرفت الى وهيبة تغمرنى موجة من الفرح لاحد لها وزففت اليها هذه البشرى ففرحت فرحا لايقدر لأنها ستذهب الى مصر وتقيم فيها على مر الزمن ـ مصراوية ـ ورحت معهــا نتحدث عن المنصب الجديد وفضل معالى الوزير الذى يبحث عن الاكفاء وينقب عنهم ويستخرجهم من تراب الريف كمايستخرج الذهب من المنجم ·

وما أن جاء المساء وشاع الأمر فى القرية وعرف بأننى أصبحت سكرتيرا لمعالى الوزير حتى توافد على أهلها جميعا يتقدمهم حضرة العمدة ، وشيخ البلد ، وحضرة عزمى أفنـــدى رئيس المجلس

وعبد الستار أفندى مهندس المساحة ، والدكتورالشربينى حكيم المركز ، وراح الجميع يهنئوننى وهم يكادون يقبلون يدى كما راح حضرة العمدة وعزمى أفنـدى الباشمهندس ينـوبان عنى في رد التهنئة والتحية للناس وعبد الستار أفندي مهندس المساحة والشيخ الدمرداش شيخ البلد يعدان العدة لحفلة الشاى الكبرى التى ستقام فى دوار العمدة تكريما لى ٠ والتى تحددلها مساء اليوم الثانى ، وهو اليوم الذى يسبق سفرى مباشرة ٠ وان أنسى فلن أنسى ماحييت فرحة وهيبة وهى على السطح تسمع وترى جموع الناس الذين غصت بهم الحارة يلتفون من حـولى مهنئين فترسل من فرط فرحتها الزغرودة تلو الزغرودة ٠ ٠ ولما انصرفوا أبى العمدة الا أن يصحبنى الى بيته لأتناول العشاء على مائدته أنا وحضرة الباشمهندس وشيخ البلد وعبد الستار أفندى مهندس المساحة وبعد السهرة الطويلة التى انفقناها فى الحديث عن مركزى الجديد وكيف أننى سأصبح عونا وظهرا لأهل القرية جميعا فى الوزارة ، انصرفت الى منزلى فاستقبلتنى وهيبة فى أبهى زينة ، المنديل أبو أويه المطرز بخرج النجف عقـدته فوق قصة من الشعر الفاحم زانت بها جبينها الوضاء ٠ وثوبها الأحمر الفاقع الذى راحت حمرته تلمع فوق جسدها كما تلتمع جمرات النار فى عينيك من بعيد ٠ وضفائر الشعر الاسود التى تدلت على الظهر فى طرفها الاحجبة والتعـاويذ وكأنها الرقى تحرس الخصر والأرداف من العين ، والقبقـاب الذى تزين به قدميها الجميلتين المخضبتين ٠ ومن فوقهما الخلخال الكبير الضخم ببلابله الثمانى ترسل جرسا موسيقيا عذبا كلما انتقلت الساق عن الساق ٠

ومن ثم جلسنا نتحدث عن كل شىء ٠٠ عن الحب وعن الجمال ، وعن القاهرة ٠ وعن المنصب الجديد ٠ وعن الدنيا عندما تقبـل على انسان ٠

وفجأة تطرق بنا حديث السفر الى مشكلة هامة وهى ثيابى ٠ والبذلة التى سأستقبل بها معـالى الوزير وكيف أن ملابسى الحالية لاتصلح ٠ وليس معنا نقود حتى نستبدل بها غيرها ٠ وغير ذلك كله فالوقت ضيق جدا ٠ وفجأة تعقد الأمر وغاضت الابتسامة الجميلة من على ثغر وهيبة ، كما رحت أشعر بما يشبه

الضيق يطبق على أنفاسي ٠
وظللنا كذلك زمنا ولكنه لم يطل كثيرا والحمد لله ، لأن وهيبة حلت الموقف سريعا بأن أعطتني خلخالها الفضي الكبير الذي كنا قد أدخرنا ثمنه من شقاء العمر لأبيعه واشترى بثمنه بعض ما أحتاج اليه من ثياب جاهزة ، جاكتة وبنطلونا وحذاء ٠ ٠ أما الطربوش فقد اتفقنا على قلبه ٠ لأنه من فضل الله كان لم يقلب بعد ٠٠
وفي الصباح توكلت على الله وذهبت الى أقرب مدينة الينا وهي دمنهور ٠ وذهبت الى الصائغ فاشترى مني الخلخال بسبعة جنيهات ٠ وكان معي ثلاثة جنيهات أخرى ، جنيهان كنت أملكهما والجنيه الثالث كانت قد أدخرته وهيبة على مر السنين واشتريت جميع لوازمي الضرورية ولم أنس أن أشترى شبشبا جديدا لوهيبة بدل القبقاب ٠ وانتهيت من ذلك سريعا ولم يعطلني طوال اليوم غير الطربوش الذي قلبته فعاد جديدا لامعا ٠
وفي المساء عدت الى صفط الملوك ٠ وما أن أقبلت على القرية حتى طالعتني الثريات والمصابيح المنورة التي راحت تتلألأ نورا وبهاء أمام دوار حضرة العمدة ٠ فتذكرت حفلة الشاي التي ستقام تكريما لي ٠ وما أن بلغت الدار حتى أخبرتني وهيبة بأن القوم ينتظرونني من ساعات ٠ ولما أعطيتها ما معي ورأت بذلتي الجديدة، البنطلون الفرسكة الرصاصي والجاكتة الكحلية والكرافتة الحمراء المخططة أرسلت زغرودة طويلة وأبت أن أذهب الى حفلة الشاي الا في هذه الحلة الجديدة فنزلت عند رغبتها ، ومن ثم رحت اخترق الحارة من الدار الى دوار العمدة تزين صدري تلك الكرافتة الحمراء وذلك المنديل الأبيض الذي ازدان به صدري ٠ وما أن أقبلت على دوار العمدة حتى وجدته قد غص بعلية القوم يتقدمهم حضرة مأمور المركز وحضرة ضابط النقطة وما أن هلت عليهم طلعتي حتى راح التصفيق يشق عنان السماء ومن ثم التفوا من حولي هذا يصافحني ، وذلك يقبلني وآخر يود لو حملني فوق رأسه الى أن بلغت المقعد الذهبي الكبير الذي أعد لي بين حضرة الباشمهندس وحضرة المأمور ٠ وبجوارنا حضرة العمدة وعبد الستار أفندي مهندس المساحة وما أن أكلنا ما لذ وطاب من الحلويات وشربنا الشاي حتى وقف عبد الغني أفندي كاتب

حسابات المجلس وألقى قصيدة عصماء عـــدد فيها مناقبى ··
ثم تلاه مطر أفندى كاتب المستخدمين وألقى خطبة طويلةقوطعت
بكثير من التصفيق · ثم وقف بعد ذلك حضرة عزمي أفنـــدى
المهندس رئيس المجلس وألقى كلمة طويلة مازلت أذكر منهـا
الى اليوم ذلك السجع الجميل الذى قاله فى شخصى الضعيف
يصف الوظيفة الجديدةالتىظفرت بها ـ خلقت له ·· وخلق لها··
ولو رامها غيره لزلزلت الأرض زلزالها ·· "
وبينما أنا أجلس في مكانى استمع الى كل هذا وعرق الخجل
يتصبب من كل جارحة فى · وأفكر فى موقفى عنـدما سأقف
الآن لأرد على كل هذا المديح الذى لم يقله قائل فى انسان ·
ولا حتى فى معالى الوزير نفسه عندما تقلد منصـب الوزارة ·
اذ بى أرى الشنوانى عامل التليفون يقبل من بعيد سريعا وفى يده
دفتر الاشارات ويقترب من العمدة وحضرة الباشمهندس ويهمس
فى أذنيهما بشىء ذى بال انصرفا على أثره سريعا ولم يمكثا بعيدا
حتى أقبل الشنوانى ثانية · وأشار الى من بعيد فذهبت اليـه
وما أن انضممت اليهما حتى قال حضرة الباشمهندس على الفور
وهو متجهم الوجه وفى صوته غلظة كتلك التى اعتاد أن يخاطب
بها الموظفين فى المجلس أثناء العمل ·
متأسف ياعبد الدايم أفندى ، فقد حدث لبس فى الأمر ـ اذ
المقصود هو عبد الدايم أفندى فرج الموظف بمجلس محلى صفط
العنب ، لاعبــد الدايم أفنـــدى فرج الموظف بمجلس محـلى
صفط الملوك ··
ثم أدنى دفتر الاشارات من عينيه وقرأ ، وقد أمر معالى الوزير
باجراء تحقيق سريع لمعرفة المتسبب فى هذا الخطأ ·

●●●


الأيام
السعيدة

كانت أهم مشكلة اعترضتنى عندما صدر أمر نقلى الى القاهرة هى مشكلة السكن ، فقد كان الحصول على سكن ملائم فى القاهرة فى ذلك الحين أشبه بالحصول على كنز يهبط عليك من السماء ، أو يخرج اليك من الأرض ـ ولذلك عندما جاءنى سلامة ماسح الأحذية الذى تعرفت عليه فى القهوة التى كنت أجلس فيها وأخبرنى أنه وجد لى مسكنا ملائما كانت فرحتى لاتقدر ، وانصرفت معه سريعا أسير خلفه ، وهو يخرج بى من حى الى حى ومن طريق الى طريق حتى وقف بى أمام عمارة كبيرة فى شارع معروف وقال وهو يشير الى شقة معينة ـ هذه ·

ـ هذه !!؟

ـ أجل وتطل على الشارع ولها شرفة كبيرة ·

ـ أنت مجنون · أظننتنى ثريا حتى أقطن هذه العمارة ؟

ـ وهل الذى سيقطنها أحسن منك ؟

ـ لم يكن أحسن منى ولكنه أكثر ثراء منى ·

ـ بسيطة ، تعال اتفرج وربنا يفرجها ·

ورفضت أن أصعد معه ولكنه أصر وكان البواب قد اقترب منا فخجلت وصعدت معهما وسوف لا أعدم سببا أخرج به من هذا الحرج الذى ورطنى فيه السيد سلامة ، ووجدت الشقة جميلة حقا لاعيب فيها الا دخلى المحدود ··

ووقفت حائرا أو قل عاتبا على موزع الحظوظ الذى أبى الا أن يحرمنى من هذا الهناء الذى أباحه لغيرى · وكأن سلامة بذكائه ـ وكان ذكيا حقا ـ أحس بما أفكر فيه فغافل البواب وقال لى هامسا ـ ماتخافش دى رخيصة · خمسة جنيهات ايجار ·· ومئة خلو ··

وما أن قال ذلك حتى أخرجنى من الحرج الذى كنت فيه · فقد كنت أظنها أغلى ثمنا من هذا · ولذلك انصرفنا سريعا وحصلت على المبلغ سريعا ·

واستأجرتها وأنا أشد ماأكون فرحا بها وبسلامة الذى كان سببا فى هذه الصفقة الرابحة ·

بيد أن هذه الفرحة لم تدم غير عدة شهور قلائل جداعشت بعدها فى جحيم لايطاق ، حتى رحت أسخط على كل شيء • على الحياة وعلى نفسى • وعلى اليوم الذى قطنت فيه هذا المنزل ،وعلى سلامة الذى دلنى عليه • ورحت من جديد أبحث عن سكن آخر، وأتردد على سلامة ثانية وأتوسل اليه أن يبحث لى عن سكن آخر ـ مهما كان وبأى ثمن ـ ولما سألنى عن السبب قلت له كل شيء الا الحقيقة •

فقد حدث أن قطن الشقة التى تقابل مسكنى تماما ، والتى تطل شرفتها على مسكنى مباشرة لايفصلهما غير عرض الشارع الذى بين العمارتين ، رجل يعيش مع سيدة تكاد تماثله فى السن التى تقدمت بهما بعض الشيء • وأغلب الظن أنها كانت صديقة لهذا الرجل •

فقد كانت حياته معها،وحياتها معه ، حياة غير كريمة على أى حال• ان دلت على شيء فعلى استهتار كبير ببعض القيم الاخلاقية التى ألفناها فى بيوتنا ونسير عليها فى حياتنا الخاصة ، والتى يحرص عليها رجل محافظ مثلى وزوجة محافظة كزوجتى • وأغلب الظن أيضا أن الرجل كان لايعنيه أن يعرف عنه ذلك أو يتقول عليه متقول اذا هو خرج عن التقاليد المرعية ، فهو يداعب هذه السيدة دائما ، وهى أيضا تداعبه دائما ، يداعبها وهو معها فى الشرفة، ويقبلها وهو معها فى النافذة ، ويعابثها أيضا اذا كان معها فى الطريق ، لايعنيه أن يراه أحد أو لايراه ، ينتقده ناقد أو لاينتقده ••

وقد ضايقنى هذا كثيرا لأنه كان يقع دائما على مرأى منى ومن زوجتى التى لم تقع عينها على مثله أبدا •

ولذلك كانت تستهجنه وتغض الطرف عنه برمة به غير راضية عنه • وكثيرا ماكانت تريد أن تجلس فى الشرفة أو تقف فى النافذة •

وماتكاد تفعل حتى ترتد سريعا محمرة الوجه ثائرة الأعصاب متذرعة بالصمت لاتفتح فمها اليوم كله • ولما كنت أسألها كان يمنعها الحياء من أن تجيب • فيزداد سخطى على الرجل وهذه المرأة التى تعاشره • وعلى نفسى كذلك • اذ ماذا أصنع • هل أقول له لاتقف فى نافذة بيتك ، ولا تجلس فى الشرفة أنت

وهذه المرأة ، وأن لاتداعبها هذه المداعبة السمجة ؟ ..

ان هذا ليس من حقى ، ولا هو أيضا من حق أى انسان .. وانما الذى من حقى هو أن أغلق نافذتى أنا . وأن لاأجلس فى الشرفة . وأنا ان فعلت فمعنى ذلك أننى سأعيش فى سجن . وأنا ان تركت هذا المنزل لكى أنجو بنفسى وبزوجتى من هذا الآدمى فأين أجد المنزل الآخر . وان وجدته أين أجد مئة جنيه أخرى ؟ ..

وتملكتنى الحيرة . ورحت مرة أخرى أسخط على كل شىء . على الحياة وعلى نفسى ، وعلى اليوم الذى قطنت فيه هذا المنزل . وعلى سلامة الذى دلنى عليه . وظللت كذلك الى أن حدث ذات مساء ، أن شغلنى شاغل عن الخروج من البيت فقد كان من عادتى أن أخرج فى المساء دائما . فجلست مع زوجتى فى الشرفة نتحدث كما هى العادة فى شئون البيت ونفقات المعيشة ومتاعب الجزار وبائع الخضر ، ومناكفات الخادمة الجديدة ، التى لاهم لها الا الغناء فى أوقات العمل ومغازلة خدم الجيران فى أوقات الفراغ . وما الى هذه الأحاديث المعادة التى نتحدث بها دائما كلما واتت الفرصة فجلست فيها الى زوجتى ..

وفجأة رأيت الرجل أمامى فى الشرفة . والى جانبه تلك المرأة . وكان يتناول معها عشاء خفيفا على مائدة صغيرة فى الشرفة . وهما يضحكان ويعبثان عبثا سخيفا ، هو يضاحكها حينا وهى تضاحكه حينا آخر . كان يهمس لها بشىء فتغرق فى الضحك أو تهمس له بشىء فيستلقى ضاحكا . وهو يختار لها شيئا شهيا من على المائدة فيدسه لها فى ثغرها عنوة . وهى تنتقى له شيئا أشهى وتأبى الا أن تعيده طفلا صغيرا فتمسك بيده ، ثم تطعمه باليد الأخرى ، غير متحرج وغير متحرجة . ثم هما بعد أن انتهيا من الطعام جلسا على مقعدين مريحين يشربان القهوة ويعبثان — هى تغافله وتمسكه من أذنه فجأة فيصرخ ويضربها على يدها فى حنان ، وهو يغافلها ويلتقط قبلة من ثغرها فتستلقى على صدره ضاحكة ..

ورحت أرى هذا الذى أرى ، وأسمع هذا الذى أسمع ، ونظرت الى زوجتى أيضا ، وفكرت فى أن أغادر الشرفة . ولكننى خشيت أن ألفت نظر زوجتى الى ما لا يجب أن تلتفت اليه . واستبد بى التفكير

واستبد بى أيضا الغيظ والحنق ، وكأن زوجتى لاحظت على ما أنا فيه من حرج فأشفقت على بأن استأذنت لتنام ومن ثم غادرت الشرفة وانصرفت الى مخدعها وأغلقت بابه عليها ونامت ٠

ومكثت أنا بعدها فى الشرفة الى حين ثم انصرفت أنا الآخر الى مخدعى لأنام ولكن دون فائدة فقد استبد بى الأرق ٠ ٠ وليس أثقل على النفس من تلك الساعات التى يقضيها الانسان فى فراشه يهتف بالغمض ٠٠

وبينما أنا كذلك أتلوى من الغيظ والحنق على ذلك الرجل المستهتر وتلك المرأة الفاجرة ٠ والأرق الذى انتابنى ، رأيت بجانبى كتابا كنت قد اشتريته ولم اقرأه بعد ، وكان عنوانه ، « الأيام السعيدة » فرحت أتصفحه ، وماأن قرأت فيه ، قليلا حتى استهوانى موضوعه الذى كتبه المؤلف عن الزواج وكان الكتاب غاية فى اللطف ٠ وغاية فى العمق أيضا اذ راح المؤلف يحدد فيه بوضوح تلك الخطوط الرئيسية التى تربط الرجل بالمرأة برباط الزوجية ٠ ويبرز تلك الخطوط الدقيقة جدا التى يتعذر علينا رؤيتها أحيانا لتهدم حياتنا الزوجية من غير أن ندرى٠ وظللت كذلك مستمتعا بما اقرأ الى أن وجدت المؤلف فجأة يدير هذا الحوار بين أبطاله فى القصة ٠

ــ وبماذا شعرت بعد أن قبلتها ؟

ــ كأنى ملاك يحلق فى السماء بجناحى طائر جميل حول شعلة من نور ٠

ــ وهى ماذا كان شعورها ؟

ــ شعور المعبود الذى يتهجد العابد حول محرابه ٠

ــ تقصد انها كانت النور الذى تحلق حوله ؟

ــ وكانت أيضا النار التى تحرقنى ٠

ــ اذن أنت تحترق دائما ؟

ــ بكل أسف لا ٠

ــ لماذا ؟

ــ لأن الظروف لم تتح لى هذه السعادة دائما ٠

ــ كيف ألم تكن زوجتك ؟

ــ وهو ينظر اليه مغتاظا ــ زوجتى ؟

ـ أجل زوجتك ..
ـ ظننتك أكثر ذكاء مما انت . أتظن أيها الغبى أن للقبلة الزوجية كل هذا السحر ؟ .. هذا النور ؟ هذه النار ؟ ..
ـ ولم لا ؟ ..
ـ اسمع ... انت متزوج .. أليس كذلك ؟
ـ أجل ...
ـ وتحب زوجتك ؟
ـ أجل أحبها ..
ـ صف لى شعورك عندما تقبلها ..
ـ (بعد تفكير) الحقيقة لاشعور اطلاقا ..
ـ اذن لماذا تريد منى أن أكون غير ذلك ؟
ـ أهكذا كل زوج ؟
ـ كل زوج وانى أقسم لك غير حانث ، انه مامن زوج قبل زوجته عن طيب خاطر أبدا .

ولست أدرى لماذا ألقيت بالكتاب عند هذا . ورحت أفكر . وفجأة رأيتنى اسأل نفسى .. هل حقيقةهذا الذى قرأت ؟ وهل الزوج فعلا اذا قبل زوجته فهو لايقبلها عن طيب خاطر .. ؟ وهل أنا كذلك باعتبارى زوجا ، وزوجا أحب زوجتى وأنزلها من نفسى منزلة كبيرة بل اعتبرها الجزء المكمل لحياتى . وهل حقيقة عاطفتى حيالها هى كذلك ليس لها تلك النـــار ولا ذلك النور الذى يكون للصديقة أو للعشيقة كما قرأت الآن؟وفجأةسمعت وكأن هاتفا يهتف فى أعماقى قائلا :

ـ أجل أنت أيضا كذلك . .

وأحزنتنى هذه الحقيقة الهائلة التى عرفتها فى نفسىعن غير قصد وشغلتنى عن كل شىء حتى عن الغمض الذى كنت أهتف به وتمنيت أن أكون مخطئا وأن يكون مؤلف هذا الكتاب مخطئا أيضا . وفى الصباح أردت أن أجرب فانتهزت فرصة مناسبة بعد أنتناولت الافطار وشربت فنجان القهوة .

وعندما هممت أن أنصرف الى عملى اقتربتمنزوجتىوداعبتها فجأة على غير العادة ومن ثم أمسكت بيـدها فى لطف وقربت رأسها الى كتفى وشحذت حواسى جميعا وهممت بتقبيلها بيد

أنها أشاحت عني بوجهها فجأة وهى تقول فى غيظ .
ــ ماذا تريد ؟
ــ أقبلك ..
ــ ولماذا ؟ ..
فقلت فى خجل ..
ــ ألا يقبل الزوج زوجته ؟ ..
ــ وهل أنا زوجتك اليوم فقط ؟
ــ انك زوجتى من زمن بعيد ..
ــ ولماذا اذن لم تقبلنى منذ ذلك الزمن البعيد ؟
ــ اننى أقبلك دائما ..
ــ فى أوقات محددة فقط . ان لى معك عشر سنوات لا أذكر انك أردت خلالها ماتريده اليوم اللهم الا اذا كان فى مناسبة
ــ أى مناسبة ؟

ــ تلك التى تريدها أنت وتحددها انت ، تماما كما لوكنت قطعة من متاع بيتك . تعبث بها فى الوقت الذى تشاء وتلهو بها في الوقت الذى تريد وان لم ترد فهى فى مكانها سواءعلاها الصدأ أم عفرها التراب ، أما هى فى غير هذه المناسباب السمجة الثقيلة فأنى أجهل من أنا بالنسبة اليك ..

ــ من أنت بالنسبة الى ؟
ــ أجل من أنا بالنسبة اليك ؟ هل أنا صديقة لك ؟ .. لا.. فأنت لم تعاملنى معاملة الصديقة .. هل أنا حبيبتك ..؟ لا.. لأنك لم تقبلنى مرة واحدة من غير مناسبة . كما أردت اليوم.. هل أنا زوجة لك ؟ أنا كذلك فعلا .. لكن من شق واحدفقط.. هو أنت .. هو تلك المناسبة التى تريدها أنت وتحددها أنت . ولا دخل لى فيها . لذلك فهى دائما مناسبة ثقيلة سمجةووددت لو تخلصت منها الى الأبد .. اذن ماذا أكون عندك حقيقة ؟.. خادمة .. وخادمة فقط ..
ــ خادمة ؟ ..
ــ أجل خادمة فقط ...
ــ وماذا أكون أنا عندك اذا ؟
ــ زوجا فقط ..

ـ وغير الزوج ؟
ـ لم تكن شيئا .. كما انى عندك لم أكن شيئا .
ـ ولكنك ..
ـ أظن الساعة الآن قد بلغت الثامنة وهو موعد انصرافك الى عملك . أليس كذلك ؟

وانصرفت خجلا أجفف عرق الخزى الذى يتصبب منى وفى الشارع التقيت عند محطة الاوتوبيس مصادفة بذلك الرجل الذى يقطن أمامى ، وكان يتأبط ذراع تلك المرأة التى تعيش معه . وما رآنى الرجل حتى اقترب منى وصافحنى ضاحك الثغر كعادته . وقال باسما وهو يقــدم الى تلك المرأة التى يتأبط ذراعها ..

ـ زوجتى ..

ولست أدرى على وجه التحديد ما الذى حدث هل مددت يدى ثانية وصافحت الرجل ، أم تركته وانصرفت ، وهل امتــدت صداقتى به بعد ذلك اليوم أم لم تمتد . وانما الذى أنا متحقق منه وما زلت أذكره . ولن أنساه ماحييت . هو أننى بعد أن اضطرت الى أن انتقل الى مسكن آخر ظللت سنوات وسكان العمارة التى أقطنها يظنون أننى وزوجتى أصدقاء ولسنا أبدا بزوجين سعيدين ..

●●●



كانت قاعة جلسات المحكمة الجزئية ضيقة محدودة الجنبات، لضيق المبنى الذى اتخذ مقرا للمحكمة فى المركز . فهى لاتتسع لاكثر من عدة مقاعد خشبية متآكلة . أقيمت فى خطوط مستطيلة أمام منصة القضاء الضخمة العالية التى ارتفعت ارتفاعا عاليا عن أرض القاعة حتى لايكاد الجالس على المقاعد يرى وجه (درديرى أفندى) كاتب الجلسة الا بجهد وصعوبة . ولذلك كانت تبدو القاعة فى أيام الآحاد من كل أسبوع وهى أيام جلسات الجنح من كثرة الذين يفدون عليها من أهل الريف وتزدردهم فى جوفها . كانت تبدو كجحر النمل الذى يتسع على ضيقه للألوف المؤلفة من أسرابه ـ غير أنها كانت فى هذا اليوم أشد ازدحاما وأكثر ضيقا وتبرما بأولئك الذين أخذوا يتوافدون عليها من الصباح الباكر ويحشدون أنفسهم فيها حشدا ويحشرونها حشرا حتى امتلأت وفاضت فراحوا يتراصون كتلا عند مداخلها ونوافذها .

وكانوا يبدون فى أسمالهم البالية ولحاهم التى لم تعمل فيها الموسى من شهور وشعرهم الكث الرث المغبر الذى لم يذق طعم الماء الا فى المواسم والأعياد وسحنتهم الشاحبة التى اختلطت صفرتها بلون الصديد اللزج الذى أكل عيونهم ولم يبق فيها سوى حدقة صدئة باهتة بلون قطعة النقود المزيفة . كانوا يلوحون فى ذلك كله فيخيل اليك أنك فى نهاية الدنيا . وانك أمام قوم خرجوا لساعتهم من القبور ينفضون عنهم غبار آلاف السنين التى قضوها فى جوف الأرض .

وكان هرجهم ومرجهم يتصاعد مختلطا بعضه ببعض بحيث أنهم لايسمعون صوتا أو يسمع لهم صوت ، فى وسط جلبتهم التى هى أشبه بطنين النحل فى الخلية لاتميزه وان كنت تعرفه .

ولذلك لم يفطنوا لدرديرى أفندى عندما أقبل عليهم من الباب الخلفى بطربوشه الكبير الذى بدلت الأيام لونه الواحد وحولته الى عدة ألوان مختلفة . ونظارته الحجرية البيضاء ذات الأسلاك النحاسية الصدئة التى تدلت على أسفل أرنبة أنفه الضخم،

المستطيل المدبب الذى جثم كالقدر على شاربه الكث الرث، الملوث بالسائل المخاطى الذى انساب من طاقتى منخاره • ولم يفطنوا اليه عندما أقبل ولم يلتفتوا اليه الا عندما ألقى بملفات القضايا الكثيرة أمامه على المنصة • ثم أخرج منديله «المحلاوى» الكبير ذا الخطوط الثعبانية الزرقاء وجفف العرق المتصبب من جبينه ثم مسح به منظاره الأبيض فتلوث أكثر من ذى قبل وطمسته تلك المادة المخاطية العالقة بالمنديل فغدت زجاجاته كالمرآة عندما تطمسها الأنفاس الدافئة العابرة • ثم شبك سلكيها فى أذنيه وهو ينظر الى الموجودين ويحييهم قائلا :

« يافتاح ياعليم ــ هس ياغنم •• »

وهنا أحسوا به فانكمشوا فى جلستهم وانقطع لغطهم فجأة. وتعلقت نظراتهم الشاحبة بعينيه وكأنهم يستسمحونه فى أنفاسهم المتصاعدة من بين شفاههم على الرغم منهم •

وفجأة فتح أحد الأبواب ودوى صوت الحاجب مجلجلا فى قلب القاعة ــ محكمة ــ فوقف الجميع وقد تعثر منهم من تعثر وسقط منهم من سقط وهو يسرع بالوقوف اجلالا وتعظيما •

وأمر القاضى بافتتاح الجلسة فى صوت هادىء رزين •

وأعلن ذلك درديرى أفندى بصوت أجش مرتفع وعيناه تقذفان الشرر من تحت منظاره الملوث وهو ينظر فى غيظ الى القضايا المكدسة أمامه • والدوسيهات الكثيرة الضخمة التى غرق فيها حتى طربوشه الأصفر الباهت الذى لم يبق القدر من زره غير فتلات أربع انتثرت فوق قرصه الشاحب هنا وهناك بغير انتظام ••

وراح الحاجب ينادى أصحاب القضايا بصوته التقليدى ذى الغنة الطويلة والمدوالجزر المصطنع وكأنه يجارى عمه محروس بائع الفاكهة المجاور للمحكمة الذى ينادى على بلحه الامهات الحامض ويدفع عنه أسراب الذباب المتجمعة عليه بمذبته القش المتآكلة وهو يردد مغنيا « صلاة النبى على عيشة وبلح عيشة » • يارب يوم الوداع لم كان ياعيشة •• وكان الحاجب رغم كبر سنه (وكرشه) المنتفخ المتكورأمامه كالمكتل المنكفىء • وعينيه الرمضاوين اللتين لايفتحهما الا كلما نادى وأذنيه الكبيرتين المتدليتين على صفحتى الوجه كأذنى كبش سمين • كان بالرغم

من ذلك يشكو ضعف حاسة السمع عنده فهو لايسمع الكلمة الا اذا أنصبت فى أذنيه انصبابا · ولكن لايظهر الناس على هذا العجز الذى ربما يكون سببا فى اقصائه عن المحكمة بعد أربعين سنة قضاها يتمرغ على بابها ويستقبل كل قاض جديد ويودع كل قاض منقول ويتفرس فى وجوه المتقاضين ، ثم يسقط كالنسر الجارح على الصيد السمين ويمتص دمه ، ثم يعود متفرسا فى وجه غيره الى أن تنتهى الجلسة · لذلك كان يعز عليه حتى مجرد التفكير فى الموت فيحرم بذلك من وظيفته التى تدر عليه المال الوفير ·

ولذلك أيضا كان يهتم دائما بأذنيه حتى لايلاحظ أحد عليه هذا النقص فيه فكانت له بديهة حاضرة وسرعة خاطر غريبة فى التقاط الكلمات ، ولكنه كان لايلتقط أبدا الا حروف الاسم الأولى ، ثم يكمله من عندياته وينطقه كيفما يريد ولكنه لاينطقه على حقيقته أبدا ·

فمثلا منصور ينطقه (مندور) والمستكاوى ينطقه (السقاوى) والشافعى ينطقه (الشاذلى) وهكذا الا أن هذا كان يثير دائما حفيظة درديرى أفندى الذى يعتبره خروجا على القانون · وانتهاكا صارخا لحرمة اللائحة الداخلية للجلسة · وكثيرا ماكان يسبب هذا خلافا بينهما يكاد يحتدم ويعكر صفو الجلسة لولا تنبه القاضى الذى يحسمه فى الحال بدقات قلمه الرصاص على المنضدة ·

ولكن هذا الخلاف كان يحتدم بينهما اليوم ولاتنفع فيه دقات قلم القاضى ولاحتى صرخاته ·

وذلك عندما طلبت القضية رقم (٧٦) وراح الحاجب ينادى اسم الشاهد محمد بك السماوى · فنظر اليه درديرى أفندى من تحت منظاره السميك الملوث مغتاظا وصاح (السلماوى) ولكن عم جمعة الحاجب لم يسمع وعاد ينادى محمد بك ـ السماوى ـ

وهنا ثار درديرى أفندى وأرغى وأزبد وقال وهو يلقى بدوسيه القضية أمامه ناسيا مقام القاضى ودقات قلمه الرصاص (السلماوى) ياسى جمعة · فيها لام ـ ياسى جمعة) وهنا أدرك عم جمعة خطأه وهم أن ينادى اسم البك صحيحا لولا أن

البك أقبل يتهادى فى خطواته الهينة الرزينة · ومشى الهوينى مصعر الخد يختال كالطاووس فى حلته الغالية تسبقه رائحة عطر جميل متضوع · وتبدو عليه دلائل النعمة الوارفة وتظله عظمة الجاه العريض ويرتسم على محيـاه المشرق العطر صلف العنجهية التركية القديمة · يرفع يده بين الآونة والأخرى الى عنقه ليصلح رباط رقبته الأحمر القانى ، وليجعل شعاع الماسة الثمينة التى حلى بها خنصره تعبث بالعيون ·

وما أن أقبل على فناء القاعة حتى راح يلقى بنظرات الاشمئزاز والتأفف حواليه كأنه يؤنب المحكمة التى جمعت بينه وبين هذا القطيع البشرى فى هذا اليوم الكريه · ثم مثل أمام القـاضى منشغلا عنه باصلاح الدبوس الذهبى الكبير الذى زين به رباط رقبته والذى حلاه هو الآخر بقطعة غالية من المـاس البراق فغدا الدبوس بما فيه الماسة الغالية يداعب عيون القاضى حتى كاد ينسيه نفسه لولا أنه أدرك فحول عينيه متمتما ·

ـ والله العظيم أشهد بالحق ··

ـ والله العظيم أشهد بالحق ··

وألقى سعادة البك بشهادته التى تتلخص فى أن المتهـم ـ الفلاح ـ الذى يشتغل فى احدى ضياعه ، ضبط متلبسا بجريمة السرقة · وقبض عليه وهو يخفى فى ثيابه (ستة كيزان) من الأذرة الأخضر ··

والتفت القاضى ناحية الشمال فرأى شيخا فى السبعين من عمره يقف متهالكا على نفسه ، يكاد كلما قام تقعده سـاقه المرتعشة وتثنيه ذراعه المهزولة المقرورة فلا يسعه الا أن يهمهم بشفتيه وهو ينظر الى أعمدة القفص الحديدية التى التفت حوله وكل آماله أن تقوى أنامله على القبض عليها لتعينه على الوقوف احتراما لوقار المحكمة · وأخيرا استطاع أن ينهض ووقف على ساقين معوجتين هزيلتين · ولما اعتدل فى وقفته أخذ جسـده المقرور يصطك داخل قميص من الخيش الخشن على صدره شارة زرقاء مرقومة ١٢٤٣ غدت هى الأخرى تتأرجح مع خفقان الصدر المكدود المضطرب الذى يعلوه عنق مترهل ، وقد هـذه الزمن فانحرف عن وضعه الطبيعى ومال بالرأس المحموم والوجـه المغضن على الصدر الخافق المضطرب ، وتأثر القاضى لمنظر الشيخ

وراح يتفرس بامعان في سحنته الشاحبة المتوارية خلف لحية كثة كادت شعراتها الملتوية الصغيرة تحجب حتى ذلك الشعاع الخافت المنبعث من عينين ضيقتين كأنهما في الوجه المغضن الذي مال به العنق ذبالة مصباح قد نضب مافي جوفه من زيت ٠

وتأثر القاضي وهو يتفرس في صورة من صور الشقاء أمامه ترمز الى بؤس الانسان في الدنيا وتركت في نفسه حسرة كادت تميت عينيه على وجه الشيخ وتنسيه نفسه لولا أنه تدارك فقال على الفور :

ــ ما الذي دفعك للسرقة يامنصور ؟

فعمل الشيخ بلسانه في شفتيه المترهلتين ، ثم تمتم بصوت كأنه رجع الصدى في جوف الصمت ٠

ــ الجوع ٠٠

ــ وكيف سرقت ؟

ــ لقد عضني الجوع وأنا أسير بين حقل الأذرة الذي زرعته بيدي ٠ وتعهدته بعرق جبيني حتى أثمر ٠ ٠

وأطرق الشيخ صامتا ٠٠

فقال القاضي وهو ينظر في كتاب كبير أمامه ٠

ــ وهل يدفع الجوع الى السرقة يامنصور ٠٠ ؟

ــ وان لم يدفع اليها الجوع ياسيدي هل تدفع اليها التخمة ٠

وارتعدت أنامل القاضي وهو يكتب شيئا بقلمه الرصاص ويقول :

ــ ولكن من سوء حظك يامنصور أن واضع القانون ، لم يكن يشكو من الجوع ٠٠

ثم ألقى بالقلم وهو يتمتم ٠

ــ خمسة عشر يوما مع الشغل والنفاذ ٠

وانصرف البك يختال كما أقبل فألقى سيارته الحمراء الفخمة الكبيرة تنتظره أمام المحكمة ، وما أن أقبل عليها حتى طالعه وجه كلبه الوولف الكبير يبصبص له بذنبه ٠ فتقدم منه البك ومسح على رأسه وداعبه قليلا ثم أخرج من جيبه جنيها ناوله الى السائق وهو يقول مشيرا الى الكلب ٠٠

ــ اشتر ثلاثة أرطال من لحم الضأن وقدمها اليه ، فقد نتأخر هنا عن موعد الغذاء ٠ ٠


البطل الصغير

منذ زمن كنت أستمع الى المقرىء فى المذياع ، يرتل بعض آى الذكر الحكيم ، ولست أدرى لماذا وقفت عند بعض الآيات طويلا واسترجعت بعض عباراتها طويلا أيضا ، ورحت أفسر معانيها بالقدر الذى يسمح به تفكيرى ، وأشهد بأنه كان تفسيرا ملتويا غير واضح لى ، حتى ضقت بما شغلت نفسى به ، ووددت لو طلع النهار ، وذهبت الى رجل من رجال الدين يفسر لى بعض ما استغلق على من الأمر ، وظللت كذلك الى أن غفلت عيناى فجأة ٠

فرأيتني فى مكان لاعهد لى به من قبل ، أجلس بعيدا عند ربوة عالية تظللها سحابة بيضاء ناصعة ، كأنما القمر يصب ضحكاته عليها ، وتظللها أشجار مورقة خضراء ، ذات ثمار دانية القطوف ، وتنساب من رأسها نافورة كبيرة ، ترسل ماء عذبا كأنه السلسبيل ، يتساقط على بساط من سندس ، عند قدمى صبى فى الثانية عشرة من عمره ، له وجه ملاك كريم راح ينقل الخطى نقلا ، وكأنه يسير على تكئات من حرير ، وفجأة رأيت شعاعا من نور ساطع كأنه الفلق ، تكشف رويدا عن فتاة لم تر العين أجمل منها ، أقبلت ترفل فى ثوب يتضوع نورا وبهاء ، وما ان رأت الصبى حتى نظرت اليه ضاحكة وكأنها تعانقه بعينيها ، ونظر الصبى اليها وكأنه يقبل ثغرها المنور بعينيه ، ثم أخذا يسيران جنبا الى جنب ، حول الربوة الجميلة التى تظللها الغمامة البيضاء ٠ الى أن قالت الفتاة للصبى وهى تضاحكه على استحياء ٠

ــ ما الذى جاء بك الى هنا ؟

فقال الصبى ضاحكا وهو يلعب بيديه المنورتين فى السلسبيل العذب الذى ينساب عند قدميه :

ــ وطنى ٠٠

ــ كيف ؟

فقال الصبى :

ــ يسمون وطنى فى الدنيا مصر ، وكنت أعيش مع أمى فى القنال ٠٠ وكنت صبيا لم أتجاوز بعد الحادية عشرة من عمرى ٠

وذات مساء ، وكانت تدثرني أحضان أمي ، سمعت شيئا مدويا في الليــل ، أشبه مايكون بالرعد القــاصف . فسألت أمي ، فقالت وهي تضمني الى صدرها خائفة ترتعد :

ــ أنه رصاص المستعمر يابني .

ــ ولماذا يطلقونه ياأماه ؟

ــ ليقتلوا به العزل الآمنين .

ــ ولماذا يقتلونهم ؟

فقالت أمي : والدموع تترقرق في عينيها :

ــ ليستبيحوا لأنفسهم بهذا الرصاص ، ماحرم الله يابني ، لينتهكوا حرمة هذا الوطن العزيز ، ويدوسوا أرضه المقدســة بنعالهم النجسة ..

ــ ومن الذي أعطاهم هذا الحق ياأماه ؟

ــ هذا الرصاص الذي تسمع يابني . .

وهممت بأن أقول لها شيئا آخر ، ولكن الدموع التي انسابت من عينيها غزيرة بكماء ، كانت قد غمرت وجهي وطمست شفتي فلم أنبس وانما رحت أحـــدث نفسي طويلا ، وراحت نفسي تحدثني أيضا حديثا طويلا ونظرت الى أمي وهي نائمة تغمر الدموع وجهها .. وكلما سمعت رصاصة مدوية تنطلق طائشة في الليل ، ارتجف جسدها في النوم ، وتحسست رأسي الصغير بيديها ، وكأنها تخشى عليه من هذا الرصاص الذي تســمعه وفكرت .. فكرت طويلا .. وفجأة دوت في أذني كلمة هائلة كان لها دوي الرصاص الذي نسمعه أو هي أشد قوة . . تلك هي قولة أمي لي وهي تبكي « ولينتهكوا حرمة هذا الوطن العزيز يابني ، ويدوسوا أرضه المقدسة بنعالهم النجسة ».

وأحسست بالنار تسري في كياني ، كما سمعت هاتفا يهتف في أعماقي قائلا :

« ان هذا الرصاص وان مزق صـــدرك تمزيقا ، واخترق جسدك هذا النحيل وفتت رأسك هذا الصغير يابني .. لأهون على النفس من رؤية تلك النعال النجسة ، وهي تدوس أرضنا المقدسة » وصمت الصبي حينا ثم قال للفتاة ضاحكا :

وكنا أثرياء · لأننا كنا نملك فى تلك الليلة نصف صفيحة من البترول ·· وكنا أثرياء أيضا لأننا كنا نملك حشية من القطن أنام عليها ·· فكان ان غافلت أمى النائمة ، وتسللت فى الليل وجئت بسكين حامية مزقت بها الحشية ·· ومن ثم رحت أخرج قطنها وأحزمه حزما صغيرة ، هكذا هدانى عقلى الصغير ، ثم وضعتها جميعا فى قلب سروال قديم كنت أملكه ومن ثم صببت عليها نصف صفيحة البترول التى كانت عماد ثروتنا ·

وخرجت من الدار فى جنح الظلام أسير على مهل وأناأسعد ما أكون انسانا بهذا الكنز الثمين الذى أحمله على كتفى · بيد أننى بعد أنسرتخطواتتذكرت شيئاهاما ·· تذكرتوجهأمى الذى تغمره الدموع ·· والذى قد لاأراه ثانية ·· فعدت الى الدار سريعا · وجثوت فى الظلام عند رأسها وتطلعت طويلاالى وجهها وطويلا أيضا الى شفتيها الحلوتين اللتين كثيرا ماقبلت بهما ثغرى ·· ثم قبلت ذلك الوجه ·· وتلك العينين ··وهاتين الشفتين ·· قبلتهما طويلا جدا ، وقبلتها بعينى حتىلاتستيقظ فتحول بينى وبين ماقد عقدت العزم عليه ·· ثم ودعتها فى صمت ·· كما قبلتها فى صمت ، وانصرفت أسير فى الليل بين تلك الذئاب البشرية ، غير خائف أو وجل ·· وكنت من فضل الله أعرف أين تقع بيوت الأعداء · لأننى كنت قد اشتغلت حينا فى معسكراتهم · وما ان سرت قليلا حتى رأيت الرصاص كالمطر يتساقط من حولى ·· ولكن رصاصة واحدة لمتصبنى · فأطربنى هذا كثيرا · وقلت ان الله معى حتى أبلغ غايتى وأتم رسالتى ، وأقضى لوطنى حقا ·· فظللت أسير ، وأسير ·· حينا على قدمى ·· وحينا أزحف على يدى ·· وكان الله هدانى بقوة من عنده ، فقد تحمل جسدى هذا الصغير فى تلك الليلة مالم يقو بشر على احتماله · حتى بلغت معسكراتهم عندمطلع الفجر · فوجدت القوم قد اسكرتهم نشوة القوة الغاشمة ، فغدوا كالسكارى وماهم بسكارى · ولكن الله قد طمس على قلوبهم فهم لايبصرون · فتسللت دون أن يرانى منهم أحد · وكنت قد سلكت حزم القطن المبللة بالبترول جميعا فى خيوط

لاترى ٠٠ فوضعت منها ست حزم فى ستة أماكن مختلفة ، كان أهمها مخزن رصاصهم الذى يطلقونه علينا ٠٠ ومن ثم نظرت الى السماء ٠٠ وقلت مبتهلا وأنا أشعل عود الثقاب ـ يارب ـ وفجأة هبت النيران كالبركان أو هى أشـــد قسوة مما كانوا ينتظرون ، ورأيت بعينى رأسى جنودهم فى الليـــل تصرخ ، كالذئاب العاوية ، وتتخبط فى النار كالثعابين الضريرة ، كما راحت نساؤهم تصرخ فى الليل مفجوعات ٠

وكلما أخذ السعار جنديا من جنودهم أو امرأة من نسائهم وهم بأن يفعل شيئا سبقته النار وألقت بجسده فى أتونهـــا المســـتعر ٠٠

ووقفت أنا من بعيد أنظر مبتهجا الى هذه النار المشـــتعلة والجثث التى تحترق فيها كالفراشات وأضحك ملء شدقى حينا، وحينا أقبل بشفتى الفرحتين ، تلك الأرض الطيبة التى ذدت عنها نعالهم النجسة الى أن رأونى على ضوء النار التى تحرقهم فصوبوا بنادقهم الى ، ومن ثم أطلقوا على جسدى هذا الصغير رصاصهم ٠٠

وانفرجت أسارير الفتى عن ابتسامة كنور الفجر ، وقال ضـــاحكا وهو يســـتقلى على صـــدرها ، وينظر الى عينيهـــا المنورتين ٠٠

ـ وقد ظن المساكين أنهم انما صرعونى برصاصهم ، الذى اخترق جسدى ومزق صدرى وفتت عظام رأسى وأطاح بفروتها الى حيث النار التى تأكلهم أبدا وايم الحق ، فقد رفعنى الله الى السماء ، قبل أن تصيبنى رصاصة واحدة ، من رصاصهم الغادر ٠

وما أن أتم الصبى قصته ، وبلغ هذا الحد ، حتى قالت له الفتاة مبهورة وهى تعانقه عناقا حارا :

ـ وما اسمك أيها الملك الكريم ؟

ـ فقال الصبى معتزا ٠ وهو يلعب بيديه المنورتين فى جدول يترقرق عند قدميه :

ـ يسموننى فى الدنيا « نبيل منصور » ويسموننى فى الجنة البطل الصغير ٠

وما أن قال ذلك حتى رأيت شعاعا من نور ، ينبلج من السماء ويغمرهما ثم يجذبهما اليه ويصعد بهما رويدا الى السماء ٠

وبينما أنا أنظر الى هذا النور الذى يغيب فى السماء رويدا ٠ اذا بى استيقظ من هذه الاغفاءة التى كانت قد ألمت بى ٠ واذا أنا لا أزال أمام المذياع واذا بالمقرىء لايزال يرتل آى الذكر الحكيم ويتلو هذه الآية :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون » ٠٠

●●●


الزوج السابع

« المنظر »

« غرفة متواضعة الأثاث بمنزل عبدالسميع أفندى الصنافيرى، الموظف بأرشيف وزارة الأوقاف • بها بريه قديم تعلوه مرآة مكسورة • وفى الوسط ترابيزة رخام قديمة حولها عدة كراسى وعليها صينية نحاس بها أبريق وثلاث قلل • وفى الصدر كنبة عليها مرتبة بدون غطاء • عند رفع الستار ترى نفوسة ابنـــة عبد السميع أفندى • تمشط شعرها فى مرآة البريه • وهى فتاة متقدمة فى السن غير جميلة • الوقت بعد الظهر »

نفوسة ـ « مترنحة » جميل جمال مالوش مثال •

« يسمع صوت الست منتهى والدة نفوسة من الداخل »

منتهى ـ بنت يانفوسة • •

نفوسة ـ نعم ياماما •

منتهى ـ بصى يابنت من التراسينة واسألى على الســـاعة شوفيها كام •

نفوسة ـ ثلاثة وربع •

منتهى ـ « وقد ظهرت تحمل بعض الأرغفة » ولما هى ثلاثة وزفت ، بسلامته أبوك ماشرفش ليه ؟

نفوسة ـ حالا زمانه جاى •

منتهى ـ هى كل يوم للساعة أربعة من غير غدا ؟

نفوسة ـ المواصلات ياماما • يعمل ايه وانت عارفة الترموايات وزحمتها •

منتهى ـ ويعنى لازم يركب ؟ مايبجى ماشى •

نفوسة ـ ياشيخة حرام عليكى انت عايزة تهدى حيله ؟

منتهى ـ حيله دا ايه ياختى ؟ اللى مافيه ريحته • قال على رأى المثل •

نفوسة ـ « مقاطعة » طب لما انت عارفة •

منتهى ـ ويعنى يبقى هم وقلة مم « وهى تخرج شمالا » انت صفيتى العدس ؟

نفوسة ــ أيوه وعلى الوابور ٠

منتهى ــ طب ياالله بلى العيش ــ واغسلى الفجل « تخرج »٠

نفوسة ــ « تعود تمشط شعرها وهى تغنى » جميل جمال مالوش مثال ولا فى الخيال ٠

منتهى ــ « وقد دخلت ثائرة » ينيلك على عمرك وعمر اللى جابك انت يامقطوعة الرقبـــة واقفة تتزوقى ، وتحطى أحمر وأبيض وتخططى حواجبك وسايبة العدس على الوابوريتحرق٠

نفوسة ــ « فى دهشة » اتحرق !؟

منتهى ــ « فى غيظ » الهى يتحرق قلبك لكن مافيش فايدة عمرك ماانت متجوزة ٠ يتجوزك على ايه ياجسرة ؟ مالك ولاجمالك ولا بسلامته أبوك سبع البرمبة ٠ حياالله حتت مستوظف براني فى وزارة الاوقاف بتسعة جنيه ٠

نفوسة ــ أنا مش عاوزة اتجوز ٠

منتهى ــ لأ حوشى ٠ حوشى ٠ الخطاب صلاة النبى واحـــد ورا التانى « وهى تخرج » بقى يارب ماتبعتلهاش حتى ابن الحرام اللى يريحنى منها ٠ الناس كلوا وشى ثمانية وعشرين ســـنة ولسه بنت بنوت « تخرج » ٠

« يظهر من باب الوسط حسبو » وهو بوستجى الحى يحمل حقيبته الجلد الكبيرة على كتفه وعارى الرأس ٠ فى العشرين من عمره ٠ التغ ، ينطق السين والشين ثاء ٠

نفوسة ــ « عندما تراه تشير اليه فى خوف » اخرج دلوقت ماما هنا وبابا زمانه جاى ٠

حسبو ــ « هامسا » ماتخافيش عامل حثابى « يقترب منها » فكرت على فكرة مدهثة خالث ٠٠

نفوسة ــ ايه هى ؟

حسبو ــ ثوفى ياثتى ٠ كتبت لك ثوية جوابات باثم الثت أم نفوثة وباثم ثى عبد الثميع أفنـــدى ولزقتلك عليهم ورق البوثتة ورميتهم فى الثندوق ٠

نفوسة ــ « فى دهشة » وبعدين ؟ ٠

حســبو ــ بث طولى بالك ٠ لفت الجـــوابات وجاتنى فى التوزيـــع ٠

نفوسة ــ وبعدين ٠

حسبو — بث طولى بالك · ثلتهم فى الشنطة ، ان ثى عبد الثميع أفندى زبطنى وقال لى ليه انت هنا أحط ايدى فى الثنطة وأقول له اتفضل جواب وان الثت منتهى زبطتنى أحط ايدى فى الثنطة وأقول لها اتفضلى جواب ·

نفوسة — « فى غزل » وان مالقيتش حد ؟

حسبو — « مغازلا » أثاهد ·

نفوسة — تعرف انها فكرة هايلة ·

حسبو — اثل محثوبك ذو تفنن ·

نفوسة — لكن قوللى الجوابات دى جاية منين ؟

حسبو — من المنيا ·

نفوسة — المنيا !؟ ·

حسبو — مث انتوا منقولين من هناك بقى لكم ثهر ؟

نفوسة — طيب ومن مين فى المنيا ؟ ·

حسبو — ولا يهمك أى اثم · ·

نفوسة — انت هايل ·

حسبو — قلتلك ان محثوبك ذو تفنن ·· خدى ·

نفوسة — ايه دى ؟

حسبو — الحلاوة ··

نفوسة — « وهى تفض الورقة » قلت لك ماباحبش الحمصية

حسبو — بث بتحبى ايه أمال ·؟ علف ·؟ ثمثميـــة ·· ؟ طحينية · · ؟

نفوسة — سمسمية · ·

حسبو — عنية — حالا تكون عندك أرجع لك بيها ·

نفوسة — ماما تشوفك ·

حسبو — « يشير الى الشنطة » ماتخافيث الاثباتات موجودة · بث ياخثارة ·

نفوسة — ايه ؟ ·

حسبو — امتى بث ح نتجوز ·

نفوسة — ماقلت لك قول لماما ·

حسبو — اثلها ثعب خالث خايف أقولها تثتمنى « يفكر » الثمعى ·· أقول لثى عبد الثميع ؟

نفوسة — ايوه قول لبابا ·

حسبو ـ فكرة وكمان أقوله انك موافقة ·
نفوسة ـ اوعى أحسن يفتكر ان احنا بنقابل بعض ·
حسبو ـ برضه فكرة احثن تبوظ ·
نفوسة ـ يالله بقى قبل ماما ماتيجى ·
حسبو ـ بث نفثى فى حاجة ·
نفوسة ـ ايه هى ؟
حسبو ـ بوثة ·
نفوسة ـ « باغراء فى صوت مرنم » وبعدين معاك ··؟
حسبو ـ « فرحا يغنى » ·· وبعدين معاك · وبعدين معاك ·
نفوسة ـ انت تعرف تغنى ؟
حسبو ـ اثلى أحب أم كلثوم « يقترب منها » بوثة · بوثة ·
(تظهر منتهى على الباب) ·
حسبو ـ « سريعا بصوت عالى » بوثتة ·
منتهى ـ « فى غضب » انت ياواد عامل زى أبو قردان عمال تنط لنا كل ساعة والثانية ليه ؟ ·
حسبو ـ اثل فيه جواب لحضرتك ·
منتهى ـ « فى دهشة » لمين !؟
حسبو ـ لحضرتك ·
منتهى ـ حضرتى أنا !؟
حسبو ـ ايوه اتفضلى « يخرج خطابا من الشنطة » ·
منتهى ـ ياترى من مين لا باكتب لحد ولاحد بيكتبلى ؟ ·· « استغراب » ··
حسبو ـ « يقرأ العنوان مفخما »··
بحضرة الثيدة المثونة والجوهرة المكنونة حرم ثى عبد الثميع الثنافيرى ··
منتهى ـ « فى ابتهاج » الثنافيرى ؟
حسبو ـ « مستطردا » الثنافيرى بمنزله الكائن بحارة البزجاث ثبرا مثر ·
منتهى ـ « وهى تجلس على الكنبة فى كبرياء » صحيح دا اسمى استقرا ثانى ·
حسبو ـ « وقد جلس بجوارها مطمئنا » حضرة الثيدةالمثونة والجوهرة المكنونة ثت الحثن والنثب الثت منتهى حرم ثى

عبد السميع أفندى الثنافيرى بمنزله الكائن بحـارة البرجاث ثبرا مثر ٠

منتهى ــ « فى طرب زائد » خير ٠ ؟ اللهم اجعله خير ، استقرا ياخويا استقرا ٠

حســبو ــ « يفض الخطاب ويقرأ » حضرة الثيــــدة المثونة والجوهرة المكنونة ثت الحثن والنثب ٠

منتهى ــ « مقاطعة فى زهو » ماكفاية بقى حسب ونسب ٠

حسبو ــ الله مكتوب كمان كده فى الجواب ٠

منتهى ــ « فى كبرياء » كده ٠؟ طيب استقرا ٠

حسبو ــ « مستطردا » الثت منتهى أم الثت نفوثة ، حرم ثى عبد الثميع أنظر لك وأنا لكلامك ثماعة ٠

منتهى ــ سماعة !؟ سماعة يعنى ايه ؟ ٠

حسبو ــ « ثماعة ٠٠ « يفكر » ثماعة يعنى بتثمعلك ٠

منتهى ــ هيه كمل ٠

حسبو ــ واكتب لك وأنا لطلعتك مثتاقة أما الثت نفوثة ثاحبة الطلعة البهيــــة التى ثورتها فى قلبى ورثمها فى عينى ، ثلمى عليها وحياة رب الثما ٠ يجمع ثملها على ابن الحلال اللى يحبهــــا ٠

منتهى ــ يسمع منك ربنا يا ابنى ٠ من حنكك للسما استقرا ياخويا استقرا ٠٠

حسبو ــ والثلام ختام ٠٠

منتهى ــ من مين ؟

حسبو ــ الثت أم على بالمنيا ٠٠

منتهى ــ « مفكرة » الست أم على بالمنيا ٠٠ الست أم على بالمنيا ٠٠ افتكرتها ، خالتك أم على مرات عمك الشيخ فراج مدرس العربى ٠٠

حسبو ــ مذبوط وعثان كده خط الجواب بالنثخ ٠

منتهى ــ عز الحبايب « مفكرة » انت اسمك ايه ياسى ٠٠

حسبو ــ محثوبك حثبو ٠

منتهى ــ ايه ٠٠ ؟

حسبو ــ حثبو ٠ حثبو ٠

منتهى ــ عاشت الاسامى ياسى حسب الله ٠

حسبو ـ حثبو ٠ حثبو ٠
منتهى ـ ياخويا حسبو حسب الله حسبى الله ٠ كله واحد ٠ وحضرتك كده بالصلاة على النبى ياسى حسبو بتشتغل ايه ؟
حسبو ـ موزع بوثتة ٠
منتهى ـ يعنى طواف ؟
حسبو ـ مذبوط ٠
منتهى ـ كويس قوى وكمان كده بالصلاة على النبى بتاخد ماهية كام ياسى حسبو ؟
حسبو ـ « سريعا » ثبعة مثرى ونثف ٠٠
منتهى ـ ايه ؟
حسبو ـ ثبعة مثرى ونث ٠٠
منتهى ـ يعنى سبعة جنيه ونص ٠
حسبو ـ مذبوط ولما اتجوز تزيد ماهيتى نث جنيه ولماأخلف تزيد ماهيتى اثنين جنيه ٠
منتهى ـ طب وليه ماتتجوزش علشان تخلف ؟
حسبو ـ اثل مكثوف أقولك ٠
منتهى ـ ايه مانتاش راجل ؟
حسبو ـ « غاضبا » راجل ونث ٠
« يدخل عبد السميع افندى لاهثا ويبدوا عجوزا متعبا فى ثياب غير منتظمة ٠
عبد السميع ـ خير مين حضرتك ؟ ٠
منتهى ـ « فخورة » الجوابتجى بتاع الحى كله ٠
عبد السميع ـ نعم فيه خدمة ؟
حسبو ـ اثل فيه جواب للثت أم نفوثة ٠
عبد السميع ـ جواب لأم نفوسة من مين ؟
منتهى ـ خالتك الست أم على مرات عمك الشـــيخ فراج مدرس العربى ٠
« تلتفت لحسبو » أصله بيغير ٠
حسبو ـ اثتأذن « يخرج »
عبد السميع ـ لنفسه وهو ينزع الجاكتة فيظهر قميصـــه البالى ٠ ٢٠٧/١١/٣٠
منتهى ـ ايه انت بتكلم نفسك ولا ايه ؟

عبد السميع ــ مافيش حاجة ٠
منتهى ــ أمال ايه ٣٠ و١١ دى ؟
عبد السميع ــ دى نمرة دوسيه متقيد فى الوارد ومش لاقيه فى الصادر ٠
منتهى ــ ياخويا احنا فى ايه ولا ايه ٠
عبد السميع ــ نفوسة فين أمال ؟
منتهى ــ أهى متنيلة على عينها وعنين اللى خلفوها جوه حرقت الشوية العدس ٠
عبد السميع ــ « مضطربا » ايه ؟
منتهى ــ حرقت شوية العدس اللى كنا حانتغدى بهم ٠
عبد السميع ــ « ثائرا » وحضرتك كنتى فين ؟
منتهى ــ بارقع لك غيارك اللى ماعندكش غيره ياسى عبد السميع ٠٠
عبد السميع ــ « مناديا فى ثورة » بنت يانفوسة ٠ نفوسة ٠
نفوسة ــ « تظهر » نعم يابابا ٠
عبد السميع ــ « ممسكا بها » تعالى هنا ٠
منتهى ــ اوعى تحط ايدك عليها ٠
عبد السميع ــ أنا لازم أقطع وشها بالجزمة ٠
منتهى ــ ماتطلعش فيها قوى فين هى الجزمة دى ٠
عبد السميع ــ يعنى بلاش أتغدى ؟ يعنى لايبقى فطار ولا غدا كمان ؟
منتهى ــ ياخويا لقمة وخلاص مالها حتة جبنة قريش ؟ فل ٠ وحزمة فجل تفتح النفس ٠
عبد السميع ــ ياستى ايه هى اللى تفتح النفس ؟ هو أنا نفسى مسدودة الأمر لله هاتى ياستى فتح النفس ٠
منتهى ــ « لنفوسة » بالعجل حضرى الغدا لأبوك ٠
نفوسة ــ « تخرج » ٠
منتهى ــ معذورة ٠ معذورة ــ عقلها مش فيها ٠ بقولك ٢٨ سنة ٠٠ أمال أنا دايخة عمالة أعيط ليل نهار ليه ؟
(تجلس بجانبه على الكنبة ، اسمع ياعبد السميع أنا عندى فكرة) ٠٠
نفوسة ــ « تدخل الصينية عليها الجبن والفجل » ٠

عبد السميع ـ لافكرة ولا زفت أنا خلاص لقيت لها عريس.
منتهى ـ والنبى « تحاول أن تزغرد » .
عبد السميع ـ « وقد أسرع يسد حنكها » ياولية ماتفضحيناش ..
منتهى ـ مش بتقول لقيت لها عريس ؟
عبد السميع ـ مش تطولى بالك يمكن مانتهيش .
منتهى ـ مانتهيش ليه .. مادام العريس موجود والعروسة فى الدار ..
نفوسة ـ « تضع أمامه الصينية على الكنبة وتخرج خجلى ».
منتهى ـ شوف البت لما سمعت .. الفرحة بتتنطط فى عينيها ازاى .. فرحتى ومين العريس ده ؟
عبد السميع ـ فلاح وعنده سبع فدادين .
منتهى ـ سبع فدادين « تحاول أن تزغرد » .
عبد السميع ـ ياوليه ماتفضحيناش ..
منتهى ـ فرحانة ـ فرحانة ـ ياعبد السميع .
عبد السميع ـ اسمعى احنا عندنا بن ؟
منتهى ـ ريحته مش عندنا .
عبد السميع ـ عال والله الراجل يخطب البنت وييجى ويطلع ومايشربش فنجان قهوة .
منتهى ـ مالكش دعوة أنا حاتصرف . بس قولى . والعريس ده يبقى مين ؟..
عبد السميع ـ يبقى أخو الشمشتاوى أفندى كاتب القيودات عندنا فى الوزارة .
منتهى ـ « تحاول أن تزغرد » .
عبد السميع ـ ياولية اعقلى ..
منتهى ـ ياخويا فرحانة . فرحانة .
عبد السميع ـ « ينظر فى ساعته » ياخبر الساعة خمسة ونص .
منتهى ـ فيه ايه ؟
عبد السميع ـ الراجل مستنينى الساعة ستة فى قهوة مصر أروح أجيبه واجى .
منتهى ـ نهار اسود وقاعد .

عبد السميع ـ « يحشر لقمة كبيرة فى فمه مع عود من الفجل ويخرج » .
منتهى ـ « منادية » بنت يانفوسة . نفوسة .
نفوسة ـ « تظهر » .
منتهى ـ بالعجل اغسلى رأسك من طوقك والبسى الجلبية البطيسطة . والشبشب أبو وردة .
نفوسة ـ ليه ؟
منتهى ـ « متهكمة » مش عارفة ليه ؟ أصل فيه عريس جاى لأمك ..
نفوسة ـ حاضر .
« يظهر حسبو حاملا الشنطة » .
حسبو ـ بوثتة .
منتهى ـ « ثائرة » انت ياجدع انت عامل زى أبو قردان ، وعمال تتنطط لنا كل ساعة والثانية ليه ؟
حسبو ـ « لنفسه » أخث . أخث .
« ولمنتهى » اثل اثل .
منتهى ـ لا أصل ولا فصل اتفضل ورينى عرض كتافك .
حسبو ـ اثل اثل .
منتهى ـ « ويدها على الشبشب » انت ح تطلع والا ..
حسبو ـ « يخرج سريعا فى خوف » .
منتهى ـ اسمعى أنا ح أوصل لحد الست أم لمعى استلف منها شوية بن والصينية والكنكة بتوعها وان جه أبوك مع العريس اخطفى رجلك اندهى لى .
نفوسة ـ حاضر « تخرج منتهى وخلفها نفوسة » .
ويدخل حسبو متلصصا يتلفت حواليه » .
حسبو ـ « يشير الى الباب » اتفضل .
(يدخل حسنين الحطيب وهو فلاح عملاق يفتل شواربه)
حسنين ـ مش دا يبقى بيت سى عبد السميع أفندى الصنافيرى المستوظف فى وزارة الاوقاف ؟ .
حسبو ـ مذبوط .
حسنين ـ أهلا وسهلا ، أهلا وسهلا ..
حسبو ـ وحضرتك ؟

حسنين ـ انشاء الله أنا نسيبه الجديد .
حسبو ـ « لنفسه » اخث .. بقى حضرتك تبقى ؟
حسنين ـ « مقاطعا » محسوبك حسـنين أبو جاموس من أعيان زنجور مركز البتانون مديرية المنوفية .
حسبو ـ ثرفت .
حسـنين ـ أخويا سى الشنشتاوى أفنـدى أبو حلموس مستوظف كبير فى قيودات وزارة الاوقاف . انتماتعرفوش ؟
حسبو ـ ما اثرفتث ..
حسنين ـ ماتشرفتش ازاى ؟ دا يبقىصاحبسىعبدالسميع أفندى الروح بالروح وعشان كده أنا ح أناسبه . فين أمال سى عبد السميع أفندى ؟
حسبو ـ وثل مثوار .
حسنين ـ خازوق .. لازم راح لى قهوة صرة مصر .. كان الميعاد نتقابل هناك الساعة ستة ولكن أنا قلت مالوش لزوم القهوة ، واجى على هنا على طول . خير البر عاجله .
حسبو ـ مذبوط .
حسنين ـ سى عبد السميع يتناسب من بيت أصل ، واللى قبلنا قال . خدوا ولاد الأصول أحسن الزمن يطول . اتفضل سيجارة .
حسبو ـ « وهو يضعها فى جيبه » متثكر .
حسنين ـ لا شكر على واجب احنا خلاص بقينا أهل ..مش حضرتك كده انشاء الله تبقى أخو العروسة ؟
حسبو ـ لا ابنها ..
حسنين ـ «مأخوذا» نهار اسود .. ابنها ؟
حسبو ـ أم .
حسنين ـ نهار مهبب ابنهـا ازاى ياابنى .. هى كانت متجوزة ؟
حسبو ـ ثتة ..
حسنين ـ « خائفا » كم ؟ ..
حسبو ـ ثتة . ثتة . نث دثتة .
حسنين نهار أبوك مطين .. ستة كده مرة واحدة !!؟
حسبو ـ أم ..

حسنين ـ ووراحوا فين الستة ؟

حسبو ـ ماتو ..

حسنين ـ « خائفـــا » ياحفيظ يارب ، ياحفيظ يارب . . الستة ماتو ؟

حسبو ـ الثتة ماتو ..

حسنين ـ ياحفيظ ياحفيظ . وأبوك راخر مات ؟

حسبو ـ الله يرحمه .

حسنين ـ وماتوا ازاى ؟

حسبو ـ بالكلرة .

حسنين ـ « صارخا في خوف » بتقول ايه ؟

حسبو ـ بالكلرة ..

حسنين ـ ياحفيظ يارب . . الـكريره .. يعنى أبقى أنا السابع ؟ ..

حسبو ـ أيوة الكلرة خدتهم مرة واحدة . .

حسنين ـ ياساتر أسـتر يارب هى كانت متجوزاهم مرة واحـدة ؟..

حسبو ـ لا . أثل أبويا الله يرحمه .

حسنين ـ « مقاطعا » تعيش انت قول ياخويا قول ..

حسبو ـ كان مثميها كوليرة . .

حسنين ـ ياساتر أستر يارب .. اخص عليك ياششتاوى ياخويا يادون . عايز تموتنى بالكوريرة عشان تورثنى ؟ طب شوف لك موتة غير دى « ينهض » السلام عليكم .

حسبو ـ رايح فين ؟

حسنين ـ انفدبجلدى .. بس أماأشوف خلقتكياششتاوى ياابن بهانة ..

حسبو ـ أثتنى لما تيجى احش تموتك . .

حسنين ـ نهار مهبب تموتنى ازاى ؟

حسبو ـ أثلها مجنونة ..

حسنين ـ « صارخا » كمان مجنونة . والعمل ؟

حسبو ـ وعثان كده لما تثلم عليك خدها على عقلها واتبحبح معاها يعنى بثبث لها .

حسنين ـ « صارخا » أبصبص لها ؟

حسبو ــ بث اثمع الكلام ٠ ٠
حسنين ــ أبصبص لها ازاى يابنى ؟
حسبو ــ ازيك ثلامات ايهالقشطة دى ٠٠ ؟ ايه الالماظيةدى؟٠ ايه القمر المنور ده ٠٠ ؟
حسنين ــ نهار اسود انت بتقول ايه يابنى ؟ ٠ ٠
(يسمع صوت منتهى من الداخل) ٠
حسبو ــ « وهو يخرج سريعا » بث اثمع كلامى « يخرج » ٠
حسنين ــ « وهو يرتعش » نهار اسود طبياششتاوى ياابن بهانة أخوك شقيقك تعمل فيه كده ؟
(تدخل منتهى حاملة صينية القهوة) ٠
منتهى ــ أهلا وسهلا آنست وشرفت ونورت ياسى ح ح خ
حسنين ــ « مرتعشا » ححخ حسنين أبو جاموس ٠
منتهى ــ عاشت الاسامى ياسى أبو جاموس ٠ اتفضـــل قهوة ٠٠
حسنين ــ « مضطربا » من يد ٠ م م من يدما نعدمها ٠
منتهى ــ حالا سى عبد السميع زمانه جاى ٠ هو مارحلكش قهوة صرة مصر ؟ ٠
حسنين ــ من بختى الاسود جيت على هنا على طول ٠
منتهى ــ دا من بختنا احنا الابيض اشرب القهوة ٠
حسنين ــ عقبال مانشرب المغات ٠
منتهى ــ « ضاحكة » انت مستعجل قوى ؟
حسنين ــ وهو حد يشوفك ولا يستعجلش ؟
منتهى ــ يسلم بقك أهـــو دا العريس اللى حنـــكه ينقط عسل ٠٠
حسنين ــ « ناهضا فى خوف » عن اذنك ح اطلع أروحلسى عبد السميع ٠٠
منتهى ــ تطلع الا تطلع دى كمان « ضاحكة » هو دخول الحمام زى طلوعه ؟
حسنين ــ « لنفسه » نهار منيل ٠٠
منتهى ــ الا تطلع دى كمان ٠ أهلا وسهلا ٠
حسنين ــ أهلا وسهلا أهلا وسهلا « مغازلا » ايه القشطةدى ايه الالماظية دى ؟

منتهى ــ « مبتهجة » تجلس بجانبه « صـــلاة النبى بينقط شهد » والله صبرت ونلت يانفوسة ..
حسنين ــ تعرفى ان محسوبك بيحب الفطير المشلتت ؟
منتهى ــ اعملك من عنيه .
حسنين ــ لا الفطير اللى بالك اياه .
منتهى ــ « مفكرة » الفطير اللى بالى اياه !؟
حسنين ــ خليك حدقة أمال « لنفسه ياساتر استر يارب ».
منتهى ــ (ضاحكة) فهمت ياخويا بكره تشبع .
حسنين ــ (لنفسه) رحنا فى داهية .
منتهى ــ بتفكر فى ايه ؟
حسنين ــ نفسى اسأل سؤال ؟
منتهى ــ قول ياخويا .
حسنين ــ (مغازلا) القمر فى السما وايش قعده جنبى على الكنبة ؟ (يهم بها) .
منتهى ــ (فى دهشة) انت .
حسنين ــ أنا باموت .
منتهى ــ (مأخوذة) بتموت ؟
حسنين ــ (يبلع ريقه) وهو حد يشوفك ومايموتش (يبلع ريقه ثانيا) والله العظيم باموت .
منتهى ــ من ايه ياخويا ؟ .
حسنين ــ (يمسك بها يحاول ضمها) باموت فى القمر .
منتهى ــ (تنهض فى خوف) .
حسنين ــ ماتخافيش قلت له اتبحبحى .
منتهى ــ انت ياراجل انت ..
حسنين ــ هو أنا بقيت راجل .
منتهى ــ يانهار أبيض دا باين عليه مجنون ؟
حسنين ــ (يحاول مسكها) هو حد يشوفك ومايتجننش ؟
منتهى ــ (خائفة تفلت منه) اخص عنيك شايب وعايب راجل ناقص ماعندكش .. انت يامنيل على عينك بتبصبصلى !..
حسنين ــ (خائفا) ! ..
منتهى ــ (ويدها على الشبشب) امش اطلع بره طلوع فى رقبتك ورقبة اللى جايبينك ، صدق اللى قال عليك أبو جاموس.

حسنين ـ (وهو يحاول الخروج) ماهو دا اللى أنا عايزه
(يدخل عبد السميع) •
منتهى ـ انت ياسى عبد السميع أفندى جايب لى واحـــد
يبصبص لى ؟ ••
عبد السميع (صارخا) بيبصبص لك !؟
منتهى ـ ويقولى ايه القشطة دى ؟! ايه الالماظية دى ؟ ••
والقمر فى السما وايه قعده فريحى على الكنبة ؟ •
حسنين ـ (خائفا) أنا •• أنا ••
عبد السميع ـ انت ايه ياناقص يادون ياقليـــل الأدب أنا
ح أخرب بيتـــك وبيت الششتاوى أخوك كاتب القيـــودات
يانا ياهوا ••
حسنين ـ أنا •• أنا ••
عبد السميع ـ انت (يسحب عليه الحذاء وينهال عليه ضربا •
فى حين يدخل حسبو) •
حسبو ـ (فرحا فى ابتهاج) باظت ••
« ستار »

●●●


وادى

كنت اذ ذاك أشـــتغل مخبرا صحفيا فى جريدة يوميــة . وأشهد بأننى كنت مخبرا سياسيا فاشلا فأنا بطبعى رجل حيى خجول ، أحب العزلة وأميل الى الصمت ، ولا أحب أن أقحم نفسى فى مالا يعنينى وهذه صفات اذا توفرت لصحفى فقل عليه وعلى الصحيفة التى يعمل فيها السلام ، وكثيرا مافكرت فى ترك الصحافة حتى أريح نفسى من هذا العناء الكبير الذى أرزح تحت أعبائه ، وأريح معى رئيس التحرير من المتاعب التى أسببهـا له دائما ولكن اذا تركت الصحافة فمن أين أعيش ؟. اننى بعد السنوات الطويلة التى اشتغلتها فى الصحافة . أصبحت لا أصلح لأى عمل آخر . ومثل الصحفى الذى يترك عمله كمثل الطبيب الذى تحرم عليه مهنته كلاهما لايصلح حتى لبيع العرقسوس فى ميدان السيدة . أو التمر هندى أمام ضريح الحسين . .

كنت أفكر فى هذا وأنا أجلس ذات يوم الى مكتبى فى دار الجريدة . عندما دخل على رئيس التحرير بوجهه الجهم الذى لاتعرف الابتسامة طريقها اليه أبدا ، فقد كان رحمه الله وغفر له دائم العبوس مكفهر الوجه لاتعرف شفتاه أن تلفظ الكلمة الطيبة أبدا . ولا يهمه غير مايسمونه السبق الصحفى . أو الخبر الهام الذى يخرج به جريدته . ولذلك عندما دخل على خاطبنى قائلا دون أن يحيينى ..

ـ ايه الاخبار النهارده يا أستاذ ؟

ـ خير ..

ـ كويس : لكن خير دى ماتنفعش ..

فقلت ضاحكا :

ـ نخليهـــا شر ..

فمد يده وقال :

ـ أرنى أخبارك .

فناولته ورقة صغيرة قرأ فيها هذه العناوين .

« حرم رئيس الوزراء تعود فجأة من مصيفها » ـ الجـــديد فى توزيع أراضى مصلحة الأملاك ـ التفكير فى تخلى كبير عن منصبه ـ فنظر الى وقال :

ـ ومين هو ياسيدى هذا الكبير ؟
ـ يقولون أنه رئيس الديوان ٠ ٠
فوضع يديه الكبيرتين خلف ظهره وقال :
ـ ومن أين عرفت هذا الخبر ؟
فسرنى انني ظفرت له بخبر هام وقلت له على الفور ٠
ـ لى شقيقة تشتغل مدرسة ـ وتعطى دروسا لاحدى بناته ٠
فقال على الفور ولكن فى سخرية آلمتنى ٠
ـ يا أستاذ درس ايه ٠٠ دى أخبـــار بايتة ٠ فأدهشنى هذا وقلت :
ـ بايتـة !!؟
ـ معلوم ٠٠ بايتة وحامضة كمان ٠ مين فى البلد مايعرفش ان رئيس الديوان سيستقيل ؟
ثم عاد الى يديه فوضعهما خلف ظهره وقال :
ـ يا أستاذ أنا عايز أخبـــار طازة ، أخبـــار جـــديدة ، جديدة ٠٠
فضايقنى منه هذا وقلت متبرما ٠٠
ـ مافيش ٠٠
ـ يا أستاذ الصحافة مافيهاش حاجةاسمهامافيش ، الصحفى الناجح يجيب الخبر من تحت الأرض ، من أغوار المحيـــط من قلب السماء ٠٠
فقلت : ولكن السماء لاتمطر ذهبا والأرض لاتخرج فضـــة والبحر ليس فيه غير السمك ٠
ـ يعنى ايه ؟
ـ يعنى لاجديد تحت الشمس ٠٠
فقال هائجا وهو يدق بيده على حافة المكتب ٠٠
ـ يعنى نقول للقراء لاجديد تحت الشمس ؟ حاضر ٠
قال ذلك ثم انصرف يدق كفا بكف فحمدت الله على أنالعراك بينى وبينه فى هذا اليوم وصل الى هذا الحد فقط ، ولكنه لم يلبث أن عاد ثانية وعاد سريعا وهو يلهث ويتسبب عرقاويحمل فى يده بطاقة أنيقة ٠ قدمها الى وهو يقول :
ـ اتفضل يا أستاذ ٠ حفلة ساهرة فى مينـــا هاوس ٠ ٠ وستحضرها حرم رئيس الوزراء ٠ وسيدات المجتمع وبعـــض

رجال السلك السياسي والكبراء والوزراء وسوف لاتعدم وسيلة للعثور على خبر هام .

ثم اقترب مني وقال :

ـ ثم لاحظ أن الجو السياسي مكهرب .. متيل .. الوزارة على كف عفريت بالعربي ياتستقيل ياتقال .

فأدهشني هذا وقلت :

ـ كيف ذلك وقد صرح أحد الوزراء في الجريدة اليوم بأن الوزارة لم تكن في يوم ما أثبت قدما منها في هـذه الأيام ؟

فأهاجه هذا وقال مغتاظا :

ـ يا أستاذ كلام سياسة .. كلام جرايد ، الى متى ستظل تجهل قواعد الصرف والنحو في لغة السياسة ..

فقلت ولم تفارقني دهشتي .

ـ تقصد أن هذا التصريح لا أساس له من الصحة ؟

ـ مضبوط ..

ـ ولماذا صرح به ؟

ـ هذا مايسمونه فى لغة السياسة المبنى للمجهول .

ـ لم أفهم ..

ـ ولا أنا ..

ـ ولماذا ننشر أشياء لانفهمها ؟

فنظر الى في حنق وقال :

ـ اسمع ياأستاذ ، قبل أن تشتغل بالصحافة ، ماذا كنت تعمل ؟ ..

فقلت له : كنت أشتغل بالأدب .

ـ يعني القصص والروايات ؟

ـ أيوه ..

ـ ولذلك فلن تعمر في الصحافة طويلا .

ـ لماذا !!؟

ـ لأنك رجل خيال ..

ثم راح يمثل فى الفضاء وهو يشير الى الهواء بيديه ويقول :

ـ الشمس ـــ القمر .. الليل الذى أرخى سدوله .. الشعر الذى تهدلت خصلاته .. الخد الاسيل .. والخصر النحيل .. والعيون التى فى طرفها حور ، ثم نظر الى وقال محتدا

ـ هذا يا أستاذ كلام فارغ ٠٠كلام خيال ٠٠ كلام مايوكلش عيش ٠٠ الصحافة مش كده أبدا ٠٠ الصحافة جد ٠٠ حقيقة ٠٠ واقع ٠٠ جهاد ٠٠ صراع ٠

ثم راح يحدث نفسه وهو يشد فى شعره ويدور وسط الغرفة ٠٠

ـ أيوه صراع ٠٠ صراع ٠٠ جهاد ٠٠ حقيقة ٠٠ واقع ٠٠

والتفت الى وقال :

ـ أيوه الخبر ٠ الخبر ياأستاذ ٠ ولو أدى الأمر الى انك تحرق اسطامبول كما حرقناها ٠

وكنت الى ذلك الحين لا أعرف ان اسطامبول قد حرقتها الصحافة ؟ فقلت له :

ـ وهل حرقتم اسطامبول حقيقة ؟

ـ أجل حرقناها ٠٠

ـ كيف ؟

ـ ان شاء الله عندما تصبح صحفيا لامعا ٠٠ عندما تملك جريدة يومية كبرى ٠٠ عندما تصبح من رجال المال والأعمال والسياسة ٠٠ ستعرف كيف احترقت اسطامبول ذات مرة ٠

وأردت أن أقول شيئا ، ولكنه كان قد نظر فى ساعته وقال على الفور :

ـ اتفضل ياأستاذ الحفلة ٠٠ الحفلة ٠٠ وكما قلت لك أنها حفلة سياسية أكثر منها حفلة ساهرة ٠٠ وسوف تظفر منها بأخبار قيمة ٠٠

قال ذلك ثم اقترب منى ووضع يده على كتفى وقال وكأنه يهمس فى أذنى :

ـ سلط أضواء عينيك على حرم رئيس الوزراء ، تصبح أنت جهينة القرن العشرين ٠٠

ثم القى ببطاقة الدعوة أمامى على المكتب وانصرف ٠ فتناولت البطاقة وما ان نظرت فيها حتى جحظت عيناى وانصرفت بها سريعا الى غرفة رئيس التحرير وألقيت بها أمامه على المكتب وأنا أقول وأصبعى على سطر ذيلت به البطاقة وكان بين قوسين :

ـ اقرأ ٠٠

فقرأ بصـــوت مرتفـع ٠٠ الحضـور بالملابس الرسـمية (الفراك) ٠ ٠

ثم رفع عينيه الى وقال ، وكأنه يرميني بالغباء النادر ٠

ــ ياسيدى اتصرف ٠٠

ــ وكيف أتصرف ؟

ــ بسيطة ، جاكتة من هنا ٠٠ وبنطلون من هناك ٠ وقميص من هنا تنتهى المسألة ٠٠ ومع ذلك اتفضل ومد يده فى جيبه وناولنى ريالا وكان الريال فى ذلك الوقت يكاد يكون ثروة طائلة ، فتناولته وانصرفت ومن يومها الى وقتنا هذا لا أدرى كيف تصرفت فى تلك الليلة ، ولكن الذى أذكره جيدا هوأننى قبل موعد الحفل بدقائق كنت أجتاز حديقة الفندق الكبير وأنا أنظر الى نفسي وأضحك ملء شدقى من ذلك الانسان الذى قلبه الله فى غمضة عين الى قرد كبير له ذيل وله أيضا طوق اسود حول عنقه بيد اننى لم أكد أدلف الى مكان الحفل ويطالعنى ذلك البهو الكبير الذى غص بالمدعوين حتى نسيت كل شيء ، فقد كان الحفل رائعا حقا كبيرا فعلا" كما قال عنه رئيس التحرير ، جمع بين الوزراء والكبراء والعظماء جميعا فى صعيد واحد كما امتلأ أيضا بغانيات مصر وسيدات المجتمع ٠ وقد تفنن جميعا فى تبهرجهن وتزينهن واحكام ملابسهم الأنيقة على أجسامهن الغضة البضة الناعمة ، كما تركن أظهرهن ونحورهن عارية تحت الاشعاع الكهربائي الذى يعكس نوره عليهن فيحيل تلك النحور والصدور العارية الى مايشبه البلور الذى يتوهج تحت الشمس ٠ وقد انتثرن حول الموائد كما تنتشر الورود البيضاء فى الخمائل ، فترى لها لونا جميلا وتشم لها رائحة حلوة ٠ ٠ فجلست أنعم النظر واستنشق ذلك العبير اللطيف الذى تفتح له قلبى ورحت ابتسم لجهل رئيس التحرير وهو يسخر من الأدب ٠ والأديب الذى يحب الجمال ويصف الجمال ويتحدث عن الخد الأسيل ، والخصر النحيل والعيـــون الزرق التى فى طرفها حور ٠

وظللت كذلك أنقل عينى من نور الى نور ومن سماء الى سماء٠ ومن وجه يهل فاذا به القمر فى طلعتـــه أو قوام يطل فاذا به الزمن فى بهجته الى أن حانت منى التفاتة عارضة أخرجتنى من

هذا الحلم اللذيذ ، فقد رأيت بعض رجال السياسة من المعارضين يجلسون الى مائدتين متقاربتين وجلس بينهم رئيس الديوان فتذكرت فى الحال مهمتى وماقاله لى رئيس التحرير من أن هناك أزمة بسبب رئيس الديوان . ولما كنت أطمع أن أرضى رئيس التحرير فى أن أظفر بخبر سار ـ أى خبر ـ ذهبت اليه وصافحته وكان يعرفنى وأعرفه فقلت له :

ـ كيف الحال ؟

فقال مبتهجا وهو يضحك ويشاركه فى الضحك بعض الوزراء السابقين .

ـ عال ..

فقلت ضاحكا أنا أيضا .

ـ هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟

وقبل أن أتم كلامى سمعنا لغطا وحركة غير عادية من خلفنا فالتفتنا فاذا بسيدة كبيرة من سيدات المجتمع عرفت بصلتها القوية بحرم رئيس الوزراء تقبل على الحفل تتهادى وتسبقها رائحة عطر جميل ، فقال رئيس وزراء سابق كان يجلس معنا عرف بنكاته وتندره ، قال وهو يشير الى السيدة الكبيرة .

ـ اسألوا أهل الذكر ..

وبعد أن ضحكنا أردت أن أقول شيئا ولكنى لمحت احدى السيدات تسرع اليها وتتحدث معها على انفراد فتذكرت أنى صحفى ، فأسرعت نحوهما فسمعت السيدة تسأل صاحبتها قائلة :

ـ لماذا لم تحضر حرم رئيس الوزراء ؟

فقالت السيدة الكبيرة وهى تعبث بحبات عقد ثمين حلت به جيدها ..

اننى كنت فى الاسكندرية وحضرت توا الى هنا .. وكنت أظنها قد حضرت .

وفجأة دوت عاصفة من التصفيق ، عرفنا منها أن حرم رئيس الوزراء قد حضرت ، فانصرفت الى الخارج سريعا ، وهرول معى بعض الكبراء والعظماء ، فوجدنا ان رئيس الوزراء هو الذى حضر وبصحبته بعض الوزراء ، وبعد أن وقف حينا حيا فيه جموع الهتافة ، وأرسل ببعض ابتساماته المشرقة الى السيدات

المتناثرات حول الموائد كثريات الكهرباء ذهب الى المائدة الفخمة التى أعدت له وجلس اليها مع بعض وزرائه ، كل ذلك وحرمه المصون لم تحضر ، فضايقنى هـذا وتذكرت ماقاله لى رئيس التحرير « سلط أضواء عينيك على حرم رئيس الوزراء تصبح جهينة القرن العشرين » •

ولما لم أجد بدا سلطتها على رئيس الوزراء نفسه ، فاذا به يفيض بهجة ، وتغمره سعادة غامرة تنطبع على وجهه دائما كلما كان فى الحكم • غير أنه كان دائم النظر الى ساعته ، كما كان يميل بين الحين والحين على أحد الوزراء ، وقد جلس بجانبـه وكانت صلته به كبيرة ففهمت بأنه يستعجل مجىء حرمه •• وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة تقريبا ، وكانت أم كلثوم تنشد أغنية من أغانيها الجميلة ، وراح صوت أم كلثوم يسرى فى الأذن مسرى النسيم فى الليل ، فأطربنى ذلك كثيرا ، حتى أننى نسيت ماأنا فيه ، ونسيت أيضا المهمة التى جئت من أجلها وعشت فى دنياى أنا •• دنيا الجمال والخيـال والفن الذى لايؤمن به رئيس التحرير وظللت كذلك الى أن فتحت عينى فاذا بالجو قد تكهرب فجأة ••

فقد حضر أحد كبار الموظفين مضطربا مصفر الوجه وكان على صلة قرابة برئيس الوزراء ، فمال عليه وأسر اليه شيئا ، انذعر له رئيس الوزراء ذعرا شديدا ، ونهض غاضبا مكفهر السحنة وغادر الحفل سريعا ومن خلفه جميع الوزراء الذين أخـذوا سياراتهم وانطلقوا سريعا فى الليل ، ووقفت أنا مرتبكا أفكر •• آآخذ تاكسى وألحق بهم لأعرف ما حـدث •• ان الريال الذى أخذته من رئيس التحرير لم يبق منه سوى ثلاثة قروش ، وغير ذلك قد انصرف من هنا فتحضر حرم رئيس الوزراء •• وبذلك أحرم من تسليط أضواء عينى عليها ، وأحرم بذلك من لقب ـ جهينة القرن العشرين ـ وكذلك وقفت حائرا وأخيرا عدت الى مكان الحفل ، فوجدت الجو أكثر اضـطرابا ، فالـكل يتساءل عما حدث •• وحانت منى التفاتة الى مائدة رئيس الديوان ومن معه من المعارضين فوجدتهم قد دفنوا رؤوسهم جميعا فى المائدة • وكأنهم يتشاورون فى أمر خطير كما رأيت رئيس الديوان ينتحى برئيس الوزراء السابق مكانا وراحا يتهامسان فى اهتمام كبير •

وهنا تذكرت أن رئيس التحرير كان على حق عندما قال لى أن الجو السياسى مكهرب ·· وأن الوزارة على كف عفريت ·· وأن الصحفى الناجح هو الذى يأتى بالخبر الصحيح من أغوار الأرض أو أجواز السماء · فارتبكت ولكنى تشجعت وذهبت الى رئيس الديوان الذى كان يعابثنى من لحظات فاذا به يشيح بوجهه عني ويأخذ سيارته وينصرف هو الآخر فذهبت الى جماعة المعارضة فاذا بهم جميعا يبعدوننى عن مكانهم فى لطف حينا وفى غير لطف مرات ·· وكأنهم يتشاورون في أمر خطير، فتركتهم وذهبت الى بعض السيدات اللواتى كن من دقائق يثرثرن فتزعج ثرثرتهن الآذان ، كما تزعجها قزقزة اللب ، فاذا بهن صامتات حائرات مثلى يسألننى عما حدث ··

وأخيرا لما أسقط فى يدى وحرت تماما ، قلت اتصل برئيس التحرير فهو أشد منى ذكاء ، وأكثر خبرة في حل المعقد من الأمور · وقلت أشرح له كل هذه الظروف وعليه أن يوجهنى · أو يذهب هو الى تقصى الاخبار بطريقته الخاصة · فذهبت الى عامل التليفون للفندق وطلبت منه أن يعطيني ادارة « جريدة اللهب الأحمر » فدون الرقم أمامه ، ثم أشار لى على الكابين رقم ٣ وما أن فعل حتى نهض فجأة واقفا كمن لدغته عقرب فالتفت فزعا فاذا بسيدة المجتمع الكبيرة التى عرفت بصلتها بحرم رئيس الوزراء تقف أمامه وتحدثه بالفرنسية فلم أفهم شيئا مما قالت له بيد أنى أدركت بشىء من الذكاء أنها تطلب منه رقما معينا ، لأنه أسرع يدير أصبعه فى قرص أمامه · فانتهزت أنا هذه الفرصة ، والتفت اليها فاذا بجمالها الرائع يطالعنى فجأة ، واذا بها حقيقة تفيض أنوثة وجاذبية ورقة ·· ذات وجه عربى حلو القسمات ، شهى البسمات ، يزينه ثغر يتقد كالجمر وصدر عال كأنه فى نوره انطباعة القمر على باقة من الزهر ، فنسيت نفسى وماكنت سأقوله لها · واستذكرت الجمال وماقاله الشعراء والكتاب والفنانون فيه ، وما وصفوا به الخصر النحيل والردف والغصن الذى يميل فتميل الدنيا ووقفت عند ثغرها الذى يتقد كالجمر ، كما تقف الفراشة بعد الوسب على النار لتحترق ·· متمنيا هذا الاحتراق مستوعيا هذا الأمل الحلو الذى يهتف به خاطرى كما هتف به الشاعر وهو يقول :

ماضر لو جعلت كأسي مراشفها ولو سقتني بصاف من حمياها
وكأن أحاسيسها سمعت هذا الذى هتف به خاطرى، فنظرت الى ، وما أن فعلت حتى ثبت الى رشدى وتذكرت مهمتي وقلت لها على الفور :
ـ مندوب جريدة اللهب الأحمر ..
فتمتمت وكأنها تخاطب نفسها وتنظر الى العامل الذى راح يدير القرص والعرق يتصبب من جبينه :
ـ تشرفنا ..
فأخجلني هذا الرد الفاتر ، ولكنني قلت :
ـ يقولون أن سببا هاما هو الذى جعل رئيس الوزراء ينصرف هكذا .. فنظرت ثانية وكأنها تنظر الى تمثال من الغباء المجسم وقالت :
ـ لا أدرى ..
فقلت :
ـ هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟
فلم تجب هذه المرة لأنها كانت قد انصرفت سريعا يهرول أمامها العامل ليفتح لها باب الكابين الذى ستتحدث منـــه ، فشعرت بالخزى وذهبت الى الكابين رقم ٣ أجفف العرق الذى راح يتصبب من جبيني ورفعت السماعة لأتحدث .. وما أن فعلت حتى وقفت فاغرا فاهى أنظر الى قلب الكابين بعينـــين زائغتين وكأنني أريد أن أخترق سقفها وأنفذ منه الى السماء لأشكر الله من قلبى ، اذ جعل منى فجـأة ودون أن أحتسب جهينة القرن العشرين .
فقد رفعت سماعة التليفون فاذا بى أجد الخطوط متشابكة ولست أدرى أحدث هذا خطأ من العامل الذى لم يضع الفيشة قبل أن ينصرف أم لا دخل له فيه . لأن الذى حدث أننى رفعت السماعة فسمعت فجأة صوت الســيدة الـكبيرة تقول جزعة مضطربة ..
ـ سقطت فعلا ؟..
فأجابها رجل فى صوت يشبه البكاء وهو يضع السماعة .
ـ أجل سقطت ..
وخرجت السيدة من الكابين مكفهرة الوجه ، تسرع الخطى

كمن يهرب من خطر داهم ٠٠ فلحقت بها وأنا أكتم فرحة كبيرة في قلبي ٠٠ واعترضت سبيلها وقلت متجاهلا :

ـ هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟

فأشاحت بوجهها صارخة وهي تنصرف سريعا الى سيارتها :

ـ دعني ٠٠

فانصرف أنا الى مكان الحفل ، أتيه عجبا بالخبر الطازج الذي أحمله في صدري ، وأحس سعادة لا يستشعرها الا من يظفر بكنز ثمين والتقيت في طريقي بأحد الصحفيين الكبار ، فأردت أن أتندر به وأسخر منه ومن مهارته الصحفية ، التي اشتهر بها ٠

فقلت له :

ـ ايه الأخبار ؟

ـ فل ٠٠

فقلت :

ـ هل ستحضر حرم رئيس الوزراء ؟

فقهقه ضاحكا وهو ينصرف :

ـ تحضر بالسلامة ان شاء الله ٠٠

وسألت عن رئيس الوزراء السابق ، فبلغني أن رئيس الديوان عاد اليه ، وانصرفا على عجل ٠ فعرفت من هذا أيضا من سيشكل الوزارة الجديدة ٠ وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة، فأردت أن أنصرف الى دار الجريدة ، لأسرد على رئيس التحرير تفاصيل ماحدث ، فقد قرب موعد الطبع ٠٠ وكانت المسافة طويلة جدا٠ ومن آخر الهرم الى حارة دربالة في شارع الترعة البولاقية ٠ حيث الادارة والتحرير وليس في جيبي غير ثلاثة قروش ٠ هي التي بقيت من الريال ٠ فاتصلت برئيس التحرير ٠ وما أن سمع صوتي حتى سألني عن الحفلة ، وهل سلطت عيني على حرم رئيس الوزراء أم لا ٠ فكتمت ضحكة عريضة وقلت له :

ـ اطمئن ، وسوف يجيئك جهينة القرن العشرين حالا بالخبر اليقين ٠٠

ففرح وطلب مني أن أوافيه في الحال فأفهمته بأنني سأحضر اليه في تاكسي لصعوبة المواصلات ، وما أن سمع ذلك حتى صرخ في وجهي :

ـ يا أستاذ مازال في الوقت فسحة عندك ج ، ب ، ١٥،

فقاطعته قائلا في غيظ :

ـ ولكن كل ذلك يوصلنى الى ميدان المحطة فقط ..
فقـال : ومادمت في المحطة أصبحت فى شـارع الترعة البولاقية ..
فقلت وأنا أتميز غيظا :
ـ ولكن كيف أركب الترام .. وأنا أرتدى الفراك ؟
فقال ثائرا وهو يضع السماعة ..
ـ ياأستاذ ديمقراطية .. ديمقراطية ألا تعلم بأن ملك الانجليز يركب الترام مع الشعب ..
فوقفت واجمـا ثم انصرفت الى دار الجريدة ، وحتى الآن لا أدرى كيف وصلت اليها . ولا أى الطرق سلكتها الى هنـاك وأسرعت الى غرفة رئيس التحرير ، فرأيته منهمكا في العمل وقد تصبب العرق من وجهه وتفصد من قميصه وصدره الذى تركه عاريا . ثبت السيجارة السوداء ماركة الشايب كعـادته بين شفتيه ، وراح يمتصها بين الحين والحين فتتصاعد لها رائحة سوداء كريهة ، كما راح يميل بين حين وآخر على درج تركـه مفتوحا فى مكتبه ويصب شيئا من زجاجة صغيرة وضع بجانبها قطعة صغيرة من الجبن الرومى وبعض حبات الزيتون الاسود . وقد جلس أمامه الى المكتب الأسـتاذ حسبو الخطاط بمنظاره السميك ذى الأسلاك النحاسية الصـدئة وقد انكب على قلمه البسط .. وراح ينمق بفنه بعض العناوين الكثيرة والمانشتات الكبيرة المنتشرة أمامه على المكتب وقد حملت عدة عناوين ادهشتنى عندما قرأت فيها ـ حرم رئيس الوزراء تشرف الحفل وتسـهر حتى الثانية صباحا ـ رئيس الوزراء يصفق طويلا لأم كلثـوم ـ رئيس الديوان يعانق رئيس الوزراء ويجلس معه ساعة كاملة ـ فدهشت وقلت :
ـ ماهذه العناوين يا أستاذ ؟
فلم يلتفت الى وانما قال للأستاذ حسبو وهو يلفظ نفسـا طويلا من سيجارته السوداء :
ـ عاوز مانشت على عمودين نسخ بعنوان ـ ديمقراطية حرم رئيس الوزراء ، ثم التفت الى وقال :
ـ كنت فاهم أظن اننا سننتظرك .
وبعد أن أفرغ شيئا من الزجاجة الصغيرة فى جوفه ، نظر

مبتهجا الى العناوين التى أمامه وقال لى :

ـ بذمتك .. هل عندك أكثر من هـذه الاخبار أو مايزيد عليهـا ؟

وقبل أن أقول شيئا عاد يقول :

ـ هذه هى الصحافة يا أستاذ ولست أدرى متى ستتعلمون فنونها ..

فلم أجب وانما مددت يدى الى تلك العناوين المخطوطة فى غيظ وهممت أن أمزقها لولا أن الأستاذ قفز الى صدرى مرتعدا وأمسك بيدى وهو يصيح قائلا :

ـ طرية يا أستاذ .. طرية طريةولكنىمزقتها دون أنالتفت اليه ولا الى صياحه ، وقبل أن يقول رئيس التحرير شيئا ، أو يقلب المكتب على رأسى كنت قد سحبته من يده كما يسـحب الانسان حيوانا اليفا ، وانتحيت به مكانا فى غرفة مجاورة ، وقصصت عليه نبأ سقوط الوزارة .. وما حدث فى الحفـلة حرفا بحرف ، وكيف ان العناية الالهية خصتنى بهذا الخبردون سائر البشر أجمعين .. وما أن قلت له التفصيلات وعرفتـه أيضا من سيشكل الوزارة الجديدة ، حتى كان قد اندفع الىمن فرط دهشته واحتوى جسدى النحيل بين ذراعيهوراحيعتصرنى اعتصارا وهو يعانقنىويقبلنيتقبيلاثقيلاأوجعنى . ثمسحبنىمن يدى ورقص معى وهو يقول :

ـ ألم أقل لك بأن الصحفى الناجح لايستعصى عليه الخبر ، ولو كان فى أجواز السـماء . وكان فى أغوار الأرض . ثم احتضننى ثانية وقبلنى قبلة أخرى أوجعتنى أيضا واسـتطرد يقول :

ـ لقد أصبحت يا أستاذ من الآن علما من أعلام الصحافة وكنا قد بلغنا غرفته فرأيت الأستاذ حسبو مازال مكبا عـلى الأرض يجمع قصاصات عناوينه الممزقة . فانحنى عليهرئيس التحرير فجذبه من يده وأجلسه على المقعد وهو يقول له :

ـ مانشت الصفحة الأولى يا أستاذ بسرعة .

فقال الأستاذ حسبو على الفور وهو يقرأ فى ورقة صغيرة أمامه .

ـ وزارة الشعب ، ساهرة على رعاية الشعب .

فصرخ رئيس التحرير قائلا وهو يشد شعره ٠
ـ مزقه ٠ احرقه ٠ خلاص الوزارة استقالت ٠
ثم هرش رأسه وقال وهو يرسل نفســا طويلا من دخان سيجارته السوداء ماركة الشايب :
اكتب ياسيدى ٠٠
ـ ابتهاج الشعب فى أنحاء البلاد بسقوط الوزارة ٠٠ أريده على ارتفاع ستة سنتى أو ثمانية اذا أمكن ٠ ثم هرش فى رأسه ثانيا وقال :
ـ مانشت على ثلاثة أعمدة بعنوان ٠ دولة الظلم ساعة،ودولة الحق الى قيام الساعة ٠
وأردف قائلا :
ـ مانشت آخر على ثلاثة أعمدة رقعةبعنوان : سقطت الوزارة اللهم حمدا ٠٠
ومد يده الى الزجاجــة الصغيرة وأفرغ منهــا شيئا فى جوفه وقال :
ـ مانشت على أربعة أعمدةفارسى بعنوان : سيدة كبيرةيغمى عليها عندما تسمع النبأ ويسعفها طبيب كبير معروف ٠
وهنا تقدمت منه وصحت قائلا :
ـ ولكن هذا لم يحدث ياأستاذ فصرخ فى وجهى ٠
ـ مش شغلك ٠٠ مش شغلك ٠٠
ثم التفت الى الاستاذ حسبو وقال :
ـ مانشت على أربعة أعمدة ، نسخ ، عبد التواب « باشا » يكلف بتأليف الوزارة ٠
وبعد ذلك جلس الى مكتبه وتناول قلما ، وكتب هذه العناوين ثم دق الجرس فأقبل الشــيخ فراج ، وهو طالب فى الأزهر ويشتغل فى الجريدة ليلا محررا ومصححا ، وعليه المرورنهارا على أكشاك البيع ليتأكد من أن الجريدة توزع توزيعا منظما ٠٠ فنــاوله رئيس التحرير الورقة التى دون فيهــا العناوين وهو يقول :
ـ الأصول بسرعة ٠٠
وخرج الشيخ فراج ٠ فأشعل رئيس التحرير سيجارة جديدة والتفت الى وقال :

ـ اكتب كلمة تحية وتقدير وثناء عاطر على رئيس الوزارة الجديدة من الثلاثة أعمدة فى الصفحة الخامسة ٠

فأسقط فى يدى وقلت :

ـ وهل أنا أعرفه حتى أكتب عليه :

فتميز غيظا وهو ينظر الى ٠ ثم نهض الى رف بجواره وتناول منه مجلدا كبيرا ناوله الى وهو يقول :

ـ اخرج العدد الصادر يوم تشكيل الوزارة المستقيلة فأخرجته له فتصفحه ثم ناوله لى وقال ٠

ـ اقرأ ماكنا قد كتبناه عن رئيس الوزراء ٠

فقرأت تحت عنوان (التاريخ يسجل) من الخطل هنا ان نذكر حسنات رئيس الوزراء ، أو نعدد مآثره ، أو نتحدث عن ماضيه المشرف وتفانيه فى خدمة بلاده ٠ لأننا مهما تحدثنا عن عدل عمر بن الخطاب ، فلن نقول شيئا ومهما أطنبنا فى مدح على بن أبى طالب ، فلن نأتى بجديد ، أو قلنا عن صلاح وتدين عثمان فلن نزيد شيئا ولكن من الحق علينا لكى نريح ضمائرنا ، ولكى نريح التاريخ من عناء البحث والتنقيب واستقصاء الحقائق ، ان نسجل هنا حقيقة غير منكورة وهى ان الله الذى خلق الرسل والانبياء قد أبت رحمته الا أن يبعث الينا بهذا الرجل ٠٠٠٠

وهنا صاح رئيس التحرير فرحا ٠ ٠

ـ كفاية انقل نفس المقال ٠

فقلت دهشا ٠ ٠

ـ لايمكن ٠٠

ـ لماذا ؟ ٠٠

ـ انه قيل فى رجل غير الرجل ٠٠

فقال وهو ينظر الى متعجبا ٠٠

ـ ياسيدى اتصرف ٠٠ اتصرف ماتعرفش تغير الاسم وتغير العنوان ٠٠

فقلت وقد زادت دهشتى :

ـ والقراء ؟ ٠٠

فاستلقى ضاحكا ثم قال ٠

ـ انت حسن الظن قوى يا أستاذ ، هم فاكرين اتعشـــوا ايه امبارح ٠٠

فلم أر بدا من الانصياع لأوامره ونقلت نص المقال حرفيا بعد أن غيرت الاسم والعنوان . وكانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا فانصرفنا جميعا الى المطبعة ، أنا والشيخ فراج، والاستاذ حسبو ، ورئيس التحرير ، الذى لم أره فى حياتى فرحا كهـذه الليلة ، حتى ان الفرحة أخرجته عن طوره وجعلته يغدق علينا المال الوفير . فأعطانى عشرة قروش ، والشيخ فراج خمسة واشترى للاستاذ حسبو علبة سجاير ماركة الفيل .

وأشهد بأنى لم أسعد فى حياتى كما سعدت فى تلك الليلة أحلم بما قاله لى رئيس التحرير بأنى سأصبح علما من أعلام الصحافة ..

وعشت حينا فى هذه الاحلام وهذا السحر الذى يأخذ بالابصار فقد صعد نجمى فجأة بهذا الخبر الذى لم يكن لى يد فيه . والذى ستسعى الى الشهرة كما تسعى الدنيا الى رجل نائم وقد شعرت بهذه السعادة تغمرنى حقيقة وتفيض على عندما اتصل رئيس التحرير ببعض الصحف الكبرى وكانت قد بدأت الطبع وعرف بأنها لم تظفر بالخبر فى حينه كما ظفرنا نحن به وانفردنا به دون سوانا . وسوف تعرف هذه الصحف الكبرى عندما نصدر فى الصباح ، أى فشل حل بها وأية خيبة أصابتها حين تنفرد جريدة « اللهب الاحمر » دون غيرها بالخبر الذى اهتزت له أسلاك البرق والذى فرح له من فرح وبكى له من بكى . وسيعرفون مع ذلك كله من هو الشخص الذى أتى به من أغوار الأرض . وهبط به من علياء السماء . والسعادة المفرطة ثقيلة الحمل ينوء بها كاهل صاحبها ، تماما كما ينوء كاهل الشقى بما يحمل من شقاء .

لذلك ما أن دارت عجلة ماكينة الطباعة وقذفت فى وجهى بالعدد الأول ، وطالعنى المانشت الطويل العريض الذى نمقه الأستاذ حسبو برائع فنه، وقرأت : « ابتهاج الشعب فى كل أنحاء البلاد بسقوط الوزارة » حتى ناء كاهلى بالفرحة الغامرة وخارت قواى ، وانتابنى دوار شديد . وشعرت أننى فى حاجة الى النوم . فغافلت رئيس التحرير الذى كان يتصفح العدد وسيجارته ماركة الشايب ترقص طربا بين شفتيه وذهبت الى غرفة عم رستم خفير المطبعة .. وما ان استلقيت على الكرويتة الخشب بثيابى

الرسمية ـ الفراك ـ حتى استغرقت فى نوم عميق • وظللت كذلك الى أن استيقظت في السابعة صباحا على ضجيج مزعج، وصخب وهرج فى المطبعة ، وسمعت صوت رئيس التحرير يهدر فى عنف • فانزعجت جدا • وظننت أن ماكينة الطباعة قد
صوتا مزعجا • فانزعجت جدا • وظننت أن ماكينة الطباعة قد
أصابها عطب قبل انتهاء طبع العدد ـ وكان هذا يحدث للماكينة كثيرا • وبذلك تكون قد حلت بنا أكبر مصيبة • فأسرعت الى هناك مضطربا • فوجدت رئيس التحرير مجنونا يدور على عقبيه وكأنه شعلة تحترق • وما أن رآنى حتى راح يصرخ صرخات مدوية • وهو يقطع شعره ويمزق ثيابه ويلطم خديه وهو يصرخ فى وجهى بصوت كالرعد ويقول :

ـ خربت بيتى الله يخرب بيتك ••

فأسقط فى يدى وقلت مأخوذا :

ـ ماذا ، ألم تسقط الوزارة ؟

فمال على الشيخ فراج محزونا وقال باللغة العربية الفصحى كعادته :

ـ لا لم تسقط الوزارة ياأستاذ ••

وانما حرم رئيس الوزراء هى التى سقطت ، أو بمعنى أصح أجهضت ••




أنا

المنظر

« فى مكان معين من الشاطىء ، وعنــد ربوة ينســاب الماء من تحتها رقراقا ، كما تنســاب أنسام الأصيل حولها رخاء ، اتفق شاب وشابة على اللقاء سرا لأول مرة . وكان لايعلم بهــذا الموعد غير واحد فقط هو « كيوبيد » الذى جمع بين قلبيهما دون أن يحتسبا .. لذلك حلا له أن يهبط من عليــائه ليعيش لحظة بين النــاس ، وليشاهد بنفسه مايفعله ســحره فى الخلق .. فنزل الى الأرض على هيئة بلبل جميل راح يتنقل على الشاطىء رويدا فى انتظار الحبيبين الجديدين ، بيــد أنه لم يــكد يبلغ الربوة حتى رأى شيئا أزعجه .. رأى ابليس قد سبقه اليهــا متخذا لنفسه هيئة غراب أجرب ، أخــذ يحك جلده بمخلبيه حتى سالت الدماء من جسده وراحت تلطخ بقطراتها السوداء ذلك المكان الجميــل الطاهر .. »

كيوبيد ـ « غاضبا » .. ما الذى جاء بك الى هنا أيها الشر الكبير ؟ ..

ابليس ـ « مبتسما » .. وما الذى جاء بك أنت أيها البلبل الجميل ؟ ..

كيوبيد ـ أنا جئت لأغرس بيـــدى بذرة الحب فى قلبين طاهرين ..

ابليس ـ وجئت أنا لأحصد مازرعت أنت ..

كيوبيد ـ ومن الذى أنبأك أن هنا سيلتقى حبيبان ؟..

ابليس ـ هذا المكان الجميل الذى أعددته أنت لعشاقك ..

كيوبيد ـ ولـكنك لن تستطيع ..

ابليس ـ « ضاحكا » .. وما الذى يمنع ؟ ..

كيوبيد ـ ان بذرة الخير لاتثمر الشر أبدا ..

ابليس ـ « مبتسما » .. ومن أدراك أنها خير ؟ ..

كيوبيد ـ لأننى أنا الذى أصنع الخير للناس . وبيـــدى غرست هذه البذرة ..

ابليس ـ « ساخرا » .. أنت ؟

كيوبيد ـ أجل ..

ابليس ـ « ضاحكا » .. أنت من ؟

كيوبيد ـ أنا الحب ..

ابليس ـ الحب ؟

كيوبيد ـ أجل .. أنا الحب ..

ابليس ـ « وقد نظر اليه ساخرا » .. من الحب أيها البلبل الجميل ؟! ..

كيوبيد ـ قلت لك أنا ..

ابليس ـ ومن أنت ؟ ..

كيوبيد ـ ذلك النور الذى يشع صـفاء على النـــاس ، تلك الـكلمة البيضاء التى تنسدل هناء على البشر ، أنا ذلك السرور الذى يلف الانسانية فى كساء من الطهر ، أنا ذلك الجمال الحى فى كل شىء حى . أنا ذلك الرداء الذى تهبه الطبيعة للبشرفتراه فى كل شىء .. فى هذا الجدول الذى ينساب كاللحن فى آذان

الدنيا .. فى هذا النسيم الذى يتماوج رخاء كأعطاف الحسان.. فى هذا البشر الذى يتألق كأنه بهجة الغيد .. فى هـذا النور الذى يتدفق صفاء فينير الـكون ، فى هذا الفجر الندى الأنفاس الذى يعيد الحياة من جديد ، فى هذه الزهرة البكر التى تتفتح أكمامها ، فتعطر بأريجها الـكون .. لم يخلق القمر الا من أجلى ليصب لجينه على العشاق فى هدأة الليل ، ولم يخلق النسيم العليل الا لينقل للمحبين أحاديث الهوى ، ولم تنسدل ستائر الليل الا لتحفظ العشاق من العين ، ولم تتفتح أكمام الورد الا لتسكر العذارى والعشاق المعاميد ، ولم تهب أنفاس الليل الا لتوقظ من أسكرته خمر الغرام ، أنا .. أنا الحياة بما رحبت . أنا السعادة بما شملت ، أنا .. أنا كل غادة عذراء .. أنا كل شاب يافع ، أنا .. أنا الحب .. أنا .. أنا الروح .. أيهـا الشر الـكبير ..

ابليس ـ « ضاحكا » .. الروح ؟

كيوبيد ـ أجل .. الروح ..

ابليس ـ وأنا من أكون اذن ؟!

كيوبيد ـ ألا تعرف من أنت ؟

ابليس ـ اننى أسألك ..

كيوبيد ـ أنت النقطة السوداء فى كل شىء أبيض ، انك بدمائك هذه الدنسة التى تسيل منك دائما ، تستطيع أن تلوث كل شىء ..

ابليس ـ كل شىء ؟

كيوبيد ـ الا الروح ..

ابليس ـ لماذا ؟ ..

كيوبيد ـ لأنها الطهر .. وكل ماهو طاهر يحرقك .

ابليس ـ « فى سخرية » والجسد ؟

كيوبيد ـ انه طريقك الوحيد ، لأنك تستطيع أن تسكنه ، واذا ماسكنته أحلته الى جيفة تأكلها الديدان ..

ابليس ـ أتسمى النبع جيفة ؟

كيوبيد ـ انك لو بصقت فى هذا النهر ، أحلت أسماكه الى ثعابين يأكل بعضها بعضا .

ابليس ـ « ضاحكا » .. الى هذا الحد ؟

كيوبيد ـ الى هذا الحد ؟ ..
ابليس ـ اذن أنت تسلم بأنني أسكن الجسد ؟
كيوبيد ـ انه بؤرتك الوحيدة ..
ابليس ـ « ضاحكا » .. وأين اذن يكون مكانك أنت ؟
كيوبيد ـ الروح ..
ابليس ـ وكيف يلوث الجسد ، دون أن تلوث الروح ؟
كيوبيد ـ ان الجسد الذى يلوث لاروح له .
ابليس ـ معنى ذلك أننى لا أستطيع أن أسكن الجسد الذى تعيش أنت فى روحه ؟
كيوبيد ـ من غير شك ..
ابليس ـ « مبتسما » .. أواثق أنت ؟
كيوبيد ـ كل الثقة ..
ابليس ـ « ناظرا اليه » .. ألا تعلم أيها المجنون أن الجسد هو كل شيء ، وأنك أنت أول ماتلقى بسهامك انما تلقى بها عن طريق الجسد ..
كيوبيد ـ هذه احدى ترهاتك .
ابليس ـ فى استطاعتى أن أثبت لك .
كيوبيد ـ كيف ؟
ابليس ـ أليس القوام الأهيف المشوق هو الجسد ؟
كيوبيد ـ أجل ..
ابليس « مبتسما » . أليست الأعطاف المترنحة ، التى تتمايل سكرى ذات اليمين ، وذات الشمال .. من الجسد ؟
كيوبيد ـ أجل ..
ابليس ـ « مبتسما » .. أليست الشفاه الغلاظ ذات الجذوة الملتهبة ، التى تتقد جمرتها دائما وتتلظى ، من الجسد ؟
كيوبيد ـ أجل ..
ابليس ـ « مسرورا » .. أليس الصدر المرمرى الناهد ، الذى يترقرق غديره صفاء ، من الجسد ؟
كيوبيد ـ أجل ..
ابليس ـ أليست الساق الجميلة ، التى توقع خطواتها على الأرض ، كما يوقع الأرغن أنشودة الحياة .. من الجسد ؟
كيوبيد ـ أجل ..

ابليس ـ وبعد ٠٠ أليس هذا كله هو الثقاب الذى يشعل الجذوة ؟ ٠٠

كيوبيد ـ ماذا تريد أن تقول ؟ ٠ ٠

ابليس ـ أريد أن أقول أنه لا حب ولا روح الا اذا اشتعلت الجذوة ، ولن تشتعل الجذوة الا عن طريق الجسد ٠

كيوبيد ـ ان الجسد الذى تشتعل جذوته لايلبث أن يصبح رمادا ٠٠

ابليس ـ والجسد الذى لاجذوة له ٠٠ لاحياة فيه ، معذرة٠ أقصد لاروح فيه ٠٠

كيوبيد ـ انك تهذى ٠٠

ابليس ـ صدقنى اذا قلت لك أنها الحقيقة ٠ وصدقنى أيضا اذا قلت لك اننى أشفق عليك من هذا الوهم الذى تعيش فيه٠٠ ان الكأس الفارغة كل مافيها من مميزات أنها كانت فى يوم ما تحمل خمرا ٠

وكذلك أنت كل مافيك أنك كنت فى يوم ما تحمل سهما٠ ومتى كان ذلك ؟ ٠٠ قبل أن يهبط آدم من الجنة ٠ أما بعد أن هبط منها ، أما بعد أن أكل من الشجرة ، أما بعد أن ألهبته الجذوة ، أما بعد أن أغرته حواء ٠٠ فقد تكسرت سهامك ٠٠ ومع ذلك فأنت تحملها وتسير بها ٠٠ تماما كما يسير الجندى المنهزم حاملا بندقيته التى لاذخيرة فيها ٠٠ اننى أشفق عليك أيها الصغير ٠٠

كيوبيد ـ « فى دهشة » ٠٠ حقا انك لوقح جسور أيها الشر الكبير ٠٠ أنت تشفق على ! ٠٠

ابليس ـ أجل ٠٠ أشفق عليك ٠٠

كيوبيد ـ ومم ؟

ابليس ـ من هذا العناء الذى أنت فيه ٠ ثق انك لن تنفذ شيئا الا بارادتى ٠٠ برغبتى ٠٠ برغبة الجسد الذى اعترفت لى به ٠ وثق أنه مادامت الدنيا قائمة فالويل لك منى ٠

كيوبيد ـ الويل لى منك أنت ؟٠٠

ابليس ـ أجل ٠٠ منى أنا ٠ ولذلك وددت مخلصا لو تصحبنى دائما ٠٠ اذن لأرحتك من عناء كبير ٠ ٠

كيوبيد ـ « دهشا جدا » أنا أصحبك ! ٠ ٠

ابليس ـ اجل ٠٠ أجـــل ٠٠ وثق اننى أريحك ٠ أريحك كثيرا ٠٠ وثق ايضا أنك بذلك تسبدى حسنة كبيرة لهــذه الانسانيه ٠٠

كيوبيد ـ « ذاهلا » ٠٠ أى حسنة أيها المجنون ؟

ابليس ـ اننا بذلك نريح الانسانية من عذاب أليم ، نريحها من ذلك الصراع الدائم بينى وبينك ٠ او كما تقول أنت بين الجسد والروح ٠ او بتعبير أصرح بين الخير الذى هو أنت كما تدعى ، وبين الشر الذى هو أنا كما تقول ٠

« يصمت لحظة ٠٠ »

وأنا أعتقد ايها الشىء الجميل أن هذا اللقاء قد دبره لنا الهى الخالد لحكمه يعلمها هو ، وتعود على الدنيا بالغنم الكثير ٠ فانا وأنت كما تقول فى صراع دائم مادامت الدنيا ٠ فلماذا لاتثوب الى رشدك ايها البلبل الجميل وتنضوى تحت لوائى ٠ وبذلك نريح ونستريح ، ونغرق الدنيا فى البـــحر الذى يجب أن تغرق فيه ٠٠

كيوبيد ـ أى بحر تعنى أيها الماكر اللئيم ؟ ٠٠

ابليس ـ سمه أنت كما شئت ٠٠ سمه اللذة ٠٠ ســمه الجنس ٠٠ سمه الشهوة ٠٠ سمه المادة ٠٠ سمه الحقيقة ٠٠ سمه الدنيا ٠٠ سمه الوجود ٠

كيوبيد ـ ولماذا لا أسميه الفناء ؟

ابليس ـ لكن الفناء ٠٠

كيوبيد ـ « مستغربا ينظر اليه » ٠٠ ماكنت أظنك أبدا على هذا الشر العظيم ٠٠

ابليس ـ أى شر تعنى ؟

كيوبيد ـ هذا الذى تدعو اليه ٠٠

ابليس ـ اننى أدعو تماما الى ماتدعو أنت اليه ٠ وكل مابيننا من خلاف أنك أنت الوهم ، أما أنا فالحقيقة ٠ وما أتعس الذين يعيشون على الأوهام ٠٠

كيوبيد ـ ولم لاتهتدى أنت أيها الضال المضل ؟ لماذا لاتثوب أنت الى رشدك وتؤمن بالروح وتنضوى تحت لوائى أهديك وأطهرك وأنقذك من عذاب أليم ؟ ثم بعد ذلك استعين بقدرتك هذه الخارقة على توجيه الانسانية الى مافيه الخير للناس ؟

ابليس ـ ولكننى أنا القوى ، ولا تنس أن الغلبة لى دائما ٠
كيوبيد ـ دائما ؟ ٠٠
ابليس ـ قل فى أكثر الأحيان ٠٠
كيوبيد ـ ان الغلبة لى أنا أيها المجنون ٠٠ انها دائما للخير الذى اليه المصير ٠
ابليس ـ لوكان الحق فيما تقول ، لما بعث بى الى الأرض ، ولما مكن لى فيها ٠
كيوبيد ـ انك دائما فى ضلال مبين ٠٠ ان الغلبة لى أنا ٠٠ والبقاء لى أنا ٠٠ والخلود لى أنا ٠٠ ألم تسمع قول الله ٠٠
ابليس ـ « فزعا جدا » ٠٠ اننا هنا نتكلم فى الأرض ، فأى شأن لنا بما أنزلت السماء ٠٠
كيوبيد ـ دائما يفزعك الحق ٠٠
ابليس ـ كما تفزعك أنت الحقائق ٠٠
كيوبيد ـ أى الحقائق تفزعنى ؟
ابليس ـ اننى مثلا ، أشد منك قوة ٠
كيوبيد ـ أنت كاذب ٠٠
ابليس ـ أتريد أن تعرف ؟
كيوبيد ـ أعرف ماذا ؟
ابليس ـ أينا أشد قوة من صاحبه ؟
كيوبيد ـ لست بصاحبك ٠٠
ابليس ـ « ضاحكا » ٠٠ أينا أشد قوة من الآخر ؟
كيوبيد ـ أجل ٠٠ أريد أن أعرف ٠
ابليس ـ أتراهننى ؟
كيوبيد ـ على ماذا ؟
ابليس ـ أينا تكون الغلبة له ينضوى الآخر تحت لوائه ٠
كيوبيد ـ « فى وثوق » ٠٠ قبلت الرهان ٠٠
« ينظر ابليس فيرى الشاب والفتاة مقبلين على الربوة يتهاديان فى خطى وئيدة ٠ ويتحدثان حديث الهوى فى حياء وصفاء وطهر ٠٠ »
ابليس ـ « وهو يشير اليهما » ٠٠ أترى هذا الذكر وهذه الأنثى ؟ ٠٠
كيوبيد ـ بل وأعرفهما ومن أجلهما جئت لأبارك حبهما

لطاهر الخالد ..
ابليس ـ « مبتسما » .. أى حب ؟
كيوبيد ـ هذا الذى ينبعث نوره ظلاما في عينيك .
ابليس ـ اذا تراهنا عليهما . ترى لمن تكون الغلبة ؟
كيوبيد ـ لى أنا . .
ابليس ـ تعنى للروح ؟
كيوبيد ـ أجل للروح ..
ابليس ـ وأقول أنا أنها للجسد .
كيوبيد ـ أى جسد تعنى ؟
ابليس ـ الذى هو دائما هدف كل محب ..
كيوبيد ـ قلت انك تهذى ..
ابليس ـ اننى أجد ..
كيوبيد ـ اذا كان الجد فيما تقول أيها الشقى حطمت سهامى وألقيت بها فى هذا النهر ..
ابليس ـ وقضيت حياتك خادما لى ؟
كيوبيد ـ وقضيت حياتى خادما لك .
ابليس ـ اتفقنا ..
كيوبيد ـ واذا كانت الغلبة لى ؟
ابليس ـ كنت أنا الخادم المخلص الأمين .
كيوبيد ـ قبلت هذا الرهان . .
« يقبل الشاب والفتاة على الربوة ويجلسان اليها فى بشر وفرحة كبيرة » ..
ابليس ـ أيهما تختار .. الذكر أم الأنثى ؟
كيوبيد ـ لم أفهم ..
ابليس ـ اذا اخترت أنت الذكر اخترت أنا الأنثى .
كيوبيد ـ لك ماتريد ..
ابليس ـ هذا فضل كبير منك .. لى الأنثى .
« وقبل أن يرتد الى البلبل طرفه كان الغراب قد تحول الى ذرة سوداء تطايرت مع الريح واستقرت على جسد الفتاة .ومان رأى البلبل ذلك حتى تحول هو الآخر الى نفحة من العطر الشذى ، ومن ثم تسللت مع الهواء الى قلب الفتى واستقرت فيه .. »

الشاب ـ « وهو يمسك بيد الفتاة فى حنان ويجلسها بجانبه الى الربوة » •• اننى سأحفظ لك هذا الوفاء ••

الفتاة ـ « وهى تنظر الى كتفيه العريضتين » •• أى وفاء تعنى ؟ ••

الشاب ـ « طروبا » •• هذا الذى تحملينه فى قلبك ، هذا الذى جعلك تبرين بالوعد •• وتفين بالعهد ••

الفتاة ـ « وهى تدلى بساقها فى الماء » •• صدقنى اذا قلت لك اننى لم أجىء من أجلك •

الشاب ـ « مضطربا » •• من أجل من اذن ؟

الفتاة ـ من أجلى أنا ••

الشاب ـ من أجلك أنت ؟ ••

الفتاة ـ أغالط نفسى اذا قلت غير ذلك ••

الشاب ـ « مضطربا » •• لم أفهم •

الفتاة ـ «وهى تنظر الى ساقها فى الماء » •• يجب أن تفهم •

الشاب ـ أفهم ماذا ؟ ••

الفتاة ـ « فى أنوثة » •• أننى أحبك ••

الشاب ـ « مبتهجا » •• أتحبيننى حقا ؟ ••

الفتاة ـ « وهى تعبث بطرف ثوبه » •• أفى حاجة أنت الى دليل ؟ ••

الشاب ـ ليطمئن قلبى ••

الفتاة ـ هذا الوعد الذى بررت به •

الشاب ـ وكيف اذن تقولين أنه من أجلك أنت وليس من أجلى أنا ؟ ••

الفتاة ـ « فى اغراء تحسر الثوب عن ساقها التى فى الماء فتبدو فخذها عارية » •• أجل •• من أجلى ، ألم تفهم ؟

الشاب ـ لم أفهم ••

الفتاة ـ « تزنو اليه مسبلة الهدب » •• أتريد أن أتهمك بالغباء ؟ ••

الشاب ـ أريد أن أعرف ••

الفتاة ـ تعرف ماذا ؟ ••

الشاب ـ كيف جئت من أجل نفسك ؟ ••

الفتاة ـ « مضطربة الأنفاس تتحسس شعره بأناملها » ••

لأنني أحبــك ياغبى ·· لأنني أريدك ·· لأنني أهواك ··
لأنني ·· « تطرق متكسة الهدب » ··

الشاب ــ « طروبا جدا » ·· أنا الذى أحبك ·· أنا الذى أهواك ·· أنا الذى أغبدك « يصمت ليسترد أنفاسه » ··

الفتاة ــ « فى صوت ملتهب لايكاد يبين » ·· ولماذا لاتقول أنك تريدنى ؟ ··

الشاب ــ أريد الحياة من أجلك ··

الفتاة ــ « تعبث بأناملها فى شعره » ·· من أجلى أنا ؟

الشاب ــ « متدفقا » ·· أجل ·· أجل ··

الفتاة ــ لماذا ؟ ··

الشاب ــ لأننى أحبك ··

الفتاة ــ « وقد مدت ساقها الثانية الى الماء » ·· أحقا أنت تحبنى ؟ ··

الشاب ــ كما أحب الله الذى خلقك · كما أحب قلبى الذى عبدك · كما أحب دنياى التى تعيشين فيها ·

الفتاة ــ « وهى تلقى بذراعيها على كتفيه » ما الذى تحبه فى؟

الشاب ــ أحب فيك هذه العيون التى تشع النور فى قلبى أحب هذا الصوت الذى يسكرنى · أحب هذا الطهر الذىيتألق نورا فى جسدك · أحب فيك هذا الجمال الذى جعله الله آيته الــكبرى ··

الفتاة ــ « لاهثةتدنى وجهها منوجهه » ·· دعهذاالخيال ·· أسمعنى الحقيقة ··

الشاب ــ « وهو يغضى حياء من فخذها العــــارية » ·· أى حقيقة ؟ ··

الفتاة ــ حقيقة الحب ··

الشاب ــ أنها فى هذا الذى حدثتك عنه ··

الفتاة ــ « فى اغراء مثير » ·· وفى ماذا أيضا ؟

الشاب ــ فى هذا الجمال الذى يحيط بنا ··

الفتاة ــ وفى ماذا ؟

الشاب ــ فى هذه الطبيعة التى ترعانا ··

الفتاة ــ وفى ماذا ؟

الشاب ــ فى هذه الصفصافة التى أرخت شعورها علينـا

لتظللنا ..

الفتاة ـ وفى ماذا ؟

الشاب ـ فى هذا البحر الذى تصدح موسيقاه عند أقدامنا .

الفتاة ـ وفى ماذا ؟

الشاب ـ فى هذا الطهر الذى يلفنا بكسائه الوردى ..

الفتاة ـ « وهى تعبث فى شعره وتلقى برأسها على كتفه » .. قلت لك دع حديث الخيال ..

الشاب ـ أى خيال ؟

الفتاة ـ هذا الذى تتحدث عنه . هذا الذى يتخذه كل عاشق ستارا يخفى خلفه الحقيقة ..

الشاب ـ أى حقيقة تعنين ؟

الفتاة ـ حقيقة الحب . .

الشاب ـ وهل هى فى غير ذلك ؟ ..

الفتاة ـ أجل ..

الشاب ـ فى ماذا اذن ؟

الفتاة ـ « لاهثة الأنفاس » .. فى أن يحب كلانا نفسه ..

الشاب ـ تعنين أن يحب كلانا الآخر ؟

الفتاة ـ لاتضايقنى بهذا الغباء .. قلت أن يحب كلانا نفسه ..

الشاب ـ لم أفهم ؟ . .

الفتاة ـ يعيش الرجل دائما ولا يفهم ..

« تقترب منه وتدنى صدرها من صدره » .. اصغ الى ياطفلى العزيز . كل من فى الوجود يحب نفسه ويريد أن يحقق لها ماتريد . هذه تحب المال . وهذه تحب الحياة . وهذه تحب القوة . وتلك تحب الرجل أو تحب المرأة . وهذا مايسمونه الحب . وهو لا يخرج فى نطاق واقعيته عن شىء واحد .

الشاب ـ « مضطربا » .. ماهو ؟

الفتاة ـ « فى أنوثة مثيرة » .. أتريد أن تعرف ؟ ..

الشاب ـ أجل ..

الفتاة ـ وكيف لم تعرف ؟ ..

الشاب ـ « وقد زاد اضطرابه » .. أعرف ماذا ؟ ..

الفتاة ـ « مرتمية فى أحضانه » . . الحب ياغبى ..

الشاب ـ « خائفا » •• أهو فى غير ماحدثتك ؟ ••
الفتاة ـ « ناظرة اليه » •• ألم تذق بعد طعم جناه ؟ ••
الشاب ـ « وقد تصبب عرقا » •• لم أذق غير هذا العطر الذى يتضوع الآن من عينيك ••
الفتاة ـ « هائمة » •• بل قل النار التى تحرقنى •
الشاب ـ « ذاهلا » النار التى تحرقك ؟ ••
الفتاة ـ « تلوذ بأحضانه » •• أجل النار التى تحرقنى ••
الشاب ـ مم ؟ ••
الفتاة ـ « مطوقة عنقه بذراعيها » •• من هذا السحر الذى يضمخ شفتيك ، من هذا الساعد الذى يعرف كيف يهصر العود • من هذا الصدر الذى يعرف كيف يحمى كل من يلوذ به •• من هذا الثقاب الذى يشعل الجذوة ••
الشاب ـ «مضطربا ينظر الى صدرها الذى يعلو ويهبط » •• ولكن السماء ترقبنا ••
الفتاة ـ ولكن الدنيا تدعونا ••
الشاب ـ « يتصبب عرقا » ولكن الله من فوق الحياة ينهانا •
« تنتفض فجأة الفتاة ، ويقف الشاب مذعورا ، فتسرع الفتاة باللحاق به • وتتعلق بأذياله • فتزل قدمها فجأة وتسقط فى الماء • فيرتاع الشاب ويهم بأن يلقى بنفسه خلفها لينقذها •• بيد أن صوتا رقيقا ينبعث من خلفه » ••
الصوت ـ دعها ••
الشاب ـ « مرتاعا ينظر اليها فى الماء » •• انها ستموت •
الصوت ـ انها ستطهر ••
الشاب ـ « وهو يتلفت حوله فلم ير أحدا » •• من الذى يحدثنى ؟ ••
الصوت ـ أنا ••
الشاب ـ أنت من ؟ ••
الصوت ـ أنا الحب ••



كان الضباب لا يزال مكتنفا القرية ، حاجبا عيونها بأسجافه الداكنة ، حينما تسلل منها حاملا على ظهره سفطه الملىء بحزم الفجل وربط الجرجير ليغسلها فى النهر ويذوب ما علق بهـا من طين فى الماء حتى اذا ما قدمها الى زبائنه فى المدينة قدمهـا نظيفة غير ملوثة ..

وكان يسير على عادته فرحا مبتهجا بطلعة الشمس التى اعتاد أن يحتفل بطلعتها وهو ينظف بضاعته فى النهر كل صباح .. غير أنه قبل أن يبلغ الشاطىء وقف هنيهة وحول نظره ناحية الشمال فتراءى له حقل القصب المتاخم للشاطىء .. واستطاع أن يتبين [illegible] الصغير المقام على رأسه والذى لاح له وسـط الضباب الكثيف كنقطة ضالة فى تيه غير محدود ..

ولكنه [illegible] قد نظر اليه وحدق فيه حتى خيل اليه أنه يراه .. ويراه واضحا جليا وان نظراته قد لفت جوانبه ثم امتدت الى داخله [illegible] تلك النائمة فى احضان أمها العجوز تحلم به كما قضى هو ليلة معها فى حلم جميل يناغيها وتناغيه .. وتنظر اليه فيمشى [illegible] اليها فترد الطرف خجله متوردة ..

ووقف [illegible] حينا ثم لما استمتع برؤيتها واطمأن عليهـا جمع خيوط نظراته وشدها فى رفق من على جسدها المستلقى ثم مر على الخص القصب التى بنى منها الخص وعاود سيره نحو الشاطىء مبتسما مسرورا مرددا فى همس اغانيه الريفية الجميلة التى اشتهر بها فى القرية وكانت سببا فى رواج بضاعته فى المدينة ..

وما أن بلغ الموردة حتى كان قد شمر عن ساعديه وجمع أطراف ثوبه البالى الممزق وحزمها فى خصريه ثم اندفع الى الماء دافعا أمامه سفطه الثقيل الذى راح يعمل فيه بيديه وهو أقوى ما يكون أحلاما .. وأحلى ما يكون سعادة خالصة لا ينقصها الا وجود الحبيب الذى راح يتساءل عنه مغنيا مرددا ..

صبح الصباح يا جميل وأنا على الموردة بدرى
كل البـــدورة بتورد وخـلى لم ورد بـــدرى

غير أنه لم يكد يبدأ اعادة الأغنية حتى سمع صوتا رقيقا

خفيفا ينبعث فجأة من خلفه اهتز له كيانه وارتعش منه السفط الذى بين يديه ..

ـ صباح الخير يا نوفل ! ..

ـ صباح الخير يا خضرة !! ..

ومد يده مسرعا وتنـاول الجرة من على رأسـها وهو يقول مغتبطا :

ـ ما كنت أظنك تستيقظين هكذا مبكرة ! ..

فقالت وهى تتناول طرف ثوبها الأزرق الفضفاض وتدسه فى تكتها .. فبدى سروالها الأحمر الفاقع الذى تدلت أطارفه ذات الكرانيش المنتفخة المعششـة على سـاقين راحت تداعب أضواؤهما بياض الخلخال الفضى اللامع الذى نام مستسلما بين الساق والقدم :

ـ أيقظنى غناؤك فجئت مسرعة لأراك وأعاونك كما اتفقنا .

ثم اندفعت معه الى المـاء وأخذا يعملان معا فى تنظيف الفجل .. وهما يضحكان ويلعبان حينا .. ثم يتذكران أحيانا أيامهما السوالف وفضل هذه المورده التى جمعت بينهما ... فقد كانت تأتى اليها كل صباح لتملأ الجرة .. وكان يأتى مبكرا ليغسل الفجل .. وكانت تطرب لغنائه كما كان يطرب لطلعتها ..

وظلا كذلك أياما كان الحب يرقبهما فيها عن كثب . ويتبعهما فى كل مرحلة .. حتى اطمأن الى نقاء سريرته وطهارة نفسها .. ورآهما جديرين بهبته الغالية .. فتقدم منها خلسة وغرس فى قلبها زهرته الطاهرة التى أخذت هى على عاتقها تغذيتها كما أخذ هو على عاتقه سقياها .. ولما نمت مع الأيام واللقاء عند النهر الزهرة التى غرسها الحب ورعاها الود وتعهدتها الشمس بالابتسام كل صباح عند المورده .. لما نمت وطاب قطافها اتفقا على الزواج ..

بيد أنهما انتظرا حتى يذلل العقبة الكأداء التى اعترضت سبيلهما .. وهى الحصول على الجنيهين الباقيين على قيمة الصداق الذى اتفقا عليه .. والذى بسببه كاد الدم يتفجر من قدميه من كثرة تجواله النهار وأغلب الليل فى الأزقة والطرقات ينادى على بضاعته كما كادت عيدان الحطب تأتى على أطرافهـا

وهى تجنى منها القطن للناس بأجر قليل تعطى أمها أغلبهـا وتختلس أقله وهو الذى يمكنها اختلاسه لتساهم بنصيبها فى جمع هذا الصداق الذى اتفقا على أن يكون كبيرا ضخما لا يقل عن خمسة جنيهات .. حتى ترضى به الأم العجوز المتكالبة على الدنيا .. والتى رغم اشرافها على الثمانين أبت الا أن تظـل حارسة مزرعة القصب التى استأجرها حديثا المعلم حميدو الجزار ذلك الثرى السمج الذى هاجر من الاسكندرية الى القرية مع من هاجر اليها وأقام فيها .. والذى بهره جمال خضرة وفتنه اشراق وجهها الصبوح وعودها الفارع فراح يتودد اليها محاولا اغرائها بشتى العروض وشراء قلبها ببعض المال الذى يملكه لولا أنها أعرضت عنه واحتقرته مفهمة اياه بلغة الصمت البليغ أن قلب المرأة غير قلب البقرة التى يشتريها بالمال ويعرض لحمها على الناس فى الاسواق .

جالت برأسها هذه الخواطر . وهمـا فى الماء ينظفان الفجل ويحدقان فى بعضهما وهو يبتسم لها فتنتشى وتثنى عينيهاعنه فى دلال ساذج جميل . ثم تعود فتردهما اليه ضاحكة فتتقـد جذوة الحب فى قلبه وتلمع عيناه وتلتهب عواطفـه التى لايعرف التعبير عنها الا بالغناء . وهمأن يرسل حنجرتهفىالفضاءالعريض ليعبر عن سعادته الخاصة .

بيد أن شيئا عارضا مسه فجأة وسرىفىجسدهفخدره وأرعش فرائصه وجعله يهذى بكلمات لايسمع منها شيئا . ذلك انقدمها التقى بقدمه فى الماء فضغط عليه فى حنو ومن غير أن يقصـد والا لما فعل تلك الفعلة التى رنحتـه هو الآخر . ولما أحست بتخدر قدمها ردته اليها فى رفق وهى خجلة تنظر اليه . وهـو مأخوذ ينظر اليها . ثم انقضت لحظة صمت هائلة سكن فيهاحتى الموج الثرثار ثم قطفا أثرها أول قبلة فى تاريخ حبهما الخالد :

وكان تأثير القبلة قويا على نفسيهما اللتين غابتا خلف ظلال النشوة التى اكتنفت الجسد الظامىء . كانت قبلة قلبه الذى قفز كالعصفور الى ثغره واقتطفها خلسة فانتشت منها عواطفهاوذابت فى رضابها ثم انسكبت من ثغرها بين شفتيه وانسابت الىالياف قلبه تذكى الجمرة المتقدة فيه . كما انساب رنينهـا الى النهر فهدهد صفحته ورنح أمواجه حتى غدت تسبح سـكرى تحت

أقدامها توقع لهما فى همس أعذب الحان الصفاء ٠

وتضاعفت نشوته مرة أخرى فلمعت عيناه وتصلب ساعده المفتول على خصرها المروض الواهن وهمهمت شـــفتاه وهم أن يقطف الثانية وهو مغمض العينين حتى لايرده جفنها المريض المستلقى ٠ أو يثنيه خدها الاثيل الملتهب ـ ولكنها وفى نشـــوة ذاهلة خلصت شفتيها من نغرة وتمتمت وهى ترنو اليه وتنثنى عنه :

ـ نوفل ! !

ثم انصرفت تحمل جرتها وانصرف يحمل سفطه ٠

وانقضى اليوم صافيا حلوا كما طلع صبحه عليها مشرقا بساما ٠ ولما أقبل المساء عادت خضرة من الحقل الذى كانت تعمل فيـــه فرحة مستبشرة كعادتها ٠ من يوم أن رأت نوفل وأحبتـــه ٠ ولكنها لم تجد أمها فى الخص ولا هى فى الحقل ولاهى أيضا على جسر القناة تسقى شاتها ٠ ولما سألت عنها عرفت أنها فى القرية وانها تنتظرها هناك عند خالها الشيخ سيد فقيه الجامع ٠

واستغربت خضرة لهذه الزيارة التى جعلت أمها تذهب الى دار شقيقها الشيخ سيد رغم الجفوة التى بينهما والتى قطعت أسباب الصلة بين الشقيق وشقيقته من زمن بعيد ٠ ولـكنها مع ذلك راحت تنقل الخطى نقلا الى القرية حتى أشرفت عليها وطالعتهـا دار خالها التى رأتها مزدانة تغص ساعتها بجمع من علية القوم فى القرية يتوسطه العمدة والمعلم حميدو الجزار ٠

وما أن رأت ذلك حتى ارتدت مأخوذة مشدوهة وقد ساورتها فكرة خبيثة كاد قلبها ينهلع من مجرد التفكير فى صحتها ٠ ولم تلبث كذلك الا لحظات سمعت أثرها الزغاريد تتصاعد مدوية من بيت خالها ، ثم رأت الناس تنصرف وهى تشد على يد المعـــلم حميدو مهنئة مباركة فارتاعت وهمت أن ترتد لتنفى عن خاطرها تلك الحقيقة المرة التى شاهدتها عيناها ٠

ولكن ابنة خالها وردة كانت قد أسرعت اليها واحتضنتها ثم قبلتها قائلة :

ـ مبروك عريسك ياخضرة ٠

وجحظت عيناها وحملقت فى محدثتها وتمتمت :

عريسى !! أنا ٠٠ من ؟ ٠٠

ـ المعلم حميدو ٠٠

وضحكت وردة واستطردت :
ـ على سن ورمح !
وهوى رأسها المحموم على صدرها الخافق المضطرب ومن ثم عادت سيرها نحو الخص تحدق فى قدميها ولأنها تحسب انتقالهما أو تعد قطرات الدموع المتساقطه عليها قطرة قطرة • ولما بلغته انزوت فى ركنه المظلم محاولة تجفيف عبراتها المنسابة حتى لاتلحظ أمها عليها شيئا •
ولكنها لو استطاعت ذلك وتمكنت من تجفيف دموعها أو تحويلها الى قلبها المنتحب فما هى بقادرة على استرداد عواطفها التى تبلدت ! واعادة احساسها الذى تجمد أو اصلاح تفكيرها الذى دهمه الخطب فحطمه تحطيما •
ولذلك قضت الليل لم تر شيئا وان كانت قد رأت أشياء • ولم تسمع شيئا وان كانت قد سمعت أحاديث غير ان الذى تبينته من ذلك كله وعرفته هو أن العقد والدخلة بعد ثلاثة أيام • وان أمها فرحة بذلك حتى ليكاد الفرح يتفجر ضحكا من عينيها •
ولما أقبل الصباح استيقظت لا من نومها، لانها لم تنم ولكن من ذهولها لأنها قضته ذاهلة وتناولت جرتها وغدت تركض الى الموردة تنتظر نوفل الذى ضايقها أنه لم يسع اليها فى الليل ليسألها خبر هذا الخطب وتسأله خبر هذه النازلة • ولكنه لم يجىء أيضا فى الصباح ولا حتى ليغسل الفجل •• ولكن أين هو؟ ترى هل غادر القرية ؟ • أم هل ألقى بنفسه الى أليم ؟ • أم هل تراه قد فدحه الخطب وأفلج تفكيره النبأ فطوح بجسده تحت عجلات (الوابور) السريع الذى يمر على المدينة كالبرق والذى حدثها مرات عن اعجابه بسرعته الخارقة ؟!
وانسكبت دموعها غزيرة مريرة على خديها • وزاد انسكابها انها لما التقت فى طريقها برمانة ابنة صاحب مزرعة الفجل وسألتها عن نوفل أخبرتها أنه لم يأت البارحة كعادته ولا اليوم ليأخذ بضاعته ••
وانقضت الأيام الثلاثة المحددة للعقد والزفاف •• قضاها أهل القرية جميعا يترقبون ساعاتها بصبر نافذ وعيون متشوقة لطلعة هذا العرس الذى سيفيض منه الخير على القرية ويعم حتى الدساكر المجاورة •• وقضاها المعلم حميدو منهمكا فى الاستعداد

لعرسه الذى أبى الا أن يكون غرة أعراس الموســـم فى القرى وقضتها خضرة تبحث بلا جدوى عن نوفل ٠
وأقبل المساء المشئوم الذىازدانتفيهالقرية بالاعلاموالبنود٠ ولبست فيه أبهى حلة خلعها عليها عريس فى عمرها ٠ولميبق سوى ساعات قلائل تذهب أثرها خضرة الى بيت خالها الذى اتفق على أن تزف منه (بالمزيكة) الىبيت العريس ٠ ولكنوقبل أن تنقضى هذه الساعات بدقائق ، وبدقائقفقط شاء القدر الاأن يبرز نوفل من ثنايا العدم وان تلتفت خضرة فجأة وهى جالسة بجانب الخص تبكى فترى نفسها وجها لوجه أمام نوفل الذى ماان رآها حتى ارتمى على صدرها باكيا منتحبا كالطفل ملتجئا الى أحضان أمه ٠٠

ومدت يدها الحزينة وكفكفت عبراته المنسابة وتمتمت :
ـ أين كنت ؟ وأين قضيت تلك الأيام الثلاثة السود ؟ ٠٠ قل ! تكلم :
فنظر الى عينيها وابتســـم من فرط مايعانى من حسرة ٠٠ وأردف ٠٠
ـ كان قد استأجرنى أحد زبائنى فى المدينة لانقل له حطبا من ضيعته الى داره فى نظير أجر فرحت به فرحا لايقــــدر لأنه المكمل للجنيهين الباقيين على ٠٠ على ٠٠ على ٠٠
وانطلقت عبراته مرة ثانية فحالت بينه وبين اتمام الحـــديث وهمت أن تنحنى عليه وتأخذه بين أحضـــانها وتجفف دموعه المسترسلة لكنها لمحت أمها مقبلة عليها مع بعض النساء فبرقت عيناها وتصلبت أساريرها ونظرت اليه ثم انقضت على كتفيه بيديها وراحت تهزها هزا عنيفا متواصلا وهى تسر اليه ببعض الكلمات ، ومن ثم تركته وانطلقت الى أمها فرحة مرحة تضحك وتدل وتخب فى سيرها ٠٠
وفى الليل وفى حين كانت الزغاريد تنطلق مدوية تشق عنان السماء وأضواء (الكلوبات) تنير مدخل القرية وبيت العريس وتخلع عليها ثوبا كأنه قد قد من جسد الشمس ، وحين كانت (المزيكة) تعزف وتختلط أنغامها بأصوات الصحافالتى تنتظم على الموائد المصفوفة ٠٠ فى حين ذلك كله كانت امرأة على سطح

أحد منازل القرية تخلع عن جسدها ثوبا حريريا هفهافا وتلقى به جانبا وترتدى غيره رثا ممزقا قد عراه البـلى ، ثم انطلقت تقفز فى سرعة جنونية على أسطح القرية سطحا سطحا ، حتى أشرفت على كومة عالية من القش ، وما أن ألقت بنفسها عليهـا حتى تلقاها رجل كان ينتظرها ومن ثم حملهاعلى صدره وتوارى خلف أسجاف الظلام ٠

***

وبينما كان حادث الاختفاء والثوب الحريرى الملقى على السطح حديث أهل القرية ومثار دهشتهم ٠٠ كانت امرأة تتجول فى قرية نائية تحمل على رأسها سفطا كبيراوبجانبها رجل ترنواليه وتبتسم كلما أرسل حنجرته فى الفضاء العريض وتردد مغنية:
« صلاة النبى عليك يازرع البدارى ياريان يافجل » ٠





قرأت يوما أن كل مافي الحياة أخذ وعطاء فلم أصدق ، لأنني قضيت حياتي أخذ دائما ولا أعطي شيئا ، وماذا تعطيه الزهرة المتفتحه ، وأريجها العطرة حقيقة قد تغري هذه الرائحة الجميلة بعض الأيدي العابثة أن تمتد اليها .. ولكن ثقي ان دون ذلك أهوالا وأهوالا ، ومن فضـــل الله أنه لم يلق في طريقي بذلك الشاب الذي يحتمل هذا المركب الصعب . وظللت كذلك الى أن التقيت بك في صيف العام الماضي على الشاطيء ، وكان هو الصيف الأول والأخير الذي قضيناه في الاسكندريه كمايقضيه أصحاب اليسار وأهل الثراء . حيث دعتنا عمتي العجوز الثرية الى أن ننزل ضيوفا عليها في الصيف ، ونقضي سحابة اليوم في كابينها الجميل على الشاطيء ، نستمتع حينا بهواء البحر العليل ، وحينا بزرقته الصافية ، وحينا آخر بفن الترثرة التي تجيده عمتي اجادة تامة ، كما تجيد صنع الشاي الأخضر الممزوج بالنعناع .

وكانت اول مرة رأيتك فيها وانت تشقين البحر ، وتخرجين من الماء كعرائس الأساطير . عارية الا من ذلك المايوه الاحمر ، الذي ضغط على خصرك وردفيك في حنان مثير ، ولا أكتمك انني شعرت وقتها بشيء من الغيرة يدب الى قلبي وتمنيت لو أن تلك العيون التي كانت ترسل سهامها الى جســـدك الجميل فتكاد تخترقه ، انما تسدده الى جســـدي أنا وتعبث به ذلك العبث اللذيذ الذي لاتستشعر لذته الا كل فتاة جميلة ، وكنت وقتها أسير بجانب اخي فؤاد فالتفت اليه فاذا بنظراته الســـاهمة الواجمة الحزينة تتحسس جسدك وتتلمس خطاك وتتبعك في حرص شديد . فقلت له على الفور ضاحكة .

ـ حلوة يافؤاد ..

وهم أن يقول لي شيئا ولكنك كنت قد دخلت الكابين وحرمت العيون من تلك المتعة الغالية . وكم كانت دهشتي أنا وفؤاد عندما دخلت الكابين المجاور لكابين عمتي تماما . ولعل أكثرنا دهشة كان فؤاد ، فقد ظلت نظراته الساهمة الواجمة الحزينة ترقب الكابين ، كأنها ترى رؤيا العين مابداخله . حتى بلغنـا عمتي وكانت جالسة أمام الكابين وحيتك عند دخولك ، فسألها

فؤاد متخابثا عنك ، فراحت تقص عليه قصة طويلة لم نفهم منها شيئا ، وهذه هى طريقتها فى أحاديثها ، ثم انقضى النهار وانقضى بعده الليل أيضا ، وعدنا فى اليوم الثانى الى الكابين ونظرات فؤاد الساهمة الواجمة الحزينة لم تتحول عن الكابين التى تجاور كابين عمتى ٠٠ وأنا أحب فؤاد ولا أعرف أن شـــقيقة أحبت شقيقها مثلما أحبه أنا ٠ وكنت قد سمعت أن الحب القـــديم لاينتزعه من القلب الا حب جديد ٠ وكان فؤاد قد أحب ولـكنه لم يوفق فى حبه ٠ وانما فشل فشلا ذريعا كاد يقضى عليه لولا رحمة من الله ، لذلك سرنى جدا أن أرى تلك النظرات الساهمة تتجه اليك أنت ٠

كان بودى ألا أذكر لك شيئا عن هذا كله ، لأن مجرد الذكرى تثير الشجن ، وتوقظ الماضى النائم هناك فى محراب النسـيان يستمد بقاءه من الصمت ، ولكن هل نستطيع ؟ هل نستطيع أن ننسى الماضى ، ان نهرب منه ؟ ان حاضرنا يعيش عليه ، يستمد وجوده منه ٠ فكيف ننساه ٠

قلت لك أننى قد سمعت أن الحب القديم لاينتزعه من القلب الا حب جديد ، ولذلك وضعت بيدى غرس ذلك الحب فى قلب فؤاد ٠٠ كنت أحدثه عنك كثيرا ، وكان هو يطرب لهذا الحديث، وكنت أنا فرحة بذلك راضية عنه ٠

انك تذكرين ولا شك أول لقاء لنا على البلاج ، وكيف كان ٠ كنت أنت فى قلب الماء ٠ وكنت أنا وفؤاد نستحم أيضا ،وفجأة ثارت الطبيعة فانقلب الجو وهاج البحر وأرغى وأزبد ، وراحت أمواجه المتلاطمة يركض بعضها خلف بعض فى خوف واضطراب ، كما يركض قطيع من الشياة يطارده فارس مغوار ٠ وبينما نحن جميعا نخرج من البحر خوفا من العاصفة ، اذا بنا نسمع صوت استغاثة ينبعث من مكان بعيد ٠ وكأن قلب العجب دليله كمـا يقولون ٠

فقد ذعر فؤاد ذعرا شديدا وراح يتلفت حواليه كالمجنون ٠ وفجأة كر راجعا الى الموج الصاخب يصارعه حينا فيصرعه مرات ٠ الى أن غاب عن أعيننا التى راحت تبحث عنه هلعة جزعة خائفة٠ ولكنه لم يمكث غير بعيد حتى خرج من البحر يحمل صيدا جميلا على كتفه ٠ وكان الصيد هو أنت ٠ ذات الرداء الأحمر وكنت

فاقدة الرشد من فرط ماصارعك الموج ، وجاهدك البحر ، ثم ألقى بك على المقعد الوثير فى قلب الكابين حيث كانت تجلس عمتى التى أسعفتك سريعا وبمهارة فائقة فتحت عينيك ووجدت فؤاد أمامك مازال مضطربا شاحب الوجه لا أعياء ولكن خوفا عليك • ومددت له يدك شاكرةهذا الفضل حافظة له هذاالجميل فكانت فرحته حينئذ لاتقدر وسعادته لاتوصف •

من هذا اليوم توطدتعلاقتناجميعا • وباركتها انت بأنقبلت دعوتى اليك فى اليوم الثانىعلى قدح من الشاى الأخضرالممزوج بالنعناع الذى تجيد عمتى صنعه حقيقة • وكم كنت أناسعيدة بهذا اليوم فرحه به الفرح كله • لأنه كان أول يوم توطدتفيه صداقتنا حقيقة وأول يوم أيضا فارقت فيه فؤاد تلك النظرة الساهمة الواجمة الحزينة • وأول يوم بعد ذلك كله ظهرنا فيه على الشاطىء معا • ورحنا نسير جنبا الى جنب • نتيه حنينـــا بجمالنا المرموق • وندل حينا بقوامنا الرشيق • ونسخرأحيانا من تلك النظرات المعربدة التى كانت تجردنا من ثيابنا وتروح فى نزق وطيش تعبث بكل القيم •

ثم شعرت بعد ذلك بسعادة أخرى ، عندما لبت عمتى دعوتك لنا على الشاى فى دارك وهمست أنت فى أذنى عند انصرافك مؤكدة فى أن يصحبنا فؤاد فى تلك الزيارة الى دارك • ولو أنك كنت تحبين شقيقك محسن كما أحب أنا فؤاد اذن لعرفت معنى السعادة التى تغمر القلبوتفيض عليه عندما كنتأراكتستقبلين فؤاد فى دارك وتصافحينه فى حرارة وتردين على تحيته بأحسن منهـــا • ثم وهو يختلس النظر اليك من حين الى آخر • وكأنه يسر اليك شيئا وكأنك تسرين اليه أشياء فى غفلةمن عمتى التى كانت مسترسلة فى أحاديثهاالجمة حيناعن فائدة الشاى الاخضر الممزوج بالنعناع ، وحينا عن عصر شبابها الذهبى وليلةزفافها الخالدة التى لم يعكر صفوها سوى ضرب الاسطول الانجليزى للاسكندرية فى تلك الليلة ، من هـــذا اليوم اطمأن قلبى لأن العلاقة بينك وبين فؤاد كانت قد بدأت وبذلك انقشعت تلك الغيوم التى كانت تكتنف حياته أسفا علىحبهالقديم الذىمضى • وقد قلت لك أن الحب القديم لاينتزعه من القلب الا حب جديد • ولعلك تذكرين هيدى لامار فى روايتها الخالدة « أجنحة النسر »

التى حدثنا عنها كثيرا شقيقك محسن . ذلك الشـــاب الحيى الخجول . برغم فورة الرجولة التى تعتمل فى صدره ، وثورة الشباب التى تختفى خلف زرقة عينيه . أجل لعلك تذكرين تلك الروايه التى كانت تدور أحداثها حول حب قديم يريد الرجل أن ينتزعه من قلبه وتأبى الأقدار الا أن تبقيه . الى أن دخلت حياته امرأة جديدة فغرست فى قلبه زهرة حب جديد أينعت وازدهرت وترعرعت ولكن على أشلاء زهرة قديمة عصفت بها الريح ، أجل أنت تذكرين هذه الرواية ولاشك وتذكرين أيضا ليلة ان شاهدناها ـ أنا وانت وفؤاد ـ وكيف كانت فرحتى فى تلك الليلة عندما دخلنا مقصورة السينما وأشرت أنت على بالجلوس فى المقعـــد الامامى لا لشىء الا لأننى اذا جلست فى هذا المكان ، حتم وضع المقاعد الأخرى أن يكون مكانك بجانب فؤاد . وكم سرنى هذا .. ولكى أزيد فى غبطتى تركت لكما المقصورة بحجة الذهاب الى التواليت وكم كنت صادقة الظن عندما عدت فوجـــدت أن ماتوقعته قد حدث . ولعلك تذكرين كيف أننى كنت أضـحك وأضحك من قلبى عندما انتهى العرض وأضيئت الأنوار واقتربت من فؤاد وهمست فى أذنه قائلة :

ـ امسح الأحمر اللى على شفايفك ..

ثم انتهى الصيف . وجاء الشتاء وتفرقنا . ذهبت أنا وعمتى الى دمنهور . وذهبت أنت وأسرتك الى القاهرة ، وصدقينى اذا قلت لك أن الشتاء كان لايقل جمالا وروعة عن الصيف ، فقـد قضـــاه فؤاد فى القاهرة حيث دراســـته وانت وقضيته أنا فى دمنهور حيث تردد علينا محسن كثيرا جدا ، وكم كان كريما جدا عندما قضى فى آخر مرة زارنا ، أسبوعا كاملا فى ضيافتنا كم كان بودى أن أحدثك عن ذلك الأسبوع الذى قضيته مـع محسن فى دمنهور . ولكن هل أستطيع . لقد آمنت بعد ذلك أن السعادة تعرف ولاتعرف ، وان كتابها الخالد لايجيد قراءته الا السعيد فقط . لأنه هو الذى كتبه .. وهو الذى بوبه ورتب فصوله .. ثم سافر محسن بعد ذلك وبقى الكتاب بين أحضانى اقرأه اذا أمسيت . وأقرأه كما أقرأه فى اليقظة . الى أن جاء الخريف وليته ماجاء . لقد ذكرنى بالصيف وفرحته ، ثم بالشتاء وبهجته . ثم بعد ذلك كله بالحقيقة التى لامهرب لنا منها . كم

هى قاسية هذه الحقيقة عندما تسعى الينـــا وتجردنا من كل شىء الا ماهو كائن ..

لقد عرفت فجأة كيف أن النور الذى يضىء لنا الطريق ، هو نفسه النار التى تحرقنا ، وان التضحية التى قمت بهـــا على حساب حياتى نفسها . تلك الحياة التى قدمتها دون أن أدرى أو أحس قربانا على مذبح نظرة طائشة من تلكم النظرات التى تنطلق على الشاطىء فى الصيف معربدة باحثة عن كل جسد جميـــل لتعبث بما فيه . أبدا لم أكن أظن وأنا أمرح سعيدة هانئة على البلاج فى الصيف أن أول نقطة من الدماء التى ستخضب بهـــا الجريمة رمال الشاطىء هى التى سينزفها قلبى . أجل لم أكن أظن ذلك الا ليلة الأمس فقط عنـــدما همس فى أذنى الدكتور فؤاد كامل طبيب الأسرة ، بأن شيئا ما ينام بين أحشـــائى من شهرين .

ولما أبرقت الى محسن وأنا منهلعة الفؤاد واجفة القلب ولم يرد . ذهبت دون علمك . وكم هالنى فيــــه أن أراه ولأول مرة يزم شفتيه ويلويهما فى ازدراء ، تماما كما يكور الانسان شفتيه تقززا عندما يقع نظره فى الطريق على شىء كريه .. أنا أعرف أنه فى مقدورك أن تنقذى حياة ــ امرأة ــ قدر لها أن تسعدك فى يوم ما . لأنها على الأقل قدمت لك شابا كان أكرم من أن يلغ فى الدماء . وأعتقد انك أنبل من أن تفجعى فتاة فى شـــبابها ، وامرأة فى حياتها .. وأعتقـــد بعد ذلك كله أن محسن أرحم من أن ييتم جنينا لم تخلق عيونه بعد ليساعد بالدموع أما ترملت قبل أن يكون لها بعل ..

.. هل أنتظر أيتها الصديقة الكريمة .. أيتها الأخت العزيزة . أيتها الفتاة التى قدر لى أن أعرفها يوما .

والى يومنا هذا تنتظر العمة العجوز التى تجلس على الشاطىء فى الصيف تتحدث عن ضرب الأسطول الانجليزى للاسكندرية . وتضع الشاى الأخضر الممزوج بالنعناع ، وهى تضرب بعينيها الضيقتين فى العباب الأزرق البعيد . وكأنها تنتظر شيئا غاليا افتقدته فى البحر بين الأمواج .

●●●



الله أكبر .. الله أكبر ، ينبثق الفجر فى القرية فيرتفع صوت المؤذن مرددا هذا اللحن الجميل الساحر الذى يستيقظ عليه كل صباح خفير القرية النظامى ـ أبو المعاطي عجلان ـ الذى يكون قد تعب من طول السهر فيذهب قبيل الفجر الى الصفصافة الرابضة عند مدخل القرية ويحتضن بندقيته وينام بجانب جذعها الى أن تزقزق العصافير فوق رأسه فيستيقظ ، ثم يحمل بندقيته ويذهب الى الترعة فيغتسل ثم يجلس فى انتظار سكينة حتى تحضر لتملأ الجرة فيمتع نفسه بطلعتها وبحديثها العذب ، ثم ينصرف وهو أسعد مايكون بطلعة الصباح ..

غير أنه فى هذا الصباح انتظرها ولكنها لم تحضر مبكرة كالعادة فتوجس خيفة . فلما تعبت عيناه من كثرة التطلع أرسل صوته فى الفضاء متسائلا مرة أخرى :

صبح الصباح ياجميل وأنا على الموردة بدرى
كل البدورة يتورد وخلى لم ورد بدرى

بيد أنه لم يكد يتم الأغنية حتى سمع :

ـ صباح الخير ياأبو المعاطى .

ـ صباح الخير ياسكينة .ايه اللى أخرك النهارده ؟

ومد يده فتناول الجرة من فوق رأسها ، فلمح دمعة تجول فى عينيها فارتاع وقال :

ـ الله .. انت كنت بتعيطى ياسكينة ؟

وهوت سكينة وتكومت بجوار الجرة كأنها حزمة من القش ، وراحت تجهش فى حرقة ومرارة وأخذ أبو المعاطى يستطلعها أمرها ويروح عنها حتى هدأت شيئا ، ثم قالت والدموع تتساقط من عينيها .

ـ دول ح يجوزونى للسيد أبو حسن عربجى حنطور العمدة .

فامتقع وجه أبو المعاطى وقال مذهولا ..

ـ السيد أبو حسن ح يتجوزك انتى .. مين قال كده ؟!

ـ أمه جت لأمى ليلة البارح علشان كده ..

وأطرق أبو المعاطى الذى علت وجهه صفرة شاحبة كما أطرقت

سكينة وانشغلت بتجفيف دموعها • ثم رفعت رأسها الثقيل المحموم وقالت وهى ترتعش حزنا • •
ــ تق انهم لو جوزونى له فسوف أموت • أفهمت ؟
ولم يجب أبو المعاطى بل وقف مذهولا متصلب الوجه غير أنه بعد حين استطاع أن يسترد بعض أنفاسه وأن يجمع شتيتا من قواه المتناثرة ، ثم استدار ليقول لهاشيئاولكنه لم يجدهاالا على مرمى العين تسير لاهثة تحمل أحزانها فى قلبها وعلى رأسها جرتها فارغة لأنها نسيت أن تملأها فانصرف هو الآخر يكاد الشرر يتطاير من عينيه •
ان العقبه التى أمامه كأداء ليس من السهل أن يتخطاها لقد أوقعه القدر فى امرأة خطرة تزوجها • أوقعه فى (آمنة)شقيقة حضرة العمدة تلك المرأة الشريرة الدميمة المسنة التى تزوجته بعد ثلاثة رجال امتصت دماءهم ، ثم ألقت بهم خارج الدار كما يلقى الانسان بخرقة بالية فى الطريق •• وكان هو يعلم • • ويعلم أنها تكبره بخمسة وعشرين عاما • ولكنها أحبته وأظهرت له رغبة الزواج منه • ذلك الزواج الذىسيجعلهصهرا للعمدة • وسيجعل الخير يتهافت عليه ••
وكان يعرف أيضا أن ثمن هذا الخير سيكون باهظا • هو شبابه وحياته ودموعه ، وكان يعرف فى الوقت نفسه فداحة الثمن الذى سيدفعه فيما لو رفض الزواج من شقيقة حضرة العمدة • الذى لابد له أن يحاسبه على ذلك وسيكون الحساب عسيرا ان رفض فالعمدة قادر على أن يذل ويعز •
وهاهو قد أذعن فعلا وتزوج آمنة • ولكنه يحب سكينة •• ويحبها حبا لايعرف السبيل الى دفعه عنه أو التخلص منه • وهو لايستطيع أن يجهر بذلك • وهو أيضا لايستطيع أن يتزوجها لأنه ان فعل فسوف يذيقه العمدة مر العذاب • سوف يفصله من وظيفته وسوف يزج به فى أعماق السجون بعد أن يلفق له التهم تلفيقا ••
وكان قد بلغ القرية فلم يذهب الى بيته كالعادة وانما يمم وجهه شطر دكان الشيخ سيد ليبتاع ورقة دخان يروح بها عن نفسه ويشرب كوبة من الشاى الاسود يزيل بها بعض الهمالذى ران على قلبه • • فوجد بسيونى أبو دياب يجلس أمام الدكان

على ـ الكرويته ـ الخشب يكركر فى (الجوزة) ـ وهو يدندن كعادته ..

جوزة من الهند ومركب عليها غاب .
مدندشه بالدهب ومجمعة الاحباب .

وبسيونى أبو دياب من أهل قريته يخشاه الـكبير والصغير ويعمل له العمدة نفسه الف حساب فهو من الاشرار الخطرين على الأمن ، وحياة الانسان عنده كحياة دجاجة صغيرة ، وهو يفخر بذلك ..

وما أن رآه أبو المعاطى حتى انهال على يده وقبلها كالعـادة وجلس بجواره مهموما محزونامنهوكالأعصاب . فسأله بسيونى عن سر كآبته فأفضى اليه ملتاعا بحقيقة أمره . ثم غلب البكاء أبو المعاطى فبكى طويلا بين يديه وهويسأله أن يجد له مخرجا .

وفكر بسيونى أبودياب طويلا ، وطلب ـ كرسيا ـ من المعسل وضعه على الجوزة وراح على كركرتها يفكر ويتدبر الأمر :

وبعد صمت لم يشبه سوى كركرة الجوزة قال بسيونى .

ـ أحسن حل انك تتخلص من آمنة .

وقبل أن يجيب أبو المعاطى الذى تهلل وجهه . أردف بسونى أبو دياب .

ـ وأنا سأخدمك فى هذه المسألة .

فقال أبو المعاطى وقد وضع كل آماله فى عينيه ثم ألقى بهما على وجه بسيونى وهو يخرج شيئا من جيبه .

ـ اننى أملك من حطام الدنيا خمسة جنيهات .

فقال بسيونى وقد أسند ظهره الى (الكرويتة) الخشب التى يجلس عليها وأخذ ينظر الى دخان الجوزة المنساب من منخاريه فى خيلاء .

ـ الجنيهات الخمسة أدفعها صداقا لسكينة . أما أنا فسأقتل لك آمنة لله فى لله فلم يسع أبو المعاطى الا أن ينحنى على يديه مقبلا يدعو الله أن يبقيه وان يجعله عونا للمظلومين .

ثم اتفق معه بسيونى أبو دياب على طريقة التنفيذ وهى أن يطلب أبو المعاطى من زوجته آمنة ان تحضر الليلة فى الدرك عند الصفصافة اذ أنه فى هذه الليلة أشوق مايكون اليها وهو يريدها أن تبيت معه فى الدرك كما سبق وحدث هذا مرات . وعندما

تأتى اليه . سيكون بسيونى أبو دياب فى انتظارها فى قلب مزرعة الذرة المتاخمة للصفصافة فيستقبلهاعند مجيئهابرصاصة فى رأسها ترديها فى الحال . وفى هذه الاثناء يكون على أبى المعاطى أن يصرخ ويولول على زوجته التى قتلت .

وبعد أن اتفقا شد أبو المعاطى على يده ثم انصرف مبتهجا . فالتقى فى الطريق مصادفة بسكينة والبشر يلوح على محياه ، فاندهشت لحالته التى تغيرت فجأة . وسألته عن سبب هذا الابتهاج فقال وهو أشد مايكون سعادة وفرحا :

ـ لأننى سأتزوجك ياسكينة ثم تركها وانصرف الى داره . وفيها استقبل آمنة على أحسن ماتستقبل به الزوجة . وطلب منها أن تحقق رجاءه وتذهب اليه هذه الليلة فى الدرك عند الصفصافة .

وصارت الأمور فى هذه الليلة على خير مايشتهى أبو المعاطى . فالقرية قد نامت بعد صلاة العشاء كالعادة والظلام قد سدل حجبه السميكة على الكون .

وفي وسط هذا الخضم الاسود الجاثم على الكون أبصر أبو المعاطى شبح آمنة يقبل عليه من بعيد . فتهلل وجهه ولمعت عيناه . وأسرع الى بسيونى أبو دياب المتربص فى حقل الذرة وأعطى له الاشارة التى اتفقا عليها .

وما أن اقترب الشبح حتى دوى فى قلب السكون الرهيب صوت كالرعد . ولمع فى جوف الظلام نور خاطف ملتهب . واذا بالشبح يهوى فى قلب القناة غارقا فى لجة من الدماء ، واذا بأبى المعاطى يسرع الى مكان القتيل متهلل القلب يصرخ ويندب حظه الاسود وزوجته آمنة التى أرداها طلق نارى وهى فى طريقها اليه .

وسر بسيونى لنجاح خطته بيد أنه تريث قليلا فى قلب الذرة وانتظر حتى يبلغ أبو المعاطى مكان الجريمة حتى اذا كانت الرصاصة لم تصب من آمنة مقتلا . رجع اليها وقضى عليها برصاصة أخرى .

بيد أن أبو المعاطى لم يكد يبلغ مكان الجثة حتى تبدل صراخه المصطنع وعويله المختلق الى مرارة وحرقة .. الى لوثة اصابته . الى هذيان فهم منه بسيونى أبو دياب ان التى قتلت لم تكن

آمنة وانما هى (سكينة) التى جاءت اليه فى هذا الوقت المتأخر لتخبر أبو المعاطى ان سيد أبو حسن قدم الشبكة الى أمها هذه الليلة بعد صلاة العشاء ٠

ووجد بسيونى أبو دياب نفسه ودون أن يشعر على رأس الجثة المضرجة بدمائها وبجوارها أبو المعاطى الذى احتضنها مذهولا والذى فقد صوابه أيضا فراح يلعن بسيونى أبو دياب الذى أشار عليه بهذا العمل الاسود وبارتكاب هذه الجريمة التى أبى القدر الا أن تنفذ فى سكينة ولما لم يجد فائدة من اقناع أبو المعاطى بالكف عن هذا الصراخ وهذا الهذيان الذى سيفضحهما ويودى بهما الى حبل المشنقة مد يده فى هدوء وأفرغ فى رأس أبى المعاطى رصاصة جعلته يهوى فوق جثة سكينة فاقد النطق ٠
وفى الصباح بينما كان سكان القرية والقرى المجاورة متجمعين حول الجثتين كان بسيونى أمام دكان الشيخ سيد يكركر فى الجوزة وهو يدندن على دخانها ٠

حوزة من الهند ومركب عليها غاب ٠
أخذت منها نفس وقلت ياتواب ٠
تتوب على من الجوزة وشرب الغاب ٠

●●●


امرأة العزيز

« شرفة قصر العزيز القائم على الماء بين جبلين صغيرين كأنهما في صحراء مصر سناما ناقة حلوب .. ثلاثة من الشيوخ في لباس الخدم . اثنان يتهامسان . والثالث عند الشرفة يشرب خمرا من زجاجة في يده وينظر الى الموج الذي يصطفق تحت أعتاب القصر .. وكأنه الأسود تتصارع في أليم . الوقت قبيل الغروب .. »

الأول ـ وهو ينظر الى صاحبه .. أرأيت ؟

الثاني ـ رأيت .. وسأرى ..

الأول ـ وبعد ؟

الثاني ـ بعد كقبل ، هموم تمضي وأحزان تجيء .

الأول ـ أهكذا العمر ؟ .

الثاني ـ لأن هكذا الدنيا ..

الأول ـ « مغتاظا » .. تبا لها .. أبعد ثلاثين عاما يأتمر بأمري كل من في القصر يأتي فيأمرني فتى غرير .

الثاني ـ انه سيد عظيم .

الأول ـ سيد عظيم ؟

الثاني ـ أجل ..

الأول ـ من هو ؟

الثاني ـ « مبتسما » .. هذا الفتى الصغير .

الأول ـ « في دهشة » .. ماذا تقول ؟

الثاني ـ هكذا تجري الأمور .

الأول ـ أمور من ؟

الثاني ـ أمور الفتى ياشيخ .

الأول ـ أهو في القصر سيد عظيم ؟

الثاني ـ أجل ..

الأول ـ « متعجبا » .. وماذا يكون العزيز اذن ؟

الثالث ـ « يذهب اليهما مخمورا يترنح والكأس في يده » .. يكون كما تجري الأمور حامي البلاد وحارس أمنها .

الثاني ـ « في ضيق » .. صه يا أبله .

الثالث ـ « ضاحكا » أأبله أنا ؟
الثاني ـ انك لمجنون ٠ ٠
الثالث ـ « وهو يشرب » ٠٠ أحبب به من جنون ٠٠ «يفرغ كأسا ثانية في جوفه » نعمتان هما جل النعم ، خمر من الكرم نعصر ، وكأس بالعقل تذهب « يشرب » ٠
الثاني ـ « محزونا يخاطب الأول » ٠٠ أرى الأمور في القصر قد تحرجت ٠٠
الأول ـ والى حد يثير العجب ٠٠
الثالث ـ « ضاحكا يفرغ خمرا من الزجاجـة » ٠٠ مادامت هناك امرأة تلد « ضاحكا » فالعجب أن لايكون العجب ٠
الأول ـ « ساخطا » صه « للثاني » ٠ سأقص أموره على ربه ٠
الثاني ـ رب من ؟
الأول ـ رب هذا القصر ٠
الثاني ـ « مبتسما » ٠٠ هكذا شاء العزيز ياشيخ ٠٠
الثالث ـ « وهو يضحك مترنحا » ٠٠ بل قل شاء الجمال ٠
الأول ـ « له » ٠٠ ماذا تريد أن تقول ؟
الثالث ـ « مفكرا » ٠٠ أريد أن أقول ٠٠ أريد أن أقول ٠٠ « يشرب » ٠٠ أن لاشيء عندى يقال ٠٠
الأول ـ « فى غيظ » ٠٠ جمال من تعنى ؟
الثالث ـ « ضاحكا » ٠٠ جمال القمر ٠
الثاني ـ افصح جمال من ؟
الثالث ـ « وهو يمسح على شفتيه » ٠٠ وهل هناك أجمل من القمر ؟
الثاني ـ « فى غيظ » ٠٠ انك لرعديد جبان ٠
الثالث ـ « أحبب به من جبن « يشرب » ٠٠ خير مافى هـذا الزمان ، عين لاترى ، وأذن لاتسمع ، « ضاحكا » ٠٠ ورجل من غير لسان ٠
« تقبل ـ باكيس ـ وهى احدى الوصيفات الجميلات وكاتمة أسرار زوجة العزيز وفى يدها تفاحة تقضم منها » ٠
الوصيفة ـ أين الفتى ياشيوخ ؟
الأول ـ « وهو يكظم غيظه » ٠٠ لم أره ٠
الوصيفة ـ « تنظر للثانى » ٠

الثانى ــ « وقد أشاح بوجهه » ·· وكذلك أنا ·
الوصيفة ــ « للثالث » ·· وأنت يامخمور ؟
الثالث ــ أما أنا فحمدا ·
الوصيفة ــ على ماذا ياترى ؟
الثالث ــ « وهو يشرب ضاحكا » ·· بصرى الذى فقدته ·
الوصيفة ــ « مغتاظة » ·· ان ربة القصر هى التى تسأل ·
الجميع ــ « فى خوف معا » ·· ربة القصر ؟
الوصيفة ــ أجل ، وتسأل هل تناول الفتى طعامه ؟
الأول ــ « خائفا » ·· أجل ، أجل ، وقدمته له بيدى ·

الثانى ــ « فى نفس الخوف » ·· وأنا الذى سقاه الشراب الزلال ··
الثالث ــ « مترنحا » ·· وأنا الذى أطعمته الفالوذج ، وزدت عليه حمامة ··
الوصيفة ــ وأين هو ؟
الأول ــ « مضطربا » ·· هو ، هو ·
الثانى ــ « فى خوف » ·· أجل هو هو ·

الثالث « ضاحكا » ·· انه بين السحر والنحر ·
الوصيفة ــ ألا تثوب يوما الى رشدك ؟
الثالث ــ « وهو يفرغ الكأس فى جوفه » ·· الرشـــد فى هذا الذى ترين ··
الوصيفة ــ زجاجة وكأس ·
الثالث ــ هما منية النفس « يقترب منها » ·· تريدين الفتى يافتاة ··
الوصيفة ــ أين هو ؟
الثالث ــ « يمسك بطرف ثوبها ويخطو بجانبها مترنحاحتى يبلغ نافذة مطلة على النهر » ·· هاهو ذا « ضاحكا » ·· يدنى الكأس من شفتيـــه وهو ينصرف ·· منى النفس ، قربى فاك من فمى ·

« ينصرف الخدم الثلاثة فى حين تطل باكيس الوصيفة من النافذة وما أن ترى يوسف على الشاطىء يغتسل فى أليم حتى تلتمع نظراتها وتتسمر على ساقيه الجميلتين المتدليتين فى الماء

كعمودين من نور ، وتروح تتأملهما حينا ، وتتحسس وجهه بعينيها حينا اخر . وفجاه تنطلق من بين شفتيها صرخة حبيسة . فقد عضت على بنانها وهى تقضم من التفاحه وأسالت منه الدماء دون ان تدرى . فى حين تقبل زليخا زوجة العزيز وضاءة الجبين مشرقه المحيا ستره الا عطاف . ترفل فى ثوب من حرير احالص انشق من امام عن صدر عريض ناهد وتنسى تشيها برساح من الحرير الاخضر ، تسبقها رائحة المسك والطيب وتحف بهـا ثلاث وصيفات جميلات .. »

زليخا ــ « لوصيفة باكيس » .. فيما وقوفك فى الشرفة ؟

الوصيفه ــ « صاحكة غير منتبهة الى الدماء التى تسيل من أصبعها » .. ستهوتنى حمرة الشفق ، فوقفت امتع العين بقرن الشمس الغارق فى اللجة .

زليخا ــ « وهى تطل عـــلى الشرفة » .. منظر يسر جماله العين ..

الوصيفة ــ وأجمل منه هذا الذى تراه عينى . .

زليخا ــ « وهى تلقى بالبصر حيث تتجه نظرات الوصيفة» .. لم أر شيئا .

الوصيفة ــ « وقد فوجئت بمكان يوسف خاليا » .. لقـــد توارى ..

زليخا ــ « وهى تنظر » .. من ؟

الوصيفة ــ « خجلى تسبل هدبيها فى خفر » .. النور .

زليخا ــ « وكأنها تخاطب نفسها » .. ما أجمل هذا الشفق لكأنى به خضاب العذارى « للوصيفة » .. من هذا الذى يسير عند السفح كأنه الشعاع الهادىء ؟

الوصيفة ــ « وقد نظرت الى أصبعها الجريح » .. دمى .

زليخا ــ « دهشة » .. دمك ؟

الوصيفة ــ « وهى تتوجع » .. أصبعى .. أصبعى .

زليخا ــ مابها .. ما الذى جرحها ؟

الوصيفة ــ كنت أقضم من التفاحة .

احدى الوصيفات الثلاث ــ « لزميلاتها متخابثة » .. بل كانت تقضم من أصابعها ..

زليخا ــ أضاع رشدك ؟

الوصيفة ـــ بل فقدت صوابى .
(يدخل الخادم العجوز يترنح) .
الخادم ـ مولاى رب القصر .
زليخا ـ مرحبا بالعزيز .
الخادم ـ « وهو يقترب من زليخا هامسا » .. وجاء من عابد الى معبود .
زليخا ـ « ضاحكة » .. من العابد ومن المعبود ؟
الخادم ـ « ضاحكا » .. أنا العابد .. وذات الحسن معبودة .
زليخا ـ يالك من شيخ عجوز .. ماذا تريد ؟
الخادم ـ أمر ذلك الفتى .
زليخا ـ يوسف ؟
الخادم ـ أجل ..
زليخا ـ « مضطربة » .. مابه .. ماذا يريد .
الخادم ـ لقد ولاه العزيز ..
زليخا ـ على ماذا ؟
الخادم ـ على شئون قصرك .
زليخا ـ « ضاحكة » أحبب به من وال .
الخادم ـ ولكن ، خادمك العجوز ، أبعد ستين عاما يسوسه فتى صغير ؟
زليخا ـ « نشوى » .. سأوصيه بك .
الخادم ـ أنا لا أريد هذا الخير .
زليخا ـ ماذا تريد اذن ؟
الخادم ـ زجاجتين من الخمر ، واحدة أمتع النفس بطلعتها صباحا ، وأخرى أطارحها الهوى مساء .
زليخا ـ لك ثلاثة يافطمير .
الخادم ـ « ضاحكا » .. وماذا أفعل بالثالثة ؟
زليخا ـ « ضاحكة » .. خذها فى أحضانك .
الخادم ـ « مرحا يهمس فى أذنيها » .. يالك من عزيزة ويالة من عزيز ..
« يدخل العزيز فجأة » .
العزيز ـ من العزيزة . ومن العزيز يافطمير ؟ .
الخادم ـ « مضطربا » .. العزيزة .. العزيزة .. « ضاحكا »

العزيزة زوجة العزيز .

العزيز « مبتهجا » .. يالك من شيخ عجوز .

الخادم ـ « وهو ينصرف سريعا وخلفه الوصيفات » .. بل يالها من خمر معتقة .

العزيز ـ « وهو يعانق زليخا » .. عزيزتى .

زليخا ـ فيما هذا البكور ؟

العزيز ـ أستأذنك فى الذهاب الى فرعون .

زليخا ـ لماذا ؟

العزيز ـ لقو أتوا له الليلة بساحر عظيم .

« يدخل يوسف حاملا على يديه صينية من الذهب يتوسطها تاج مرصع بالماس والجوهر .. زليخا عندما تراه تضطرب أنفاسها ولكنها تتماسك ؟

العزيز ـ « وهو يتناول التاج ويضعه على رأسه » أتؤمن بالسحر يافتى ؟

يوسف ـ علمه عند ربى .

زليخا ـ « وهى تختلس نظرة الى عينيه » .. انه هو ساحر ..

يوسف ـ حاشا أن أكون كذلك .

العزيز ـ « وهو ينظر الى زليخا » .. كيف ؟

زليخا ـ « لنفسها فى صوت خفيض » .. وكيف لايذوق الخمار خمره ؟

العزيز ـ ماذا تقولين ؟ ..

زليخا ـ «متداركة » .. أقصد هذه الحكم التى ينطق عنها الفتى ، لهى لعمرى السحر بعينه .

العزيز ـ قلبى يقول لى ذلك « ليوسف » .. اذن قص علينا طرفا من سحرك .

يوسف ـ ماكان لى أن أتحدث عما ليس لى به علم .

زليخا ـ « ضاحكة تنظر الى وجنتيه المتوردتين » .. انه يمكر بك ..

زليخا ـ أأمين أنت ؟

يوسف ـ والا لما أكرم العزيز مثواى .

العزيز ـ يالك من فتى ذرب اللسان .

زليخا ـ « وهى تنظر الى أهدابه المسبلةعلى جفنيه » ٠٠ ألم أقل لك أنه السحر بعينه ؟
العزيز ـ « ضاحكا وهو ينصرف » ٠٠ هذا أمر يحتاج الى بيان ٠ وسأرجئه حتى أعود ٠
يوسف ـ « وقد توجس خيفة فيهم خلفه » ٠٠ ألا يريد سيدى أن يكون خادمه فى ركابه ٠
زليخا ـ « تنظر الى شفتى العزيز » ٠
العزيز ـ ليس من تقاليد الملوك أن تصحب السادة الخدم ٠
يوسف ـ « وقد زاد اضطرابه » ٠٠ ألا يريد سيدى أن أعد له شيئا ؟
العزيز ـ « وهو ينصرف » ٠٠ ماتأمرك به سيدتك ٠
زليخا ـ « ممسكة بذراعى العزيز فى أنوثة » ٠٠ أتمكث بعيدا ؟
العزيز ـ حتى ينفض مجلس فرعون ٠
زليخا ـ ومتى ينفض ؟
العزيز ـ عندما ينتصف الليل ٠
زليخا ـ « وهى تقبله » ٠٠ سأسامر القمر حتى تعود ٠
العزيز ـ « وهو يقبلها ضاحكا » ٠٠ وسأسامر النجم حتى ألقاك ٠٠
« يخرج العزيز ، فى حين يقف يوسف فى مكانه مغمض العينين ينتظر الاذن له بالانصراف » ٠
زليخا ـ تتأمله طويلا ، ثم تمد يدها وتقرع أسطوانة نحاسية على الحائط ، فتدخل على الأثر الوصيفة باكيس ٠
الوصيفة ـ « وهى تتحسس أصبعها الجريح » ٠٠ أمر سيدتى ٠
زليخا ـ اغلقى هذه الشرفة ، وأزيحى هذه الستر ٠
الوصيفة ـ « تغلق الشرفة » ثم تتجه يمينا وتزيح بعض الستر ، ثم تفتح بابا كبيرا ٠ فيرى مخدع زليخا المزينةحوائطه الأربع بالبللور ، ويتوهج فى قلبه النور ، الذى تنعقد فى سمائه سحابة من دخان أبيض ينبعث من مبخرة من الذهب وضعت فوق سرير كبير قائم على ظهر فيلة ضخمة من خشب الأبانوس ٠

يوسف ـ « وهو يخفض عينيـــه عما يرى » .. أتأذن لى سيدتى ؟

زليخا ـ بل ابق حتى تسقنى الخمر .

« يخرج يوســـف وتخطو زليخا الى المخدع ومن خلفهـــا الوصيفة » .

زليخا ـ « وهى تلقى بالوشاح من على كتفيها فيبدوجسمها شبه عار الا من غلالة رقيقة زادته اغراء وفتنة » .. وما الذى ترين ؟

الوصيفة ـ ان جمال هذا الفتى ياسيدتى يذيب الحجر .

زليخا ـ « وكأنها تخاطب نفسها » أيذيب الجمال القلب ؟

الوصيفة ـ « سريعا » .. أجل .. أجل ..

زليخا ـ أيذيب قلبه ؟

الوصيفة ـ هذا ماأشك فيه .

زليخا ـ « محزونة » .. كيف ؟

الوصيفة ـ لكأنى بعينى هذا الفتى بيض لاترى .

زليخا ـ أتحدثت اليه ؟

الوصيفة ـ تجرأت هذا الصباح واقتربت منه ، وقلت له ما أجمل عينيك يافتى .

زليخا ـ فماذا قال ؟

الوصيفة ـ نظر الى السماء وتمتم يقول : اللهـــم انك قد حميتنى من القتل الصغير فاحمنى من القتل الكبير .

زليخا ـ أى قتل يعنى ؟

الوصيفة ـ هذا مايخبرنى .

زليخا ـ « لنفسها » .. لقد أحبه القلب .

الوصيفة ـ ليته القلب فقط ، أنه القلب والبصر والفؤاد .. انه كل شىء .. كل شىء .

زليخا ـ تمد يدها الى عينيها وتجفف بعض الدموع .

الوصيفة ـ أتبكين ياسيدتى ؟

زليخا ـ من نار تحرق ولا تحترق .

الوصيفة ـ « فى دهشة » .. أى نار لاتحترق .

زليخا ـ نار الذى لايحب .

الوصيفة ـ وكيف تحرق اذن ؟

زليخا ـ نحرق الذى يحب •
الوصيفة ـ فهمت تحبينه فتحترقين ولا يحبك ••
زليخا ـ « مقاطعة » •• فلا يحترق •
الوصيفة ـ سيدتى ، لقد سمعت يوما أن امرأة اسمها حواء ، ضحكت على آدم وأخرجته من الجنة ، فبماذا ضحكت عليه ؟
زليخا ـ « ساهمة » •• يقولون بتفاحة •
الوصيفة ـ « مغتاظة » •• قاتل الله التفاح ، نظرت اليه من الشرفة اليوم ، وكنت أقضم تفاحة ، فأذهلنى عنها جمـــاله وقضمت أصبعى •
« يسمع صوت أقدام يوسف » ••
زليخا ـ انصرفى أنت واتركينى معه •
« تخرج الوصيفة ويدخل يوسف يحمل على يديه صينية من فضة عليها زجاجة وكأس ، يضعها أمام زليخا ، وما أن يرى صدرها الذى يتألق جمالا فى عينيه حتى يهم بالانصراف » •
زليخا ـ أنسيت آداب القصر الذى تربيت فيه ؟
يوسف ـ يموت المرء دون أن يتعلم •
زليخا ـ لاتنصرف الا اذا أذن لك •
يوسف ـ « وهو يقف » •• أمر سيدتى •
زليخا ـ « تفرغ كأسا فى جوفها ثم تنظر الى المرآة وبعـد أن تتأمل جمالها فيها وتطمئن اليه تنظر الى يوســـف فتراه مغمض العينين » : فيم تفكر ؟
يوسف ـ فى الذى خلق فرعون •
زليخا ـ ومن الذى خلقه ؟
يوسف ـ الذى فطر السموات والأرض •
زليخا ـ « وهى تنظر اليه » •• وماذا أيضا ؟
يوسف ـ وخلق الانس والجن لتعبده •
يوسف ـ « وهو ينحى عينيه عن جســـدها » •• وخلق الشيطان وقال أنه عدو لكم •
زليخا ـ ولماذا خلقه اذن ؟
يوسف ـ ليرى أى انسان أضعف قلبا ، وأيهم أكثر قدرة على المقاومة •
زليخا ـ أليس كان فى قدرته أن يخلقهم جميعا صلاب القلوب

فلا يتبع الشيطان أحد ٠

يوسف ـ من لم يدفع الثمن لايستحق السلعة ،

زليخا ـ أى ثمن تعنى ؟

يوسف ـ « وهو يسحب نظراته من على ساقيها العاريتين » ٠٠ هذا الاغراء الذى أقاومه ٠

زليخا ـ « فرحة تنهض اليه » ٠٠ اذن أنت تقاوم ٠

يوسف ـ « وقد استقرت عيناه على صـــدرها » ٠٠ مالم يستطع غيرى أن يقاومه ٠

زليخا ـ « وهى تقترب منه » ٠٠ تقاوم ماذا ؟

يوسف ـ النار التى تحرقنى ٠

زليخا ـ تحرقك أنت ؟

يوسف ـ أجل ٠

زليخا ـ لماذا ؟

يوسف ـ « وكأنه يتوجع » ٠٠ لأننى رجل ٠

زليخا ـ « وهى تذهب الى الباب وتغلقه » ٠٠ وأنا امرأة ٠

يوسف ـ « وهو يرتعد » ٠٠ أنت سيدتى ٠

زليخا ـ « تتجه اليه » ٠٠ خذنى الى أحضانك ٠

يوسف ـ حاشا أن أغتصب شيئا لست أملكه ٠

زليخا ـ « وهى ترتمى فى أحضانه » ٠٠ انه متاع لك ٠٠ ملك لك ٠٠

يوسف ـ « وهو يبتعد عنها » ٠٠ انه ملك لزوجك الذى أكرمك فآمنك عليه ٠

زليخا ـ « مغتاظة » ٠٠ أيؤنب الخادم سيدته ؟

يوسف ـ انما يبصر الخادم سيدته

زليخا ـ « باكية » ٠٠ ولكنى أحبك ٠

يوسف ـ وأنا أيضا أحبك ٠

زليخا ـ « فرحة تذهب اليه » ٠٠ اذن

يوسف ـ أحبك حب الأمين لمن آمنه ٠

زليخا ـ « وهى تمسك بكتفيه وتهزه هزا عنيفا » ٠٠ انك تحرقنى ٠

يوسف ـ اننى أطهرك ٠

زليخا ـ سأقتلك ٠

يوسف ـ القتل فى هذا الذى ترين ·
زليخا ـ سأبعث بك الى السجن ·
يوسف ـ السجن أحب الى مما تدعوننى اليه ·
زليخا ـ سأقول للعزيز أنك راودتنى عن نفسى ·
يوسف ـ وسيقول الله غير ماتقولين ·
زليخا ـ « تقف ذاهلة تنظر اليه » ·
يوسف ـ أتأذن لى سيدتى فى أن أفتح الباب ؟
زليخا ـ « تبكى ولا تجيب » ·
« يتجه يوسف الى الباب ليفتحه فتهرع خلفه وتجذبه من قميصه فتمزقه فى حين يدخل العزيز فجأة » ·
زليخا ـ ماجزاء من أراد بأهلك سـوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم ·

الكتاب الذهبى

العدد الرابع والثلاثون ـ مارس سنة ١٩٥٥

يصدر عن دار روز اليوسف

١٨ شارع محمد سعيد ـ القاهرة

الاشـتراكات

مصـر : ١٢٠ قرشا عن سنة ـ ٦٠ قرشا عن نصف سنة

الخارج : ١٨٠ قرشا عن سنة ـ ٩٠ قرشا عن نصف سنة

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

رئيس التحرير المسئول : سعد الكفراوى خليل

تطلب مجموعة الكتاب الذهبى من المكتبات الآتية :
مكتبة الخانجى بالقاهرة ت ٤٣١٤٨ ـ ومن مكتبة المثنى ببغداد ٣٥٨٨ ـ ومن المكتب التجارى ببيروت ت ٢٣ ـ ٢٠ ومن مكتبة النجاح بتونس ـ ومن دار روز اليوسف ١٨ شارع محمد سعيد ت ٢٠٨٨٨

جميع الحوالات ترسل باسم « روز اليوسف »

بريد البرلمان

طبع بمطابع « روز اليوسف »

